السِّجلُّ الأسود



السِّجِلُّ الأسْوَد

السِّجلّ الأسود

تأليف

مجموعة من الكتّاب السوفيات

ترجمة

هيثم علي حجازي

دار الجيل
بيروت

الأهليّة للنشر والتوزيع
عمّان

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

المقدمة

صنعت في الولايات المتحدة الأميركية

ان خرافة « الخطر العسكري السوفييتي » التي تطلقها باستمرار أجهزة الدعاية والاعلام الغربية، باتت تشكل اليوم (اكذوبة العصر) لأنه من البشاعة والتفاهة ان توجه مثل هذه التهمة ضد بلد كان أول مرسوم أصدره يتعلق بالسلام، والغاية المثلى التي يسعى اليها هي نزع السلاح، ودأبه باستمرار طرح المبادرات التي تهدف الى تحقيق السلام، اضافة الى سعيه من أجل الحد من انتشار السلاح وتقليص انتاجه من طرف واحد. ورغم هذه المساعي السوفيتية، فإن وسائل الاعلام الغربية، والمدارس، ورجال الدين، وأساتذة الجامعات، وحتى رجال الدولة، في الدول الغربية لا يزالون يعملون ليل نهار، بل وكل ساعة، من أجل ادخال هذه الفكرة، فكرة الخطر السوفييتي، وزرعها في عقول الملايين من الناس.

وأود هنا أن أستذكر رحلة قام بها وفد من الصحفيين السوفييت الى الولايات المتحدة الأميريكية عام ١٩٦٧، وزرنا خلالها مدرسة (اوزاركس) الواقعة في منطقة (بوينت لوك أوت) بولاية (ميسوري).

في هذه المدرسة لاحظنا أنه لا مكان نهائياً لشيء اسمه المعارضة أو حتى حرية الفكر، ويكوّن الدين العامل الثقافي الأول في خطة التدريس. وتحدث الينا رئيس هذه الكلية (غراهام كلارك) قائلاً : « اننا نتحامل على بلادكم، ونحكم عليها مسبقاً ودون معرفة بها، ونحن نلقّن تلاميذنا وفق هذا الأساس. ان لنا رأينا بالنظام السائد في بلادكم ... ».

لا بأس في ذلك، ولكن الشعب السوفييتي له هو الآخر رأيه في « نظام العمل الحر » الذي يسود مجتمع الاستغلال الرأسمالي والظلم الاجتماعي. ولكن ليست هناك أية مدرسة أو كلية سوفييتية توجد فيها مثل تلك الكتب والنشرات والدوريات التي حصلنا عليها بسهولة تامة من تلك الكلية الكنسية، ولا يمكن لأي شخص أن يرى أبداً كتباً أو نشرات تشجع وترعى العداء والحقد تجاه الأمريكيين.

لقد كان أحد الكتيبات التي حصلنا عليها يحمل عنواناً مرعباً هو (يمكن أن يحدث هذا هنا) وجاء في هذا الكتيب الموجه الى الطلاب وأعضاء لجنة رجال الدين : « ان الشيوعية لا تزال تنوي السيطرة على العالم، وهي تسير قدماً في هذا الاتجاه ... وحينما تتغلب على العالم ــ ويعني بذلك الشيوعية ــ فإن ستين مليون أمريكي يجب أن يموتوا. ويلي ذلك قائمة تتضمن سلسلة الفظائع وأعمال الرعب التي تنتظر الكنيسة ومن يؤمنون بها، وأقوال أدلى بها المدعو (جون نوبل) الذي قال : ان هناك « ٢٨ مليون انسان في معسكرات الرق خلف الستار الحديدي ». ان السيد (نوبل) هذا ايجابي وحيادي للغاية، فهم (٢٨ مليوناً) لا أكثر ولا أقل.

وكافة هذه المطبوعات تنتهي دائماً بتوبيخ صارم لأتباع الكنيسة الذين يرضون بواقعهم، ولا يحفلون بالمستقبل. والنتيجة العملية التي تتوصل اليها تلك المطبوعات : يجب عليكم أن لا تبخلوا بالتبرع للكنيسة اذا

كنتم لا تريدون أن يقهر الروس الأمريكيين، وان لا يسيطر الشيوعيون على امريكا. وتقوم الكنيسة بالمهام الملقاة على عاتقها، وتؤدي أعمالها، وتنطلق في كل هذا من الخوف والحقد على الاتحاد السوفييتي.

وهذا الكتيب ليس من تأليف كاهن متعصب جاهل يعيش في مكان ناء، ومنعزل، خاصة وان هناك جملة قصيرة، مطبوعة بأحرف صغيرة، مكتوبة على الكتاب، وتفيد بأنه (الكتاب) استحق الحصول على (ميدالية جورج واشنطن الفخرية) لأنه يحتوي على فهم وادراك كبيرين لنمط الحياة الأمريكية. ولا بد للمرء هنا من أن يرثي لنمط الحياة الأمريكية، ولطلاب مدرسة (اوزاركس) ايضاً.

لقد التقيت في نيويورك بالبروفيسور (مارشال شولمان) الذي كان رئيساً للمعهد الروسي في جامعة كولومبيا وقتذاك، حيث اعترف هذا المتخصص بالشؤون الروسية قائلاً : « انك اذا سألت أي انسان في الشارع — وليكن حتى سائق سيارة للاجرة — عن الاتحاد السوفييتي، فإنه سوف يكرر ما قرأه أو ما سمعه ذات مرة حول ان القدرة العسكرية الروسية أصبحت كبيرة جداً، ولا يوجد في الاتحاد السوفييتي الاّ قدر قليل من الحرية. وأشياء أخرى تشبه ذلك ... ».

ومرت سنوات عديدة، والاتحاد السوفييتي لا يزال يجسّد حبه للسلام ودعوته اليه بالأفعال: فقد عبّر عن رغبته بتطوير علاقاته مع الدول البورجوازية على أسس التعايش السلمي. والتعاون في مجال تبادل المنافع في حين أن رجل الشارع الأمريكي لا يزال يقرأ ويسمع عن (الخطر السوفييتي) و (التآمر الشيوعي). لكن الشيء الذي استجد الآن، هو أنه منذ مطلع الثمانينات لم تعد أنغام ودعايات أجهزة الدعاية والاعلام الغربية تتردد على ألسنة المعادين للشيوعية المحترفين، وإنما انضم اليها الرئيس الأمريكي، ووزير خارجيته، وكذلك وزير دفاعه، وجميعهم يعملون

بمهارة على « معالجة » الرأي العام. ولا أدري اذا كان أحد من هؤلاء قد نال (ميدالية جورج واشنطن الفخرية) لكن البراهين والحجج التي يسوقونها هي من حيث (الصحة والاقناع) تشبه تلك الكراسات الموجودة في كنيسة كلية (اوزاركس).

هناك ثمة شيء آخر لا بد من الاشارة اليه فيما يتعلق بحملة واشنطن الحالية المعادية للاتحاد السوفييتي وهو ان واشنطن تصوّر (التآمر الشيوعي) هذه المرة على أنه (ارهاب دولي). وقد بدأ شن هذه الحملة في ٢٨ كانون الثاني ١٩٨١ من قبل وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (الكسندر هيغ) حينما قال في مؤتمر صحفي ان « الاتحاد السوفييتي ينتهج سياسة تشجيع وتأييد وتوسيع الارهاب الدولي ».

ان الاتهامات التي أطلقها متحدث رسمي باسم الادارة الأمريكية، هي اتهامات لا أساس لها من الصحة، وغير مقنعة : فقد زعم ان الاتحاد السوفييتي يزود منظمة التحرير الفلسطينية بالسلاح من أجل تنفيذ « أعمال إرهابية » ويستخدم دولاً أخرى مثل كوبا وليبيا لدعم الارهاب الدولي، ويؤيد ما يسمى بحروب التحرير الوطني ... الخ.

وبدأت هذه الحملة تلقى آذاناً صاغية، حيث أعاد مجلس الشيوخ الأمريكي تشكيل اللجنة الفرعية لشؤون الأمن والارهاب، وطلب اليها العمل على كشف « شبكة الارهاب الدولية » الروسية.

ورغم الجهود المضنية التي بذلتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، فإنها أخفقت بتقديم ولو دليل واحد يثبت صلة الاتحاد السوفييتي بالارهاب. وكان سبب هذا الاخفاق ان هذه الحملة الدعائية، وعمل اللجنة الفرعية لشؤون الأمن والارهاب، كانا يتطلبان براهين واثباتات جادة لا مجرد فقاعات صابون اعلامية.

وحاولت واشنطن ان تفسر هذا الاخفاق بادعائها ان الاستخبارات الامريكية « مكتوفة اليدين » لأن الكونغرس الأمريكي هو المسؤول عن ذلك بسبب القيود التي وضعها على نشاطات أجهزة المخابرات الأمريكية. والحقيقة هي أنه بعد التحقيقات التي أجراها الكونغرس حول الأعمال القذرة التي نفذتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، أصدر قرارات بفرض قيود على نشاطات أجهزة المخابرات الأمريكية. وزعمت واشنطن ثانية انه حالما يتم « اطلاق يديها من القيود » سيتم الكشف عن الشبكة الارهابية الروسية. وللحقيقة، فإن مجمل القيود التي كان الكونغرس الأمريكي قد فرضها على أعمال أجهزة المخابرات الأمريكية، هي قيود وهمية أساساً، ولا أهمية لها، وقد رفع ما تبقى منها (رونالد ريغان) من أجل « محاربة الارهاب بشكل اكثر فعالية ». لكن الأدلة والبراهين المطلوبة كانت هي ما يفتقر اليه زعماء واشنطن في حملتهم هذه. ومع ذلك، فإن هذا الاخفاق ما كان ليمنع واشنطن من متابعة حملتها وصراخها ضد الاتحاد السوفييتي.

وكان منظمو هذه الحملة الدعائية المعادية قد أخذوا بعين الاعتبار الرأي العام الأمريكي، والرأي العام العالمي حينما اختاروا اللحظة المقررة للهجوم على الاتحاد السوفييتي. ففي ذلك الوقت كانت الأعمال الارهابية التي يقوم بها المتطرفون اليمنيون ونظراؤهم اليساريون قد وصلت الى أوجها، وأصابت أوروبا الغربية بصدمة عنيفة، وخاصة في ايطاليا، وأثارت ايضاً موجة من الشجب والادانة. وكان ذلك الوقت هو الملائم تماماً لرجال الدولة الأمريكيين ولماكينة الدعاية الضخمة التي وضعوها موضع العمل من أجل محاولة إلقاء اللوم والمسؤولية على « الحمر ». وبدأ الناس يستمعون ثانية الى النغمة القديمة المملة التي تتحدث عن « تآمر شيوعي ضد العالم » وعن « ذراع موسكو الطويلة ». وتكرر هذا الأمر مرات عديدة منذ ثورة أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧.

ثم تلت ذلك سلسلة من المزاعم والادعاءات، تقول إحداها بأن الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الأخرى يعملون من وراء الكواليس لدعم كل المجموعات الارهابية بما في ذلك منظمة (بادر ــ ماينهوف) و (الألوية الحمراء الايطالية) بل ان بعض الصحف الأمريكية قد سارعت الى الادعاء بأن محاولة اغتيال البابا على يد أحد الفاشيين الجدد الأتراك هي « من مصلحة موسكو ».

لقد أعلن الاتحاد السوفييتي على الملأ بأنه يشجب من حيث المبدأ كافة الأعمال الارهابية التي تعمل على ارباك النشاطات الدبلوماسية، وقطع طرق المواصلات الدولية، وعدم استمرار العلاقات واللقاءات الدولية بشكل طبيعي، وانه يعارض اعمال العنف التي لا تخدم أي هدف، وما يترتب عليها من وقوع الخسائر في الأرواح البشرية. لكن الدعاية الغربية لا بد لها ــ أو هكذا أريد لها ــ إما أن تلتزم الصمت حيال موقف الاتحاد السوفييتي هذا، وإما أن تشوهه وتحاول غسل دماغ الملايين من البشر لاقناعهم ان الايديولوجية الشيوعية المسلحة هي بطبيعتها وأصلها (فلسفة العنف). وما كان البلاشفة ليصلوا الى السلطة الا بفضل الارهاب الذي يشجبه السوفييت بالكلام فقط لأنهم يريدون الحفاظ على (الانفراج الدولي) بأي ثمن كان، فهو مفيد لهم، ولكن هذه المرة ايضاً لا وجود لأي برهان واحد على ما يدّعونه، لكنهم يحاولون ببساطة ان يوضحوا سبب افتقارهم الى الأدلة : ان موسكو بعيدة ونائية، وهي تعمل بسرية تامة، وتستطيع ان تخفي آثارها بمهارة فائقة.

وحاولت واشنطن خلال حملتها الكاذبة (من أجل حماية حقوق الانسان) خلق شيء من الموضوعية حينما شجبت ــ وعلى كره منها ــ النظام الدموي في تشيلي، وأعمال التنكيل التي تتم في كوريا الجنوبية، والاضطهاد والقمع الجماعي في دول اخرى من دول « العالم

الحر ». وإذ فعلت واشنطن هذا، فإنها كانت منذ البداية قد تخلت بوقاحة تامة عن كل ما يمت الى اللياقة الشكلية بصلة : فالمسؤولية تقع أولاً وقبل كل شيء على السوفييت وحلفائهم لأنهم « حمر » شريرون وعلى عاتقهم تقع مسؤولية أعمال التفجير التي يذهب ضحيتها أناس أبرياء، وأعمال الخطف واحتجاز الرهائن. وكان الهدف الرئيسي للذين يدعون بأنهم « يحاربون ضد الارهاب الدولي » هو الانتقاص من هيبة الاتحاد السوفييتي أمام شعوب العالم، وتصعيد الحرب النفسية ضد المجتمع الاشتراكي وضد القوى اليسارية لابعاد الشعوب عن طريق الاشتراكية.

أما الهدف الثاني فقد كان الافتراء على حركات التحرر الوطني. فالاتحاد السوفييتي يتم وصفه هنا ايضاً بأنه المتهم الرئيسي لأن (النشاط التخريبي) الذي تمارسه موسكو ومن يدور في فلكها هو سبب كافة حركات التحرر. فقد قال رونالد ريغان عام ١٩٨٠، وحتى قبل وصوله الى البيت الأبيض : « في اية بؤرة من بؤر التوتر في العالم، ومهما كانت نائية، إحفر بشكل كاف، وسوف تجد الاتحاد السوفييتي هناك ».

ويستتبع ذلك ــ من وجهة نظر واشنطن ــ ان النضال والسعي من أجل التحرر الوطني والاجتماعي لا يعود الى أسباب داخلية، ومتطلبات تاريخية حتمية للتغلب على التبعية والتأخر، بل الى تحريض خارجي قام به السوفييت الذين يسعون ــ كما زعم ريغان ــ الى السعي (من أجل تحقيق طموحاتهم الامبريالية). وبناء عليه، فإنَّ مثل هذا النضال التحرري الوطني والاجتماعي هو « نضال غير مشروع وهو عمل ارهابي ». وفي النهاية، فإن المساعدة المقدمة من الاتحاد السوفييتي ومن الدول الاشتراكية الاخرى الى المقاتلين في سبيل التحرر الوطني هي بكل بساطة « دعم للارهاب ». وكل هذا يوصف بأنه تهديد خطير يستهدف (المصالح القومية للولايات المتحدة الأمريكية).

ان كل هذا يعني ان الولايات المتحدة الأمريكية، من وجهة نظرها، لها كل الحق في إستخدام أية وسيلة: لها الحق في استئجار المرتزقة لاحراق القرى على رؤوس من فيها من الأحياء، والاطاحة بالحكومات التي لا ترغب بها، واغتيال الزعماء السياسيين الذين لا ينصاعون لأوامرها، ولها الحق بتقديم كافة انواع السلاح وصفوف المساعدة الشاملة الى المعتدين الاسرائيليين الذين قاموا بذبح الآلاف من النساء والشيوخ والأطفال اللبنانيين والفلسطينيين بحجة (محاربة الارهاب الدولي) ولها الحق أيضاً بأن تتآمر مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية وأن تساعدها على ضرب حركات التحرر في جنوب القارة الافريقية، ولها الحق كذلك بأن تَشُنَّ الحروب السرية والعلنية ضد الوطنيين في نيكاراغوا والسلفادور، وان تموّل وتسلّح الديكتاتوريات التي تغرق العديد من دول امريكا اللاتينية في حمامات من الدماء.

وتحرص واشنطن بعد ذلك على ان تسمي منظمة التحرير الفلسطينية وليبيا وكوبا والثورة الساندينية في نيكاراغوا ومنظمة (سوابو) بأنها بؤر ومراتع للارهاب. ويعمل الساسة الأمريكيون ايضاً على إلصاق هذا الوصف بكل حركات التحرر الوطني، وإهانة الشعوب المناضلة وازدراء حقوقها ورغباتها.

ان موقف واشنطن من هذه الحركات الوطنية قد تغير بشكل ملحوظ في عهد ادارة (ريغان). فخلال النصف الثاني من السبعينات، وبعد اخفاق المغامرة الأمريكية في فيتنام، حاولت امريكا ان تبدي بعض « المرونة » وتتظاهر بأنها لا تعارض التغييرات الاقتصادية ــ الاجتماعية التي تحدث في الدول النامية الخارجة عن نطاق سيطرتها، والتي يمكن أن يتم تعديلها بحيث تصبح مقبولة امريكياً. لكن اندلاع الثورات في ايران ونيكاراغوا أحبط هذه السياسة الجديدة وأعلن الصقور بأن على الادارة الأمريكية ان تنتهج سياسة خارجية حازمة للوقوف في وجه أي

تغيير تقدمي في « العالم الثالث ». هذا هو سبب الحملة القاسية والعنيفة التي استهدفت تشويه صورة حركات التحرر الوطني ووصفها بأنها ارهابية، وخارجة على القانون، وتخويفها، والضغط عليها. وكانت هذه الحملة الدعائية تهدف ايضاً الى القيام بمحاولات للضغط على الاتحاد السوفييتي لتغيير سياسته، وتقليص الدعم المادي والمعنوي الذي يقدمه في سبيل النضال العادل من أجل التحرر الوطني.

وتم تصعيد الحرب النفسية بشكل خطير ضد الدول التي وصفت بأنها « مأجورة » و « عميلة » للاتحاد السوفييتي. بل ان الامور اتخذت شكلاً أكثر حدة حينما شنت الولايات المتحدة الأمريكية حملاتها العنيفة ضد بعض حكومات دول اوروبا الغربية متهمة اياها بالصمت « على الدور الخبيث الذي يلعبه الاتحاد السوفييتي في مجال تشجيع الارهاب الدولي » خوفاً من هذه الحكومات على فقدان المنافع التي تجنيها من العقود التجارية الموقعة مع الاتحاد السوفييتي.

بكلمات أخرى يمكن القول ان الهدف الذي كانت تتوخاه الولايات المتحدة الامريكية من حملتها على الارهاب الدولي وعلاقة الاتحاد السوفييتي به، واضح تماماً، فقد كان يهدف منظموها من وراء كل هذا تبرير النهج الأمريكي للادارة الأمريكية الذي يسعى الى رفض الانفراج الدولي، والعودة الى (الحرب الباردة) من أجل تحقيق التفوق العسكري على الاتحاد السوفييتي، والذي سوف يؤدي — إن تحقق ذلك — الى تغيير موازين القوى في العالم لصالح الامبريالية، وضرب عمليات التحويل التقدمي في الدولة النامية. كذلك، فإن منظمي هذه الحملة الدعائية كانوا يتوخون من ورائها استمالة الرأي العام العالمي الذي « يستخف بالخطر السوفييتي وبخطر الارهاب الدولي » واجبار اولئك « الليبراليين القصيري النظر » الذين يؤيدون النشاطات المعادية للحرب، على الخضوع والاستكانة للامبريالية. وهذا بالطبع، سوف يضمن حصول الولايات

المتحدة الأمريكية على نطاق واسع من التأييد لسياستها الخارجية العدوانية.

ومن جهة ثانية، فإن مثل هذا العمل يقتضي وجود الحقد والكراهية ضد السوفييت وكذلك الخوف منهم. ومثلما فعل الرجعيون في كنيسة كلية (اوزاركس) يقوم اليوم رجال الدولة الأمريكيون بتوجيه نداءاتهم طالبين من شعبهم التبرع من أجل سباق التسلح الهائل، وانماء الجيش، وبناء قواعد جديدة، وأيضاً من أجل أجهزة الاستخبارات، ومن أجل زيادة كمية المعونات التي تقدر بالملايين من الدولارات والمرسلة الى أكثر الأنظمة رجعية. انهم يطلقون نفس الصرخة، ونفس النداء: « تبرعوا بأموالكم اذا كنتم لا تريدون ان يقهر السوفييت امريكا، وان لا يسيطر الشيوعيون على العالم ».

ايضاً، هناك هدف آخر لهذه الحملة هو جعل المسؤولية تطال الجميع. صحيح ان مشكلة الارهاب موجودة وقائمة، لكن يجب التمييز هنا بين نمطين لهذا الارهاب : أولهما الارهاب الرسمي (أو الارهاب على مستوى الدولة) والذي يتم بمشاركة الدولة أو المسؤولين فيها سواء كان بصورة مباشرة، أو عبر التأييد الحكومي لهذا الارهاب. وثانيهما : وهو الارهاب الخاص الذي يقوم به أشخاص أو تنظيمات لا علاقة لها بالدولة. ان هذين النمطين مرفوضان، وهما جريمة دولية، لكن النمط الأول هو الأشد خطورة. وهناك أسباب كثيرة ومعقولة للدلالة على ان الارهاب الرسمي كان منذ مدة طويلة، ولا يزال، جزءاً من السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية الامبريالية والتي أخذت على عاتقها مهمة القيام بعمل رجل الشرطة. ومع مرور الوقت أخذ هذا الدور بالازدياد والتعاظم حتى أصبح فعلاً الاداة الرئيسية التي تستخدمها الولايات المتحدة في حربها وصراعها مع حركات التحرر الثوري والوطني. ان الامبريالية عاجزة تماماً عن طرح أية أفكار ومبادئ سياسية

أو ايديولوجية أو حتى روحية لتكون بديلاً لمبادئ الحرية والاستقلال والتقدم الاجتماعي. وهذا هو سبب اعتمادها على العنف، حيث تحاول بواسطته فرض ارادتها على الآخرين عن طريق العقوبات.

والضغط الاقتصادي، والاغتيالات السياسية، وعمليات التخريب، وتنفيذ الانقلابات العسكرية، وحسب هذا المفهوم، فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هي السلاح الرئيسي الذي يتم استخدامه ضد القوى التقدمية والثورية.

ولن نكون مثل ساسة واشنطن الذين يوجهون الاتهامات جزافا ودون أي أساس ترتكز عليه وسنتحدث الآن ـ وبالوقائع والحقائق ـ عن نشاطات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في الدول النامية فقط.

لقد أثبتت الوقائع والأدلة ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد شاركت أو أشرفت على الجرائم التالية حتى كانون الثاني ١٩٨١ : تنظيم الانقلاب والاطاحة بحكومة (مصدّق) في ايران عام ١٩٥٣؛ الانقلاب العسكري والاطاحة بحكومة (آربنز) في غواتيمالا عام ١٩٥٤، محاولة اغتيال (جمال عبد الناصر) عام ١٩٥٨؛ اغتيال رئيس وزراء سيريلانكا ـ سيلان سابقاً (سولومون باندار انايكا) عام ١٩٥٩؛ التآمر ضد رئيس وزراء الهند (نهرو) ـ اغتيال رئيس وزراء جمهورية الكونغو الشعبية الديمقراطية ـ زائير حاليا ـ (لومومبا) عام ١٩٦١؛ اغتيال (موندلان) رئيس جبهة تحرير موزامبيق ـ فريليمو عام ١٩٦٩؛ اغتيال (كابرال) السكرتير العام للحزب الافريقي لاستقلال غينيا وجزر الرأس الاخضر ـ بياغس عام ١٩٧٣؛ الاطاحة بحكومة الوحدة الشعبية في تشيلي واغتيال الرئيس (الليندي) عام ١٩٧٣؛ اغتيال (الشيخ مجيب الرحمن) أول رئيس لجمهورية بنغلادش الشعبية عام ١٩٧٥؛ اغتيال الرئيس (نغوابي) رئيس جمهورية الكونغو الشعبية عام ١٩٧٧؛ و ... الخ.

ويمكن الاستمرار في سرد قائمة الجرائم هذه، لكن ما يجب الانتباه اليه، هو انه اذا أراد انسان ما تعداد جرائم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي أصبح العالم على علم بها، فإن « الجرائم المعروفة » لن تكون الا قطرة ماء من بحر واسع. ومن الملفت للنظر انه بعد ان بدأت الولايات المتحدة الأمريكية « حملتها العنيفة ضد الارهاب » فإن الجرائم التي نفذتها الامبريالية الأمريكية وعملاؤها القتلة لم تقف عند حد، بل ان كل ما جرى هو اجراء عملية تمويه لهذه الجرائم لا غير. وظلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تفضل العمل من وراء الكواليس، وشن حربها التخريبية بواسطة أدواتها وعملائها.

فعلى سبيل المثال تم في عام ١٩٨١ اكتشاف مؤامرتين : الاولى ضد السيدة (انديرا غاندي) رئيسة وزراء الهند، والثانية ضد (كينيث كاوندا) رئيس جمهورية زامبيا. وقد أعدت المحاولة الاولى منظمة (أناندا مارغ) الرجعية المتطرفة ذات الصلات الوثيقة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبأجهزة الاستخبارات الغربية الاخرى. اما الثانية فقد أعدتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بالاشتراك مع نظيرتها في جمهورية جنوب افريقيا العنصرية. وقد اشتركت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وأجهزة استخبارات جنوب افريقيا في تنظيم عملية الاغارة التي قام بها المرتزقة على جمهورية سيشل. كذلك واصلت الوكالة الأمريكية نشاطاتها التخريبية الموجهة ضد جمهورية انغولا الشعبية بواسطة المجموعتين الانفصاليتين : (يونيتا) و (فنلا)، وساهم في هذا ايضاً النظام العنصري في بريتوريا وأجهزة استخباراته.

وفي حين ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحاول أن تطمس آثارها بعد ان تنفذ أعمالها، فإن البيت الأبيض الأمريكي بزعامة (رونالد ريغان) يلجأ علانية وبكل وقاحة الى الارهاب الرسمي، وعلى مرأى ومسمع من العالم. وعلى ما يبدو فإن التدخل الوقح في الشؤون الداخلية

للدول ذات الاستقلال والسيادة، وتصدير الثورات المضادة، قد اتخذا شكلاً خطيراً ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة، حينما أصبحا أساس السياسة الأمريكية.

مع ربيع عام ١٩٧٨، بدأت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ــ وبشكل سري للغاية ــ بتسليح وتدريب مجموعات من المخربين من أجل مقاتلة الحكومة الشرعية الأفغانية. واليوم، فإن ادارة (ريغان) تجعل نشاطها علنيا، ولا تخفي ابداً اشتراكها في الحرب السرية التي تشنها ضد الثورة الأفغانية الديمقراطية الوطنية المناهضة للاقطاع، والتي فتحت الطريق أمام التقدم الاجتماعي والبعث الوطني. وعلاوة على ذلك، فإن واشنطن تعلن على الملأ نواياها على متابعة تسليح وتمويل العصابات المعادية للثورة الأفغانية وإرسالها الى افغانستان من باكستان بشكل أساسي للقيام بأعمال الارهاب والتخريب.

وكلما اتجهت حكومة شرعية في بلد ما « نحو اليسار زيادة عن اللزوم » حسب وجهة نظر واشنطن، وانتهجت سياسة خارجية مستقلة، أو بدأت في عملية التحويل الاجتماعي، نرى واشنطن وقد علا صياحها، وبدأت بشن حملاتها الاعلامية المضادة لهذا البلد أو ذاك. وعندما تحدث في بلد ما ثورة مناهضة للامبريالية، أو تتسع الحركة الشعبية المضادة للطغيان، ولحكم الأقليات الاقطاعية، وللحكومات العسكرية الديكتاتورية من أجل التحرر الوطني والاجتماعي، تعمد واشنطن فوراً الى تنظيم حملة دعائية، وترفع عقيرتها بالصراخ والتنديد بـ « الخطر المحدق بالمصالح القومية للولايات المتحدة، وبأمنها القومي ».

وحينما تخفق هذه الحملة في تحقيق أهدافها المتوخاة منها، يتخلى البيت الأبيض الأمريكي عن تقديم ما كان قد وعد به من قروض الى هذه الدولة أو تلك، وتبدأ الولايات المتحدة الأمريكية بتخفيض قيمة مستورداتها من ذلك البلد المتمرد، كما تقوم بفرض حظر على تصدير

المعدات التكنولوجية أو المواد الغذائية اليه، وتعمل على زيادة حدة الضغط السياسي. فإذا ما أخفقت في تحقيق ما تصبو إليه أيضاً، فإنها تلجأ الى التهديد، والابتزاز، وتبدأ باستعراض قوتها العسكرية. كما أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تبدأ بممارسة نشاطاتها من أجل زعزعة الاستقرار في ذلك البلد، وبحياكة المؤامرات ضد الحكومة غير المرغوب بها، اضافة الى تنفيذ عمليات الاغتيال الموجهة ضد الزعماء السياسيين.

وبوقاحة لا نظير لها، تسعى الولايات المتحدة الأمريكية الى فرض سيطرتها وإحكام قبضتها على أمريكا اللاتينية التي تعتبرها ــ ولأسباب خاصة بالأمريكيين ــ من ممتلكاتها الخاصة. وما الجرائم التي ترتكب ضد شعوب السلفادور ونيكاراغوا وغيرها من دول امريكا اللاتينية الا بمثابة الدليل الساطع، والبرهان الذي لا يقبل الجدال على هذه الوقاحة الأمريكية.

إن جنود العظمة العسكرية الرجعية في السلفادور، والمسلحين بالأسلحة الأمريكية، والذين تدربوا على يد أسيادهم الأمريكيين، ويقوم « المستشارون » الأمريكيون بتوجيههم، وتمويلهم، ان هؤلاء الجنود يشنون حرباً مجرمة ضد شعوبهم، كانت نتيجتها سقوط عشرات الآلاف من الناس ضحية للارهاب والخوف. وفي غضون ذلك، تستمر واشنطن بزيادة مساعداتها العسكرية لتلك الأنظمة الدموية، كما تزيد من حدة تدخلها السافر والوقح في شؤون تلك البلاد الداخلية.

أما شعب نيكاراغوا، فإنه لا يزال عرضة لكافة أنواع الارهاب والتعذيب، سيما وان الأحداث هناك تجري وفق المخطط الذي رسمته واشنطن. ففي البداية، وبعد الثورة مباشرة، حاولت الادارة الأمريكية « عقد صفقة » مع زعماء نيكاراغوا الجدد من أجل وضعهم في الطريق

القويم « الطريق التقليدي الأمريكي اللاتيني ». لكن شيئاً من هذا القبيل لم يتحقق، لأن شعب نيكاراغوا قرر أن يختار طريقه بنفسه، وان يبني مجتمعه المتحرر من الفقر والاستغلال. وبدأت نيكاراغوا تسير في طريق التحويل الاقتصادي ــ الاجتماعي الذي يهدف الى انهاء سيطرة الاحتكارات الأمريكية. أما على صعيد سياستها الخارجية، فإنها قد اتخذت الموقف المستقل المعادي للامبريالية، وأقامت علاقات وطيدة مع كوبا.

هنا وصلت واشنطن الى طريق مسدود، وبدأ العمل بسرعة كبيرة حيث تم تنظيم آلاف الرجال من الحرس الوطني السابق التابع لديكتاتور نيكاراغوا المخلوع (سوموزا) في عصابات. وقام هؤلاء المجرمون الذين يقيمون في قواعد أقيمت لهم في (هندوراس) بالتسلل الى نيكاراغوا، ونفذوا سلسلة من عمليات التخريب، وذبحوا الكثيرين من الفلاحين والأساتذة. وقامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتدريب هذه العصابات الارهابية، وبتمويلها، وبتسليحها. وبعد ذلك قرر البنتاغون الأمريكي ارسال (١٠٠) من المستشارين العسكريين الى (هندوراس) حيث عملوا على تشكيل وحدات مسلحة من أعداء الثورة الذين فروا خارج نيكاراغوا، من أجل شن غزو مسلح ضد بلادهم.

أما منطقة بحر الكاريبي فإنها تشهد سلسلة من المناورات البحرية الواسعة النطاق، والتي تتخذ طابعاً عدوانياً لاستعراض القوة. وترافق ذلك مع تجميد واشنطن لقرارها بمنح قرض لنيكاراغوا كانت قد وعدت به، كما قامت الولايات المتحدة بوقف شحن المواد الغذائية، الى ذلك البلد، ومنعت المنظمات والهيئات المالية الدولية من تقديم القروض اليها. وكان لعملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية داخل نيكاراغوا دورهم، حيث عملوا على توسيع نطاق المساعدات المالية التي يقدمونها الى « المعتدلين » ــ الذين هم عبارة عن مجموعات وتنظيمات مناهضة

للحكومة ــ والى أرباب العمل وتشجيعهم على بذل جهودهم من أجل إفشال عمليات التحويل الاقتصادي. وتكرر الأمر نفسه في تشيلي ايضاً.

ولم يكن ذلك هو كل ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية، بل ان الرئيس (ريغان) صادق على مشروع العمليات السرية الموجهة ضد نيكاراغوا، ومنحت بموجبه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية صلاحيات تامة لانشاء وحدات شبه عسكرية من المرتزقة من أتباع سوموزا ومن الكوبيين المعادين للثورة الكوبية. وكان على هؤلاء المرتزقة الاغارة من (هندوراس) على الأهداف الحيوية في نيكاراغوا، وتدمير المنشآت الحيوية : الجسور والسدود ومحطات توليد الطاقة والمصانع، اضافة الى مهاجمة كافة المناطق المتاخمة للحدود. وقد رصدت من أجل اقامة هذه الوحدات شبه العسكرية مبالغ تقدر بـ (١٩) مليون دولار، اضافة الى استخدام (٥٠٠) رجل في هذه الوحدات.

لقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على إشراك الدول المجاورة لنيكاراغوا في هذه العمليات التخريبية الموجهة ضد هذا البلد، وقام جيش (هندوراس) الذي يشرف عليه ويوجهه « المستشارون » الأمريكيون بافتعال حوادث الصدام على طول الحدود مع نيكاراغوا. وعقدت سلسلة من الاجتماعات الأمريكية ــ الهندوراسية ــ الكولومبية من أجل إعادة بناء أو تطوير القواعد العسكرية الأمريكية على أراضي هاتين الدولتين. وتم نقل عدد كبير من الجنود الأمريكيين بواسطة طائرات الهليكوبتر الأمريكية من منطقة قناة باناما الى (كوستاريكا) من أجل القيام بمناورات عسكرية هناك.

وكانت أساليب الضغط الأمريكي تتنامى وتزداد يوماً بعد يوم. واندلعت الاشتباكات على طول خط الحدود الشمالي الشرقي لنيكاراغوا مع (هندوراس) وقام المخربون بناء على تعليمات أسيادهم الأمريكيين

بتدمير جسرين في نيكاراغوا، وحاولوا نسف عدة مواقع صناعية في العاصمة، ودبروا عدة محاولات لاغتيال زعماء الجمهورية، وزرعوا القنابل والمتفجرات في طائرات تابعة لجمهورية (نيكاراغوا). أما الهنود الحمر من قبيلة (ميسكيتو) وهم من أكبر الأقليات في البلاد، فقد تم تحريضهم على التمرد ضد الحكومة الثورية. ودأبت طائرات التجسس الأمريكية على اختراق حرمة اجواء نيكاراغوا، وكذلك فعلت الأساطيل الحربية الأمريكية في المياه الاقليمية لنيكاراغوا. وازدادت شيئاً فشيئاً أخطار التدخل العسكري الأمريكي المباشر في هذا البلد، تماماً كما حدث في غواتيمالا وجمهورية الدومينيكان.

أليس كل هذا بمثابة الدليل الواضح على الارهاب الدولي الذي ينتهك ابسط الحقوق الأساسية التي تحق لكل شعب، يريد العيش حسبما يرى لتحرير نفسه من السيطرة الامبريالية، ان يمتلكها ؟

بكل تأكيد، فإن الامور واضحة تماماً. وحينما اجتمع مجلس الأمن الدولي لبحث الشكوى التي تقدمت بها حكومة نيكاراغوا نتيجة القلق العميق الذي تشعر به نتيجة الممارسات الأمريكية الخطرة، تقدمت كل من بناما وغوايانا، بمسودة قرار تناشدان فيه كافة أعضاء هيئة الأمم المتحدة الامتناع بشكل مباشر أو غير مباشر عن استخدام القوة ضد أية دولة من دول البحر الكاريبي والقارة الأمريكية اللاتينية. ولم يتضمن مشروع القرار هذا أية اتهامات مباشرة ضد الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من وجود أسباب كثيرة لتوجيه مثل هذه الاتهامات. أما وفد الولايات المتحدة الأمريكية فقد كان هو الوفد الوحيد الذي لم يصوت الى جانب القرار، واستخدم حق النقض ــ الفيتو ــ ضد قرار يدعو بكل بساطة الى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة، واحترام حق الشعوب في تقرير مصيرها.

انه لمن الواضح تماماً أن الامبريالية الأمريكية تريد أن يكون بين يديها ما يشبه (الكارت بلانش) لكي تعمل بحرية تامة، وتمارس الارهاب الدولي تحت ذريعة « حماية العالم الحر من الحمر الملحدين ». وكتبت احدى الشخصيات البانامية تصف ما جلبته هذه « الحماية » الى شعوب امريكا اللاتينية، فقالت :

« ان انهار تشيلي تحمل معها الى مياه المحيط الهادئ مئات من جثث التشليين الكادحين الذين كانوا يعملون بهدوء وبسلام، ولم يلمسوا السلاح ولو لمرة واحدة في حياتهم. وهناك آخرون كثيرون تمّ اغراقهم في مياه المجاري، وعذبوا بواسطة المثاقب التي يستخدمها أطباء الأسنان، وكذلك بواسطة أجهزة لحام المعادن ــ وكان خنق الناس في أكياس النايلون أو القاؤهم أحياء من طائرات الهليكوبتر فوق البراكين وفي البحار من نصيب آخرين كثيرين غيرهم. وعشرات الالوف من الأجساد تم تقطيع أوصالها، والسنتها، واقتلعت عيونها من مكانها. أما النسوة اللواتي كان يتم تعذيب ابنائهن بالكهرباء، فقد كُنَّ يُجبَرْن على السير فوق أجساد أبنائهن المستلقين على شظايا الزجاج « والّا فسوف نقطع رؤوسهم » كذلك كان يتم اختطاف الأطفال الرضع وبيعهم خارج البلاد بعد ابادة عائلاتهم، وإلقاء الجثث في الآبار التي كانت تنسف بالديناميت بعد ذلك. وآلاف مؤلفة من الناس أصابها الجنون نتيجة عمليات التعذيب، ومئات من العائلات احرقت في منازلها وهي على قيد الحياة بواسطة نافثات اللهب. وتلاميذ المدارس كان لهم هم الآخرون نصيبهم في هذه العمليات الوحشية حيث كان يتم فتح أقفاصهم الصدرية بواسطة الفؤوس والسكاكين، لتستخرج قلوبهم بعد ذلك. أما الأطفال الصغار الرضع، فكان ما عانوه من صفوف التنكيل يفوق كل تصور، حين كانوا يقذفون بالهواء أحياء، ويتم التقاطهم بسيوف حادة تخترق أجسادهم ».

كل هذه الوقائع والجرائم الفظيعة ـــ والتي عاناها بلد أو عدة بلدان في أمريكا اللاتينية ـــ أوردتها الصحف البورجوازية، وهي موثقة بشكل دافع لا يتطرق اليه الشك. إنها وثائق تشبه هذا الكتاب الذي يكتب تاريخ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كأداة للارهاب الدولي، ويتحدث عن وسائلها التخريبية، وعن تقنيات العمليات السرية في جنوب شرق آسيا، وفي أمريكا اللاتينية، وافريقيا، واوروبا الغربية، والشرق الأوسط. لقد أعدت هذا الكتاب مجموعة من الصحفيين السوفييت المتخصصين بالشؤون الدولية. وقد عاش هؤلاء وعملوا في دول مختلفة، ولسنوات عديدة، وكانوا هم أنفسهم، شهود عيان على الأحداث التي وصفوها. وقد حاولوا قدر الامكان أن يكونوا حياديين، فكان العنوان الفرعي لهذا الكتاب « وثائق ـــ حقائق ـــ روايات شهود عيان ». ايضاً، فإنه استمد مادته الكاملة من سجلات الدوائر والوكالات الرسمية، ومن اعترافات عملاء حاليين وسابقين لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ومن القصص التي نشرت في الصحافة الغربية، التي يمكن وصفها واتهامها بكل شيء ما عدا أنها صحف « الدعاية الحمراء ».

ولأن واضعي هذا الكتاب يعرفون تماماً طبيعة وأخلاقيات الساسة الغربيين، وأجهزة استخباراتهم، الذي سوف يكررون ادعاءاتهم ومزاعمهم بأن ما ورد في هذا الكتاب من اتهامات وفضائح هي من « صنع موسكو » فانهم ـــ الصحافيون السوفييت ـــ كانوا حريصين تماماً على اقتباس ونشر ما كتبته اكبر الصحف والمجلات البورجوازية، وكذلك على الاستشهاد بالاعترافات التي أدلي بها أمام لجان الكونغرس الامريكي. وجميع تلك الأقوال هي لأناس من المستبعد تماماً أن يصفهم أحد ما ـــ مهما كان خصب الخيال وواسع الأفق ـــ بأنهم (عملاء موسكو).

لقد دأبت الامبريالية على استخدام المرتزقة البيض من أجل محاربة الأنظمة الافريقية غير المرغوب بها. وقد ترك هؤلاء القتلة المأجورون

آثارهم الدموية في الكونغو (زائير) ونيجيريا، وروديسيا (زيمبابوي) وانغولا، ومدغشقر، وموزامبيق، وموريشيوس، وجزر القمر، وسيشل. والأشخاص الذين يسيرون الامور هذه في الدول الافريقية، هم الذين يحملون علامة (مرتزقة : صنعت في الولايات المتحدة الأمريكية). وقد كانت هذه العلامة عنواناً لقصة نشرت في المجلة الايطالية (الاسبريسو) التي تحدث مراسلها مع بعض هؤلاء المرتزقة، خلال الاجتماع السنوي الذي عقدته مجلة جندي الخط ــ (يتجاوز عدد النسخ المباعة من هذه المجلة ٢٠٠,٠٠٠ نسخة) في سكوتسدال في ولاية اريزونا الأمريكية. و (وليام ت. لاكيت الملقب باسم بيل) والذي خدم مدة (٢٧ سنة) في القوات المسلحة الأمريكية وكان برتبة ليفتنانت كولونيل في القوات الجوية الأمريكية، واشترك في محاربة الوطنية في فيتنام، وكمبوديا، ولاووس، يحمل في عروة سترته شعاراً صغيراً كتب عليه : « انني أرغب بأن أكون حيث يتم قتل الشيوعيين ».

أما (جون ايرلي) الضابط لمدة (١٢ سنة) في مجموعة (القبعات الخضر) ــ وهي وحدة المهمات الخاصة في الجيش الأمريكي ــ والذي أصبح فيما بعد مرتزقاً، ثم قائداً لكتيبة من المرتزقة في انغولا، وموزامبيق، وزامبيا، وروديسيا، فإنه يقول : « انني على استعداد لأن اقاتل من أجل أي شخص يدفع لي، ما عدا الشيوعيين. وسبب هذا الموقف الذي أتخذه هو التربية التي نشأنا عليها في بلادنا : نحن وهم. الأخيار والأشرار : الأمريكيون والروس. هذا هو ما أشعر به في أعماق نفسي ».

ألم يكن رجال تلك العصابات، وقطاع الطرق هؤلاء يترددون على كنيسة مدرسة (اوزاركس)؟ ومع ذلك، فإن هذا ليس هو الجانب المهم فقط في هذه القضية. ان (لاكيت) و (ايرلي) وأمثالهم يقولون دوماً بأنهم يقاتلون ضد « الشيوعية الملحدة » وضد « الارهاب الدولي » ومن أجل مبدأ « العالم الحر » بينما هم يمارسون أعمال القتل والتعذيب،

والاغتصاب، والتشويه، والاحراق، في سبيل الحصول على المال. إنهم ينفذون كل ما توكله اليهم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، من مهام.

كلا، ان « الحمر » و « الدول الاشتراكية » و « الدول النامية » جميعهم ليسوا بحاجة لممارسة الارهاب السياسي، وهم جميعاً يناضلون من أجل التحويل الثوري في العالم في سبيل التقدم الاجتماعي والتحرر الوطني، وهم على ثقة تامة بأن التاريخ يقف دائماً الى جانب قضيتهم ولذلك، فإنهم يرفضون الارهاب من حيث المبدأ. والامبريالية فقط هي وحدها التي تستخدم الارهاب، وهي بحاجة اليه، لأنه لا مستقبل لها بدونه، فتلجأ الى أحط وأقذر الأعمال، محاولة أن توقف عجلة التاريخ، وان تؤجل اقتراب نهايتها واندثارها.

هذا هو الأساس الذي يرتكز عليه هذا الكتاب ... إنه لائحة الاتهام الموثقة التي يرفعها الرأي العام العالمي في وجه الارهاب الدولي، وفي وجه المخطط والمنظّم الرئيسي له، في وجه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

فيتالي سيروكومسكي

مؤسسة العنف والارهاب

بوريس سفيتوف
و
اوليغ تارين

لعبة بدون قواعد

خرجت الامبريالية من الحرب العالمية الثانية منهوكة القوى، وأثارت هزيمة كل من المانيا النازية، ايطاليا الفاشية، واليابان العسكرية، وكذلك ارتفاع هيبة الاتحاد السوفييتي لدى العالم، وظهور النظام الاشتراكي، أثارت مجمل هذه الأحداث الانزعاج في أوساط الولايات المتحدة الأمريكية التي أخذت تقرع ناقوس الخطر. ومن أجل الانتقاص من المبادئ الشيوعية والتشهير بسياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية والداخلية، بدأت آلة الاعلام المضاد والدعاية الغربية بالعمل فيما وراء المحيط الأطلسي وتم تطوير أساليب الحرب النفسية.

وقرر للعمليات السرية أن تكون متممة للحملة الدعائية، وتشمل هذه العمليات السرية القيام بعمليات التخريب على نطاق عالمي، وتشكيل المنظمات التخريبية، وحياكة المؤامرات، وتنفيذ عمليات الاغتيال، وانشاء وحدات شبه عسكرية على غرار منظمات المقاومة. وتم إعداد ما يشبه « التشريع » ليكون بمثابة غطاء شرعي من أجل خداع الرأي العام وتضليله.

لقد تأسست وكالة المخابرات المركزية الأمريكية طبقاً لقانون الأمن القومي في عام ١٩٤٧، وحينما بدأ زخم الحرب الباردة بالاشتداد. ورغم أن الاتجاه (الإستخباري) كان هو الاتجاه المقرر لهذه الوكالة، فإن

العمليات السرية كانت هي الأكثر بروزا في مجال عملها ومنذ بداياتها المبكرة.

إن ما يجب على المرء ملاحظته، هو أنه لا توجد هناك أية إشارة إلى العمليات السرية في قانون الأمن القومي. لكن هناك إشارة في أحد بنود هذا القانون تتيح لوكالة المخابرات المركزية « القيام بمثل هذه العمليات والواجبات التي هي من اختصاص المخابرات بناء على توجيهات مجلس الأمن القومي »[1].

ويقول وزير الدفاع الأمريكي الأسبق (كلارك. م. كليف) وهو أحد الذين وضعوا قانون الأمن القومي عام ١٩٤٧ عن هذا البند : « لقد قُرر لقانون تأسيس وكالة الإستخبارات المركزية أن يحتوي على فقرة (شاملة) من أجل الاحتياط للمستقبل ... وبموجب هذه الفقرة الشاملة تمت المصادقة على العمليات السرية واقرارها منذ عام ١٩٤٧. وأتذكر أن مثل هذه النشاطات السرية بدأت منذ عام ١٩٤٨، بل ان بعضها تم التخطيط له منذ أواخر عام ١٩٤٧. وكان من المقرر لهذه العمليات التي سيجري تنفيذها بموجب هذا القانون أن تخضع لرقابة دقيقة، وأن يتم تحديدها ... وان الفقرة الشاملة التي وردت في هذا القانون حددت أن هذه الأعمال إنما يجري تنفيذها حينما يكون هناك مساس بالأمن القومي فقط »[2].

وهكذا غدت هذه الفقرة (الشاملة) منفذاً قانونياً لكل من اعتبر أن وكالة المخابرات المركزية هي بمثابة أداة سرية للسياسة الخارجية الأمريكية.

(١) التقرير الختامي للجنة دراسة العمليات الحكومية وارتباطها بنشاطات المخابرات. المجلس الأمريكي الأعلى. المجلد الأول. مطبعة الحكومة الأمريكية. واشنطن. ١٩٧٦، ص ٥١٢.

(٢) المصدر السابق.

وفي شهر كانون الأول ١٩٤٧ أوصت الادارة الأمريكية مجلس الأمن القومي بأن عليه اتخاذ الاجراءات المناسبة لاستكمال الأساليب التقليدية للسياسة الخارجية عبر العمليات السرية. وفي الشهر نفسه، أصدر مجلس الأمن القومي الأمر رقم ٤ الذي يمنح وزير الخارجية الأمريكية صلاحيات واسعة لتنسيق كافة الأعمال والنشاطات المرتبطة بعمليات جمع المعلومات لصالح الإستخبارات. وتمت الموافقة على الأمر رقم ٤ /أ الصادر غن مجلس الأمن القومي يوم ١٤ /١٢ /١٩٤٧، والذي يمنح وكالة المخابرات المركزية حقوقاً استثنائية من أجل شن الحرب النفسية، وفي الوقت نفسه فإنه كان بمثابة (كارت بلانش) لمواصلة القيام بالعمليات السرية خارج الولايات المتحدة. وقد حدد الأمر رقم ٤ /أ الصادر عن مجلس الأمن القومي الحرب النفسية على الشكل التالي :

« ان تقنيات الأعمال السرية تتضمن العمل على نشر الدعايات والنشاطات شبه العسكرية وتقديم العون الاقتصادي والتأييد إلى الأحزاب السياسية الأجنبية، وشن الحرب الاقتصادية، والقيام بعمليات التخريب، وتقديم المساعدات إلى منظمات التحرير اللاجئة »[٣].

وأصدر مجلس الأمن القومي خلال الفترة الواقعة بين حزيران ١٩٤٨ وآذار ١٩٥٥ سلسلة من الأوامر التي تتعلق بالعمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية. وفي ١٨ حزيران ١٩٤٨ وبناء على الأمر رقم ٢ / ١٠ الصادر عن مجلس الأمن القومي تم تشكيل (المجلس ٢ /١٠) الذي يعد بمثابة نواة « الهيئة الاستشارية لعمليات المخابرات في الخارج » والتي تم انشاؤها في عهد الرئيس (فورد)، وتضمنت مهمة هذا المجلس العمل على البحث في وعن العمليات السرية المقترحة. وفي

(٣) المصدر السابق. ص ١٤٢ ــــ ١٤٤.

٢٣ /١٠ /١٩٥١ أصدر مجلس الأمن القومي الأمر رقم ٥ /١٠ الذي تضمن صلاحيات واسعة لتوسيع نطاق العمليات السرية على امتداد العالم(٤)، وكذلك بعض التغييرات في طرق عمليات التنسيق(٥).

من أجل أن نفهم أكثر ما الذي كان يعنيه الآباء المؤسسون لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بمصطلح « العمليات السرية » دعونا نقرأ السطور التالية من الأمر رقم ٢ /١٠ الصادر عن مجلس الأمن القومي : « إن المقصود بمصطلح (العمليات السرية) هو جملة النشاطات السرية المتخذة التي ترمي إلى التأثير على الحكومات الأجنبية وكذلك على الأحداث والمنظمات والأشخاص الأجانب من أجل تحقيق التأييد والدعم لسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ويجب أن يتم تنفيذ هذه النشاطات دون أن يظهر تورط الحكومة الأمريكية فيها. وفي كل الأحوال فإن هذه النشاطات يجب أن لا تستخدم بطريقة توحي بأن الكونغرس الأمريكي قد أجاز مثلها ...

« وهذه النشاطات السرية تشمل القيام بأعمال الدعاية والحرب الاقتصادية، والأعمال الوقائية المباشرة بما فيها عمليات التخريب، ومقاومة عمليات التخريب المضادة، والتدمير، والاجلاء، وكذلك عمليات التخريب ضد الدول المعادية بما في ذلك تقديم المساعدات إلى

---

(٤) كانت العمليات السرية التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقوم أساساً على « الحرب النفسية » المرتبطة بوسائل الاعلام عبر استخدام المنشورات والاذاعات « السوداء » المزيفة، وتقديم الدعم لنشر المواد المزورة. وحينما أصدر مجلس الأمن القومي الأمر ٢ /١٠ تمت اضافة ثلاث وسائل لتنفيذ العمليات السرية اضافة إلى « الحرب النفسية »، وهذه الوسائل هي : الحرب السياسية، والحرب الاقتصادية، والقيام بالأعمال الوقائية المباشرة مثل دعم عصابات المتمردين والمنظمات التي تقوم بالأعمال التخريبية.

(٥) تم توحيد مكتب التنسيق السياسي مع مكتب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية للعمليات الخاصة الذي كان يقوم بمهام التجسس.

حركات المقاومة ومنظمات التحرير اللاجئة، ودعم العناصر المعادية للشيوعية التي يواجهها الخطر في دول العالم الحر »[6].

إن تصعيد العمليات السرية وتوسيع مداها لم يتطلب فقط إيجاد نوعية جيدة من الخبراء في عمليات وطرق التخريب، بل أيضاً إيجاد جهاز خاص يستطيع تنظيم ومتابعة مثل هذه العمليات على امتداد العالم.

وكانت تلك هي الأسباب التي دعت إلى إنشاء (مكتب التنسيق السياسي) شبه المستقبل في نهاية الأربعينات، والذي كان يتلقى التعليمات والأوامر السياسية مباشرة من وزارتي الخارجية والدفاع الأمريكتين. وتضمن الأمر الذي صدر من أجل تأسيس مكتب التنسيق هذا إشارة إلى « أعمال التخريب السوفييتية » وتلميحات إلى « التهديد السوفييتي ». حيث اعتقد واضعو هذا الأمر أن مثل هذه الاشارات والتلميحات تعطي المبررات المقنعة لمكتب التنسيق السياسي من أجل المضي قدماً في مواصلة العمليات السرية المختلفة والتي تشتمل، فيما تشتمل عليه، على عمليات التخريب السياسي والاقتصادي والايديولوجي.

لقد كان عدد الأعضاء العاملين في مكتب التنسيق السياسي عام ١٩٤٩ حوالي (٣٠٢) موظفاً، ووصل هذا العدد في عام ١٩٥٢ إلى (٢٨١٢) موظفاً. يضاف إلى ذلك كله وجود حوالي (٣١٤٢) شخصاً يضطلعون بمهام مختلفة في الخارج على أساس التعاقد.

أما الميزانية المالية لهذا المكتب فكانت عام ١٩٤٩ (٤٫٧) مليون دولار، وارتفعت عام ١٩٥٢ إلى (٨٢) مليون دولار. وكان لهذا المكتب في عام ١٩٤٩ حوالي سبعة فروع في الخارج، ازداد عددها إلى (٤٧) عام ١٩٥٢.

---

(٦) التقرير الختامي، ص ١٣١ ـــ ١٣٢.

إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومنذ بداية تأسيسها ارتكزت في عملياتها على حملة من المعاداة المسعورة للاتحاد السوفييتي. ونشر البيت الأبيض جملة من التصورات المعادية للاتحاد السوفييتي، ووصفه بأنه قوة عدوانية، وكانت هذه هي النقطة التي بدأ منها مكتب التنسيق السياسي برسم وتنفيذ العمليات السرية. وأشارت الأوامر الصادرة عن مكتب الأمن القومي والتي أقرت بصورة مباشرة النشاطات التخريبية، إلى الحاجة « لمواجهة التهديد السوفييتي » كما أن ما صدر بين عامي ١٩٥٠ ــ ١٩٥١ من هذه الأوامر شدَّد على التكثيف الشامل لهذه العمليات. وأصبحت إدارة مكتب التنسيق السياسي أمام البنتاغون والخارجية الأمريكية أكثر غموضاً، مما أتاح المجال أمام هذا المكتب لتنفيذ العديد من العمليات التي يراها مناسبة.

وكان يجب على مكتب التنسيق السياسي هذا أن يقوم بتنفيذ عمليات خاصة تخدم مصالح عدة جهات مختلفة. فقد شجعت وزارة الخارجية الأمريكية الأعمال السياسية وحملات الدعاية لخدمة أهدافها الدبلوماسية، بينما طالبت وزارة الدفاع بعمليات شبه عسكرية من أجل تأييد الحرب ضد كوريا أو لمقاتلة الفدائيين الذين لديهم علاقات واتصالات مع الشيوعيين. وهذا التنوع مع الأهداف، أجبر مكتب التنسيق السياسي على أن يصبح ترسانة ضخمة، وأن يضم بين صفوفه جملة من الموظفين الاختصاصيين المدربين، وكذلك المعدات والتقنيات اللازمة.

إن تأسيس مكتب التنسيق السياسي، ومكانته لدى وكالة المخابرات المركزية الامريكية، قد عملا على ظهور مشكلتين إداريتين جديتين : وهما التنافس بين مديرية وكالة المخابرات الأمريكية ومكتب التنسيق السياسي، والعداء بين مكتب التنسيق السياسي ومكتب العمليات الخاصة.

وكان النزاع على المستوى العادي حاداً. فقد كان لكل مكتب ممثلوه في مكاتب المخابرات المركزية الأمريكية في الخارج. وحينما

كانت توكل إليهم مهمات متشابهة، فإن المكاتب ــ غالباً ــ كانت تستخدم العملاء أنفسهم بل انه في بعض الأحيان، كان يحاول مكتب ما استخدام العميل واستمالته إلى طرفه، وأدّى النزاع المسلح بين مكتب التنسيق السياسي ومكتب العمليات الخاصة في بانكوك عام ١٩٥٢ إلى تدخل عاجل من قبل المدير التنفيذي لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية (ليمان كيركباتريك). وكان سبب هذا النزاع محاولة مكتب العمليات الخاصة إستمالة موظف هام من أهالي بانكوك إلى طرفه، سيما وأن هذا الموظف له علاقاته المتينة مع مكتب التنسيق السياسي.

واتخذ الجنرال (وولتر بيدل سميث) مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بين عامي ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢ عدة خطوات تستهدف تحسين وتقوية التنسيق بين هذين القسمين، وكانت نتيجتها دمج هذين القسمين : مكتب التنسيق السياسي ومكتب العمليات الخاصة في جهاز واحد اطلق عليه اسم (ادارة التخطيط). وقد أدت عملية الدمج هذه إلى حدوث ارتفاع حاد في عدد العمليات التخريبية على حساب نشاطات التجسس وجمع المعلومات بشكل سري. فقد كان يرى عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكذلك رؤساؤهم ان القيام بالأعمال التخريبية هو الطريق الذي يجب عليهم أن يسيروا فيه لأن نتائج الأعمال التخريبية سوف تظهر بسرعة، بينما عملية تجنيد العملاء تتطلب جهوداً مضنية وطويلة الأمد، ونتائجها أيضاً لن تظهر بسرعة.

ومع نهاية عام ١٩٥٣ تمكنت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من إنهاء عملية تكوين هيكلها الداخلي، هذا الهيكل الذي بقي على حاله ولم يتغير لمدة عشرين سنة تالية. وقد ساعدت (المغامرة الكورية) وكذلك تصعيد الحرب الباردة على سرعة تطور المخابرات المركزية الأمريكية، وازداد حجمها بمقدار ست مرات عما كان عليه عام ١٩٤٧.

لقد أقيمت داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ثلاث دوائر،

منها (إدارة التخطيط) التي كان تحت سيطرتها القسم الأكبر من ميزانية الوكالة، والملاكات، والموارد الأخرى. وقد انفق في عام ١٩٥٢ على العمليات التخريبية وعمليات التجسس والنشاطات السرية حوالي ٧٤٪ من الميزانية العامة لوكالة المخابرات، وقام بأداء هذه المهام نحو ٦٠٪ من مجموع عناصر الوكالة.

ومع منتصف سنوات الخمسين، أصبحت العمليات السرية جزءاً متمما (للصراع الدائم) مع الاتحاد السوفييتي ومع بقية دول المعسكر الاشتراكي. وفي شهر ايلول عام ١٩٥٤ قدم إلى الرئيس (ايزنهاور) ملف سري عن العمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكانت مقدمة هذا التقرير تحتوي على مفهوم ساخر ولافت للنظر بوقاحته حول ضرورة العمليات السرية، وجاء في هذه المقدمة : « ما دام الأمر يتعلق بالسياسة القومية للولايات المتحدة، فإنَّ المطلوب إقامة ـــ هيئة عدوانية سرية سياسية وشبه عسكرية، تكون ذات فعالية كبيرة، وفريدة من نوعها، وإذا اقتضى الأمر فلتكن عديمة الرحمة والشفقة، ويجب أن تكون أقوى من تلك الأجهزة المستخدمة من قبل العدو. ولا يسمح لأحد ما أن يقف حجر عثرة في طريق تنفيذ هذه المهمة، والذي يجب أن يتم بشكل سريع وفعال ومأمون ... ان من الواضح الآن اننا نواجه عدواً لدوداً، ولذلك فليست هناك أية قواعد في مثل هذه اللعبة، وبناء عليه فإن المقاييس والمستويات المألوفة في السلوك البشري غير مقبولة في هذا المجال ... يجب علينا أن نعمل على تطوير فعالية جهاز التجسس ومكافحة التجسس، وكذلك ان نتعلم جيداً كيفية ممارسة التخريب والافساد وتدمير أعدائنا ... وربما كانت هناك حاجة لاطلاع الشعب الأمريكي على هذه الأمور ليتفهمها، وليؤيد هذه الفلسفة البشعة من أساسها »[٧].

---

(٧) التقرير الختامي، ص ٥٠.

لكن الذي حصل هو أن الشعب الأمريكي عرف بهذه الفلسفة البشعة بعد ظهورها على أرض الواقع، ولذلك يمكن القول انه سوء الحظ فإن موافقة هذا الشعب على هذه الفلسفة لم تكن تهم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من أجل مواصلة عملياتها السرية.

وفي عام ١٩٥٥ أصدر مجلس الأمن القومي أمراً جديداً حول النشاط التخريبي رقم ٥٤١٢ والذي ظل ساري المفعول حتى شهر شباط عام ١٩٧٠ حينما تم تشكيل ما يسمى (بلجنة الأربعين). وقد تضمن هذا الأمر الأهداف الرئيسية لعمليات التخريب التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية، وصيغ على الشكل التالي بلغة عسكرية دقيقة وموجزة :

« ـــ العمل على خلق المشاكل واستغلالها ضد الشيوعية العالمية.

« ـــ تشويه سمعة الشيوعية العالمية والحد من قوة الأحزاب والمنظمات الشيوعية.

« ـــ العمل على الحد من سيطرة الشيوعية العالمية على أية بقعة في العالم.

« ـــ العمل على تقوية توجه دول العالم الحرّ نحو الولايات المتحدة الأمريكية، مع التأكيد ـــ إن كان ذلك ممكناً ـــ على تطابق مصالح هذه الدول مع مصالح الولايات المتحدة، وكذلك العمل على تشجيع تلك المجموعات التي تعمل أو تؤمن بتنمية مثل هذه العلاقات والمصالح المتبادلة، ودعم وتأييد تلك الدول والشعوب من أجل مقاومة الشيوعية العالمية.

« ـــ ومن أجل تحقيق هذه السياسة، ومن أجل تطبيقها على أوسع مدى حتى في المناطق الخاضعة أو المهددة بالشيوعية العالمية يجب العمل على تنمية وتطوير المقاومة السرية، وتسهيل عملياتها السرية »[٨].

---

(٨) المصدر السابق، ص ٥١.

وكرّس جزء من هذا الأمر للحديث عن الطرق والوسائل التي يجب استخدامها للوصول إلى هذه الأهداف، وجاء فيه :

« إن مثل هذه العمليات يجب أن تتضمن أي نشاط سري يتعلق بأعمال الدعاية، والنشاط السياسي، والحرب الاقتصادية، والأعمال الوقائية المباشرة بما في ذلك عمليات التخريب، ومقاومة التخريب المضاد، وكذلك عمليات التدمير، والانسحاب بعد تنفيذ العمليات، وعمليات التمويه وعمليات إجلاء أدوات التنفيذ، يضاف إلى ذلك القيام بعمليات التخريب ضد الدول والمنظمات المعادية لنا بما فيها تقديم المساعدات لحركات المقاومة السرية، ولحركات الفدائيين، وإلى حركات التحرير اللاجئة ودعم العناصر المحلية المعادية للشيوعية في دول العالم الحر التي يهددها الخطر الشيوعي، وكذلك القيام بكافة أنواع عمليات الخداع وكافة النشاطات الضرورة من أجل انجاز وتحقيق الأهداف المشار اليها أعلاه »[٩].

كذلك، فإن هذا الأمر احتوى على تغييرات جوهرية فيما يتعلق بالاشراف والموافقة على العمليات السرية. وأنيطت أعمال (هيئة تنسيق العمليات) بممثلين عن وزارة الخارجية الأمريكية، ووزارة الدفاع وعن الرئيس الأمريكي.

وأصبحت (المجموعة الخاصة) كما تسمى حالياً هي المخولة بالاشراف والموافقة على خطط العمليات الخاصة.

وأصبح من الظاهر للمرء ان كل العمليات الهامة التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد أصبحت تخضع لرقابة حكومية صارمة. لكن الأمر رقم ٥٤١٢ الصادر عن مجلس الأمن القومي لم يشر

---

(٩) المصدر السابق، ص ٥١.

بوضوح إلى تلك المقاييس التي تحدد ماهية العمليات التي يجب أن تعرض على (المجموعة الخاصة) أو تلك التي لا تخضع لمثل هذه الاجراءات. وهذا ما يمكن ملاحظته في مذكرة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية عام ١٩٦٧.

« إن الاجراءات التي كان من الواجب اتباعها لتحديد أي العمليات السرية يجب أن تتطلب موافقة المجموعة الخاصة أو وزارة الخارجية أو أية جهة أمنية امريكية أخرى، إن هذه الاجراءات كانت ــ وخلال الفترة من ١٩٥٥ حتى آذار ١٩٦٣ ــ غامضة بعض الشيء، وإنه من الأفضل بأن توصف بأنها كانت تعتمد على تقييم وحكم مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية »[١٠].

وفي بداية الأمر، فإن اجتماعات هذه (المجموعة الخاصة) لم تكن كثيرة ومنتظمة، فالعلاقات الحميمة بين مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (آلن دالاس) وشقيقه (جون فوستر دالاس) وزير الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت، والرئيس (ايزنهاور) لم تكن تتطلب مثل تلك الاجراءات الرسمية من أجل اتخاذ القرارات. لكن منذ عام ١٩٥٩، أصبحت إجتماعات (المجموعة الخاصة) تعقد بشكل منتظم، وقد ساعد هذا الأمر على تطوير تلك المقاييس والاجراءات التي تحدد مدى سلطة (المجموعة الخاصة) ومدى صلاحياتها فيما يتعلق بمناقشة مخططات العمليات السرية.

---

(١٠) المصدر السابق، ص ٥٢ ــ حدثت في شهر آذار عام ١٩٥٧ بعض التغييرات المتعلقة بتنسيق مثل هذه الاجراءات، فقد منح وزير الخارجية الأمريكي حق الموافقة على بعض العمليات ذات الأهمية الخاصة. وكان على وكالة المخابرات المركزية ان تحيط وزارتي الخارجية والدفاع بمسار كل العمليات السرية التي تمت الموافقة عليها.

ومع استلام الرئيس (كنيدي) سدة الرئاسة في شهر كانون الثاني عام ١٩٦١، أصبحت اجتماعات (المجموعة الخاصة) تعقد في البيت الأبيض، ويترأسها (ماك جورج باندي) مساعد الرئيس الخاص لشؤون الأمن القومي (وقد ترأس هذه اللجنة لفترة من الوقت الجنرال ماكسويل تايلور المستشار الخاص للرئيس، وحينما عين رئيسا لهيئة الأركان المشتركة، عهد بهذا المنصب إلى باندي).

واتخذت عدة اجراءات تستهدف تقوية السيطرة الحكومية على العمليات السرية بعد إخفاق عملية (خليج الخنازير) التي قام بها أعداء الثورة الكوبية. في الوقت ذاته تابعت (المجموعة الخاصة) عقد جلساتها الاسبوعية في البيت الأبيض، وأصبح الرئيس الأمريكي (كنيدي) على علم دائم بمشاريع العمليات السرية المقترحة. أما آلية الموافقة على العمليات السرية ومراقبتها، فقد قسمت إلى ثلاثة أقسام، حيث تم إنشاء جهازين تنفيذيين اضافة إلى المجموعة الخاصة : الجهاز الأول هو **جهاز مكافحة التخريب**، والثاني هو **جهاز المجموعة الخاصة الموسع**.

كانت هناك مجموعة صارمة من الأوامر الجديدة التي وضعت من أجل تأمين نجاح العمليات السرية. ففي ١٨ كانون الثاني ١٩٦٣ صدر الأمر (نسام ١٢٤) وبموجبه تم إنشاء مجموعة خاصة مهمتها الرئيسية مواصلة العمليات شبه العسكرية. ولم يعمل هذا الأمر الجديد على إلغاء الأوامر الصادرة عن مجلس الأمن القومي حول النشاطات التخريبية، بل عمل على نقل بعض العمليات التي كان يفترض بالمجموعة الخاصة تنفيذها، إلى المجموعة الخاصة رقم ٢ ـــ وكان رئيس هذه المجموعة الجنرال (ماكسويل) وتضم في عضويتها (ماك جورج بانـدي) و (السيناتور روبرت كنيدي).

وفي عهد الرئيس (جونسون) أعيدت تسمية المجموعة الخاصة، حيث أطلق عليها اسم (اللجنة ٣٠٣)[١٢] وبقي رئيسها المساعد الخاص للرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي .. لكن التخطيط للعمليات السرية أصبح يتم بشكل رئيسي الآن خلال الاجتماع التقليدي على مائدة الغذاء كل يوم ثلاثاء في البيت الأبيض. وكانت تلك الاجتماعات غير رسمية، ويحضرها الرئيس (جونسون) ووزير خارجيته (دين راسك) ووزير الدفاع (روبرت ماك نامارا) ومساعد الرئيس الخاص لشؤون الأمن القومي (ماك جورج باندي). وبشكل تدريجي انضم الى هذه اللقاءات كل من : السكرتير الصحفي للرئيس جونسون، ومدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ورئيس هيئة الأركان المشتركة، والذين شاركوا في مناقشة خطط العمليات المتعلقة بنشاط وكالة المخابرات المركزية ضد فيتنام.

أما يوم ١٧ شباط ١٩٧٠ فقد شهد صدور الأمر (نسام ٤٠) والذي تم بموجبه انشاء (لجنة الأربعين). وكان هذا الأمر بمثابة إلغاء لكل الأوامر السابقة الصادرة عن مجلس الأمن القومي فيما يتعلق بالعمليات السرية. وقرر هذا الأمر ان كل المساعي العلنية التي تقوم بها الولايات المتحدة على الصعيد الدولي يجب أن تتم بواسطة العمليات السرية في المستقبل أيضاً.

وألقى الأمر (نسام ٤٠) بالمسؤولية على مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فيما يتعلق بمراقبة العمليات العسكرية وتنسيقها.

---

(١٢) في حزيران ١٩٦٤ صدر الأمر (نسام ٣٠٣) وقد أبقى هذا الأمر على التكشيل السابق نفسه والخصائص والقوة السابقة للمجموعة الخاصة، لكن اعيدت تسميتها باسم (اللجنة ٣٠٣) لأن اسمها الأصلي أصبح معروفاً بعد الاشارة إليه في كتاب (الحكومة الخفية) لمؤلفيه (دافيد وايز) و (توماس روس).

وأصبح على مدير هذه الوكالة تخطيط العمليات السرية وتنفيذها بما يتناسب مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بالسياستين الداخلية والخارجية، ويجب عليه أن يتشاور مع كافة الأطراف والهيئات ذات الاختصاص للحصول على الموافقة لتنفيذ هذه العمليات، وأن يحدد بدقة مدى الثقة التي يستحقها كل طرف من هذه الأطراف للاطلاع على العمليات.

كذلك، فإن هذا الأمر الجديد حدّد دور (لجنة الأربعين) وأشار إلى أنه يجب على مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الحصول على موافقة (لجنة الأربعين) لكافة البرامج والخطط السياسية للعمليات السرية. وأدخل هذا الأمر مبدأ جديداً تماماً على العمليات السرية يتلخص بمنح (لجنة الأربعين) الحق في الاطلاع سنوياً على نتائج العمليات السرية التي تمت الموافقة عليها سابقاً.

أما الخطوط العريضة التي يتم بموجبها تقديم خطط العمليات السرية لـ (لجنة الأربعين) فقد صدرت ضمن تعميم داخلي في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، حيث على مدير الوكالة أن يقرر بنفسه فيما إذا كان يجب تقديم خطة هذه العملية أو تلك إلى (لجنة الأربعين) للحصول على موافقة سياسية.

وأوضح الأمر الداخلي لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية « أنه قبل تقديم الخطط المقترحة وعرضها على مدير الوكالة وبالتالي على (لجنة الأربعين) يجب أن يتم التنسيق مع وزارة الخارجية الأمريكية وفيما يتعلق بالعمليات شبه العسكرية فإنه يجب تنسيقها مع وزارة الدفاع الأمريكية، ويجب الحصول على موافقة السفير الأمريكي في البلد المعني »[١٢].

---

(١٢) التقرير الختامي، ص ٥٤.

تلك هي الآلية التي يتم بها تنفيذ العمليات السرية، والتي أصبحت جزءاً أساسياً في النظام السياسي الأمريكي.

أما المبادرات الاجرامية وغير القانونية التي كانت تقوم بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، فإنها كانت تمهر بخاتم الرئيس الأمريكي ومستشاريه الكبار.

ورغم ذلك، فإنه من الخطأ الاعتقاد أن العمليات السرية كانت بمثابة دور ثانوي لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية فقط، بل انها (العمليات) هي التي شكلت هذه السياسة الخارجية. وأي حديث عن (قصر نظر) السياسيين الذين يمكن الادعاء بأنهم كانوا ضحية خداع دهاة المخابرات المركزية الأمريكية هو حديث غير مقنع. والحرب السرية التي تشنها وكالة المخابرات الأمريكية ضد كافة الشعوب، والتي وصفت في تقرير مقدم إلى الرئيس (ايزنهاور) على أنها (الحرب) لعبة بدون قواعد، لا زالت دوراً رئيسياً ومتمماً للسياسة الخارجية للولايات المتحدة.

في عام ١٩٧٥ حاول البيت الأبيض التملص من الأعمال الاجرامية التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية، ولاسيما أن الرأي العام الأمريكي، وكذلك الرأي العام العالمي عرفا الكثير عن هذه الجرائم بعد استيلاء الطغمة العسكرية على الحكم في تشيلي. وشكلت لجنة خاصة من الكونغرس الأمريكي للتحقيق في الأعمال القذرة التي تقوم بها المخابرات الأمريكية في الخارج، وعهد برئاسة هذه اللجنة إلى السيناتور (فرانك تشيرش) الذي حاولت وسائل الدعاية والاعلام الأمريكية تصويره على أنه رجل مستقل ومستقيم. وحينما أماطت الحكومة الأمريكية اللثام عن الأعمال القذرة التي كانت تقوم بها أجهزة مخابراتها، كانت تهدف إلى تحقيق غايتين اثنتين : الأولى : اقناع الرأي العام أن

الأوساط الأمريكية الحاكمة لم يكن لديها علم بما يجري، وبالتالي فإنها لم تشترك في تنفيذ هذه الأعمال غير القانونية، وهي بهذا تبعد اللوم والمسؤولية عن نفسها، والغاية الثانية : عرض تهريجي للعدالة والنزاهة اللتين تدعي الأوساط الأمريكية الحاكمة انهما جزء أساسي وفطري في الديمقراطية الأمريكية.

وتم نشر تقرير لجنة (تشيرش) في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٥ ولكن هذا لم يثر أية ضجة ولا أي رد فعل في الحياة السياسية الأمريكية. والحماسة التي كانت موجودة من أجل كشف فضائح الأعمال التخريبية ووقائعها كان مصيرها بين يدي رجال المراقبة وفي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وخاصة بين يدي المستشار الخاص للوكالة (ميشيل روغوفين) الذي كان الشخص الوحيد الذي يقرر ما يمكن للكونغرس الأمريكي ان يطلع الرأي العام عليه، وما يجب أن يبقى طي الكتمان.

وعلى الرغم من الحملة الاعلامية والدعائية التي أعدها البيت الأبيض بكل دقة وترتيب، فإنه أخفق باقناع الرأي العام أن الادارة الأمريكية ليس لديها أي علم بجرائم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وأظهرت الحقائق والوقائع أن الخبراء القتلة المتوارين عن الأنظار في وكالة المخابرات الأمريكية، وكذلك طاقم البيت الأبيض، هم أعضاء يلعبون في الفريق نفسه.

اعترافات وموت السيد موت

دعونا نستذكر أن الاداة الأولى للمخابرات المركزية الأمريكية التي تنفذ العمليات السرية ـــ وقد تحدثنا عنها فيما سبق ـــ وهي مكتب التنسيق السياسي، قد تم تأسيسها سنة ١٩٤٨، لكي تعمل ـــ من ضمن المهام الأخرى الموكولة إليها ـــ في مجالات « التخريب، وتقديم المساعدات لمنظمات التحرير اللاجئة، وتأييد ودعم المجموعات المعادية للشيوعية في المناطق المحتلة أو الخاضعة لأي نوع من أنواع التهديد »[1]. وفيما بعد، وبناء على عملية تطوير الهيكل الداخلي لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، فإن هذه المهام أصبحت من اختصاص (قسم العمليات الخاصة) الذي تم تأسيسه ضمن اطار (مكتب عمليات المخابرات الأمريكية).

ومن الطبيعي، فإن هذه الأعمال « الدقيقة » كانت تتطلب إيجاد كادر مدرب بشكل جيد، ولذلك، فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لم تضيع وقتاً أبداً في سبيل تأمين هذه المتطلبات، فعملت على إقامة معسكرات وقواعد خاصة لتدريب الارهابيين والمخربين والقتلة داخل الولايات المتحدة ثم خارجها فيما بعد. وتمت في هذه المعسكرات

---

(١) التقرير الختامي، ص ١٤٤.

عملية تدريب العديد من أفراد (قسم العمليات الخاصة) التابع لوكالة المخابرات، إضافة إلى تدريب العملاء الأجانب، والمرتزقة الذين كان يتم استخدامها فيما يسمى بالعمليات شبه العسكرية، أو توكل إليهم مهمات « حساسة » أخرى[٢].

أما (فيليب آغي) وهو عميل سابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وأحد الذين تلقوا تدريباتهم في مثل هذه المعسكرات فإنه يصف لنا هذه المعسكرات في كتابه الذي يحمل عنوان (في داخل الشركة : يوميات الـ سي. آي. ايه) حيث يقول :

« ان هذا المعسكر يقع في منطقة غابات كثيفة، وهو محاط بجدار عال عليه أسلاك شائكة، ولوحة كتب عليها بوضوح : ممنوع الدخول ... منطقة حكومية. والحد الشمالي لهذا المعسكر هو نهر يورك. أما في الداخل، فقد تم تقسيم هذا المعسكر إلى عدة مناطق خاضعة لمراقبة شديدة ... وفي هذه المناطق توجد أماكن خاصة للتدريب على عمليات الانزال الجوي والبحري ... ».

ويتابع قائلاً ... « بعد أن تنفذ المجموعة عملية التسلل إلى المنطقة المحددة، فإن هناك عدة مهام تنتظر أولئك المتسللين أفراداً كانوا أم جماعات، وغالباً ما تكون هذه المهام عبارة عن إنشاء مستودعات لتخزين الأسلحة، ومعدات الاتصال، وأدوات التخريب من أجل استخدامها من قبل أناس آخرين سيحلون مكانهم. وهناك أيضاً مهام أخرى تقوم بها المجموعة المتسللة مثل زرع الألغام والمواد الحارقة والمتفجرة التي تكون جاهزة للانفجار بعد مرور أيام أو أسابيع أو حتى بضعة شهور. وتشتمل أسلحة التخريب هذه أيضاً على سوائل من

---

(٢) وكالة المخابرات الأمريكية وعبادة الإستخبارات : فيكتور مارشيت وجون د. ماركس. نيويورك، ١٩٧٤ ص ١٢٤.

الغازولين ومن النفط تعمل على إيقاف المركبات ووسائل النقل، وعلى تعطيل المطابع، وإغراق السفن، إضافة إلى أنواع أخرى من المواد الحارقة والمتفجرة ... أما الذين يقومون بتعليم العملاء على التخريب أو ما يمكن تسميتهم بـ (صبيان الحرق والتفجير) فقد قاموا بأداء عرض مؤثر لقدراتهم. ويمكن أن يقال بأن العمليات التي نفذوها قد صممت بشكل لا يترك أي أثر يدل على أنها عملية تخريبية »[٣].

هناك أيضاً عميل آخر تخرج من أحد معسكرات التدريب بعد أن أمضى فيها دورة تدريبية، حيث يصف في حديث له مع مجلة (رامبارتس) وبالتفصيل عملية التدريب التي تلقاها هناك :

« إن الهدف الذي أسست من أجله مدرسة العمليات شبه العسكرية كان تدريبنا لكي نقوم فيما بعد بتدريب الفلاحين في القرى والذي يريدون الدفاع عن أنفسهم ضد هجمات الفدائيين ولقد صدقت ذلك في البداية ... لكن الذي حدث هو أنه تم نقلنا بعد ذلك إلى مراكز تدريب تابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية حيث تلقينا هناك تدريبات في عمليات التكتيك والتي يمكن القول عنها أنها تتعارض ومبادئ اتفاقية جنيف ... فقد كان من بين أنواع الأسلحة التي يحرمها القانون والتي أطلعت عليها، كانت هناك أنواع من الرصاصات التي تنفجر بمجرد ملامستها، وكذلك أسلحة رشاشة كاتمة للصوت، ومتفجرات من صنع يدوي، إضافة إلى قنابل نابالم مصنوعة يدوياً ... وكان هناك أيضاً اختراع وحشي شيطاني يمكن تسميته بالمدفع المصغر وهو مصنوع من قطع فولاذية مقعرة ومحشوة بالمواد المتفجرة من النوع اللدن. ويثبت هذا المدفع في خزان وقود أحد الباصات وتطلق عليه قذيفة مشتعلة،

---

(٣) في داخل الشركة، فيليب آغي، بنغوين بوكس. بالتيمور ١٩٧٥ ص ٤٥ ــ ٤٦ وص ٨٣ ــ ٨٤.

فيعمل هذا المدفع على تحطيم خزان البنزين، ويشتعل ما بداخله ليشعل كل الباص، ويأتي على كل من فيه بسرعة هائلة .. وكان عليّ أن أرى ذلك، فقد اشتعَل كل ما هو داخل الباص.

« ووقفت أشاهد اللهب وهو يلتهم الباص بسرعة وسهولة .. واعترفت بيني وبين نفسي أنها لحظة الحقيقة حيث تساءلت : .ما الذي يمكن أن يقدم احراق باص مليء بالناس إلى الحرية؟ وبأي حق أحكم — باسم الديمقراطية وباسم المخابرات المركزية الأمريكية — على أناس عابرين بالموت » ؟[٤].

ويقدم (فيليب آغي) في كتابه المشار إليه آنفا (في داخل الشركة) صورة مفصلة عن أسباب وكيفية عمل المجموعات الارهابية المسلحة التي ترعاها المخابرات المركزية الأمريكية في البلدان الأخرى والتي يوجهها عملاء المخابرات الأمريكية :

« هناك صلة وثيقة بين ما يسمى بالعمليات شبه العسكرية وبين النشاطات العدوانية التي يمكن تسميتها بالعمل المسلح. فبواسطة إنشاء وتأييد (المجموعات المأجورة) والتي يمكن أن تضم بين صفوفها رجال الأمن المسرحين من الخدمة، والعناصر المسحلة من الأحزاب السياسية الصديقة، يمكن أن تتم عملية ارهاب وتهديد الشيوعيين واليساريين المتطرفين الآخرين عبر تقويض اجتماعاتهم وعبر تنظيم أعمال التظاهر ... ويقوم قسم الخدمات التقنية التابع لدائرة العمليات في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية باعداد الأنواع المختلفة من الأسلحة والوسائل الأخرى من أجل تحقيق الأهداف المرسومة.

(٤) فيكتور مارشيت وجون. د. ماركس. مصدر سابق ص ١١١ — ١١٢.

« فمثلاً هناك سوائل كريهة الرائحة يتم وضعها في زجاجات صغيرة جداً يتم ادخالها الى قاعات الاجتماعات. كما يمكن ذر مسحوق شفاف لا يمكن رؤيته بالعين المجردة على أرض القاعة التي سيجري فيها الاجتماع ويكون له نفس مفعول الغاز المسيل للدموع وذلك حينما يتطاير في الهواء بفعل حركة أقدام المحتشدين بالقاعة. وهناك أيضاً مسحوق له خاصية الاحتراق الذاتي ينثر حول الطاولات المعدة للجلوس حولها، وعندما يتم احتراق هذا المسحوق تتعالى كميات كبيرة من الدخان يكون تأثيرها على العيون وعلى مجاري التنفس أكبر بكثير من تأثير الغاز المسيل للدموع. كذلك توجد مساحيق لا طعم ولا رائحة لها تخلط مع الطعام تسبب أنواعاً شديدة من التحسس لجسم الانسان الذي تناول هذا الطعام. يضاف الى جملة ما ذكر اعلاه سائل شفاف تكفي بضع قطرات منه لجعل المرء مسترخياً ولديه رغبة جامحة في الكلام والتخلي عن الحذر. ويمكن أن يوضع مسحوق لا يمكن رؤيته على مقود السيارة أو على مقعد المرحاض حتى يتسبب للشخص الذي يستعمل أحدهما بحكة جلدية مزعجة جداً. وهناك معجون خفيف اللزوجة يعمل على احداث حروق خطيرة في الجسم، أما أمراض المجاري التنفسية فإنه يمكن التسبب بها لدى أحد الأشخاص بواسطة تبغ معالج كيمائياً ويضاف إلى السيجار أو أنواع السجائر الأخرى »(٥).

واليوم، فإن (قسم الخدمات التقنية) لا زال ينفذ المهام الموكلة إليه داخل (مديرية العلوم والتكنولوجيا) التابعة لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

أما عدد العاملين في هذه المديرية فإنه يبلغ نحو (١٣٠٠) شخص، وميزانيتها تصل إلى حوالي (١٢٠) مليون دولار. ولا يقتصر عمل هذه

---

(٥) في داخل الشركة فيليب آغي، ص ٨٤ ــ ٨٥.

المديرية على تحضير المواد الهامة جدا وتصنيعها، بل انها أيضاً تواصل عمليات البحث عن أساليب وطرق وتقنيات جديدة لعمليات التخريب وخاصة للعمليات شبه العسكرية المعقدة. وهناك قسم له أهميته الخاصة، ويمكن تسميته بـ (مكتب التموين) حيث يقوم بإعداد وتجهيز المعدات و « الأدوات » التي سوف تكون بمثابة الأسلحة في العمليات المختلفة.

وخلال التحقيق الذي قامت به لجنة مجلس الشيوخ للبحث في بعض العمليات التي يشتبه بأن لها صلة بالأعمال الارهابية التي تنفذها المخابرات الأمريكية ضد زعماء الدول الأجنبية توصلت هذه اللجنة إلى أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد انشأت في بداية الستينات قسماً خاصاً لتنظيم وتنفيذ عدد من عمليات الاغتيال ضمن الاطار العام لنشاطاتها العملياتية. وكان يرمز لهذا القسم باسم (ز. ر. رايفل) : « إن برنامج ز. ر. رايفل قد تم تخصيصه بشكل عام للبحث في المسائل المتعلقة بعمليات الاغتيال وايجاد الأسس الضرورية لها. وبتحديد أكثر، فإنها كانت لتدريب العملاء الذين يحتمل أن يكونوا أداة لتنفيذ هذه العمليات، وتطوير تقنيات الاغتيال لكل حالة من الحالات »[٦] ومن أجل تطوير الطرق والوسائل الكفيلة بقتل الناس، فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تستخدم العديد من معاهد الأبحاث والشركات التي تستخدم بدورها الخبراء ذوي المؤهلات والكفاءات العالية في العديد من المجالات.

واستطاع أحد رجال الاعلام أن يلتقي مع واحد من أولئك الاختصاصيين الذي رفض الافصاح عن اسمه، ولذلك فإن هذا الصحافي أطلق عليه اسم (السيد موت). وفيما يلي نص المقابلة التي أجريت مع (السيد موت) ونشرت في إحدى المجلات الأمريكية (بلاي بوي) :

(٦) مؤامرات المخابرات المركزية الأمريكية موسكو ١٩٧٩ ص ١٨١ (بالروسية).

س : خلال التحقيق الذي قامت به لجنة مجلس الشيوخ للتحقيق في نشاطات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، عرض (وليم كولبي) على رئيس اللجنة (فرانك تشيرش) مسدساً يطلق رصاصاً ساماً. وعرض هذا المسدس على شاشات التلفزيون، وتصدر الصفحات الأولى في كافة صحف البلاد. فهل تعرف شيئاً عن هذا السلاح ؟

ج : يجب علي القول انني شاهدت ما يقارب نصف دزينة من هذه المسدسات بين وقت وآخر لأنني كنت أقوم بدراسة طرق تزويدها بالسم وكذلك بعملية قذف هذا السم. وهناك أقوال بأن هذا المسدس الذي عرض على لجنة (تشيرش) هو مسدس كهربائي، لكنني أشك بذلك، لأن المسدسات الكهربائية التي رأيتها تستخدم الرصاصات المغناطيسية، كذلك فإن أحجامها أكبر من هذا الذي عرض على اللجنة.

س : لقد قلت أنك تعمل في مجال السموم، فأي نوع كان عملك هذا ؟

ج : بشكل رئيسي طلبت مني وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن اخترع طرقا وأدوات لتنفيذ عمليات الاغتيال. وعلى الغالب فإن كل شيء عملته كان مصمماً لقتل الناس. وكانت التقنيات الرئيسية الثلاث لتنفيذ عمليات الاغتيال والتي شاركت فيها هي : الأسلحة النارية، والسموم، ومعدات التفجير.

س : هل يمكنك أن تقدم لنا مثالاً عن سلاح استخدام السم فيه ؟

ج : أجل. في منتصف الخمسينات حضر إليّ رجل الارتباط بيني وبين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقال لي أنه يريد حلاً لمشكلة تعترضه. وطبعاً هم دائماً يقولون أن هذه الأشياء هي مجرد

افتراضات حيث قال لي: « لنفترض انك تريد قتل إنسان ما على متن طائرة جوية دون أن تلفت إليك أدنى انتباه، فماذا تفعل؟ ». إنني أعتقد أن أبسط شيء في مثل هذه الحالة هو استخدام السم عبر ملامسة جسم ذلك الرجل المراد قتله لهذا السم. وأعطاني رجل المخابرات سائلاً يخترق الجلد ومسام جسم الانسان بسرعة بواسطة أي شيء تمزجه فيه. وطبعاً تكفي قطرة واحدة من السم مع هذا السائل لتوضع على ثياب أو حذاء الانسان المراد قتله. وهذه هي الاداة الرئيسية لمثل هذا النوع من العمل بالسموم.

س : وهل قمت بتسليم هذا السم إلى رجل المخابرات الأمريكية ؟

ج : لا، فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك، حيث بدأت بدراسة سموم الأفاعي المختلفة، ووقع اختياري في البداية على السموم الجافة للأفعى المتمرة، لكنني اعتمدت فيما بعد على سم الأفعى المجلجلة، ولاسيما ان أعراض التسمم بهذا السم لا تبدو ظاهرة للعيان، فهي تسبب نزيفاً داخلياً ولا تتم حالة الوفاة إلا بعد بضعة أيام تقريباً، ومن الصعوبة بمكان أن يعرف أحد ماذا حدث.

س : ومن أين حصلت على سم الأفعى المجلجلة ؟

ج : لقد كان من السهل جداً في مطلع سنوات الخمسين الحصول على الحيوانات الاستوائية وبحرية تامة من المخازن التي تتعاطى عمليات بيع وشراء مثل هذه الحيوانات.

س : لقد قلت ان هذه الأعمال كانت تعطى إليك على سبيل انها مجرد افتراضات فهل حدد لك رجل المخابرات الأمريكية عملية معينة ؟

ج : مرة واحدة فقط أطلعني فيها على تفاصيل عملية دون أن يقول

« لنفترض فيما إذا ... » وقد كانت تلك العملية تستهدف اجتثاث رجل زنجي يقود سيارة من طراز (جاغوار)

س : اجتثاث ؟

ج : أجل، ذلك هو اصطلاحهم، على كل حال، فإن هذا الرجل الزنجي كان يجب أن يموت في لحظة معينة خلال رحلة يقوم فيها، ولنقل بعد مضي ٨ دقائق على بدء رحلته، ولكنني لم أكن أعرف السبب. المهم أنني أردت الحصول على معلومات عن هذا الرجل : مثلا كم هو وزنه، وهل هو أعسر أم لا. وأشياء أخرى من هذا القبيل. وبالفعل أحضروا لي مقود سيارة جاغوار، وصورة لرجل يقود السيارة — صورة لليدين فقط — دون وجه الرجل ومن هنا عرفت أنه زنجي. لم أكن أعرف لماذا، ولكن الأمر كان غريباً بالنسبة لي. وهيأت لهم السم، وطلبت منهم أن يطلوا به الجزء الذي يضع يديه عليه من مقود السيارة عادة. وقد راعيت أن يبدأ سريان مفعول السم بعد ثماني دقائق من وضع يديه على المقود. وعلى ما يبدو فإنهم كانوا مسرورين مني فيما بعد.

س : كيف عرفت أنهم كانوا مسرورين منك ؟

ج : حسنا، ان رجل المخابرات هذا والذي أعرفه جيداً وجه دعوة لي للقيام بأول عمل خارجي، وتكون لدي انطباع بأن هذا كان بمثابة مكافأة لي على عملي المتقن.

س : ماذا تعني بكلمة خارجي ؟

ج : خارج البلاد.

س : أي نوع من العمل كان ذاك ؟

ج : لقد أخذوني في سيارة وكان صديقي فيها حيث توجهنا إلى المطار، وركبنا الطائرة التي طارت بنا طوال الليل حسبما أعتقد، وهبطنا

بعد ذلك في مكان ما حيث التقطتنا سيارة أخرى توجهت بنا إلى منطقة ريفية. وشاهدت هناك رجالاً يحملون أسلحة مضادة للدبابات، وسألني صديقي : هل تعرف كيفية استخدام هذه الأسلحة فأجبته نعم، فقال : حسناً، استخدمها إذن. وسألته : على ماذا أصوّب، فأشار إلى قافلة عسكرية بدأت لتوها بعبور طريق فرعي. وأطلقت نحوها، فأصبت شاحنتين. وحالما نفذت ذلك، طلب مني صديقي العودة إلى السيارة بينما ذهب هو (للاجهاز عليهم) كما قال.

س : ماذا يعني ؟

ج : لقد شهر مسدسه وأطلق رصاصة على رأس كل من كان في الشاحنتين ليتأكد من موتهم. على كل حال، فإن هذا كان بمثابة انطباع لدي بأن ما حدث هو مكافأة لي على عملي الجيد والمتقن في مجال السموم، رغم أنها لم تكن فكرتي في المكافأة. وفيما بعد سألت صديقي الذي دعاني إلى هذا العمل عن كل ما حدث، فما كان منه إلا ان نظر إلي بتعجل وذهول قائلاً : ألم تستمتع بذلك ؟

س : حتى الآن تكلمنا عن الأسلحة الكيماوية، لكن هل قمت بتصنيع وسائل أخرى تشبه ذلك المسدس الذي يطلق الرصاص السام ؟

ج : ليس كذلك تماماً، بل عدداً من الأشياء الأخرى المشابهة فبعد حادثة السيارة جاء صديقي وهو يحمل مشكلة افتراضية أخرى : لنفترض انك في وضع لا يمكنك خلاله أن تدخل إلى غرفة ما أسلحة نارية، أو أشياء أخرى ودون أن تثير الشبهة، فكيف تتغلب على الرجال الذين يملأون الغرفة ؟ وكان السؤال : كيف اتغلب عليهم، لكن ماذا تعني كلمة (اتغلب) ؟ وسألته : هل تريد قتلهم أم انك تريد أن يفقدوا الوعي بشكل مؤقت، وهو ما يسمى بلغتهم (العنف البيولوجي) هذا المصطلح

الذي يروق لي رغم وقاحته ؟ وهنا أجابني صديقي : اننا نريدهم أن يقتلوا بالتأكيد لكن المشكلة هو أن عددم كبيرٌ، والغرفة متوسطة الاتساع. وشرعت بعد ذلك بالتخطيط لأقذر الأعمال القذرة التي قمت بها خلال حياتي، والتي اسميها عادة بـ (طاقم الدناءات). وكان عملي هذه المرة هو إيجاد قنبلة صغيرة جداً بحجم خزطوشة عيار ٤ر١١ ملم مملوءة بمئات من قطع الفولاذ وكل قطعة مغطاة بالسم، ويتم انفجار هذه القنبلة حال القائها.

س : لكن أليس هناك خطراً شديداً على الشخص الذي سيلقي هذه القنبلة ؟

ج : بالتأكيد، فهي ستقتله على الفور.

س : ألم تعترض وكالة المخابرات على هذا ؟

ج : لا، وهذا ما أدهشني. وطلبت مني الوكالة بعد ذلك صنع قنبلتين ثانيتين، وكان يفترض بالثانية أن تعطي للشخص الذي سيلقيها فرصة للنجاة، وكانت مزودة بفتيل يمكن اشعاله بواسطة السيجارة أو أي شيء آخر. كذلك قمت بتصنيع واحدة ثالثة مغطاة بطبقة رقيقة يوجد تحتها مركب يشبه ذلك المركب الذي يستخدم في أعواد الثقاب العادية، وما على الشخص الذي يريد القاء القنبلة الخرطوشة إلا أن يحك سطح هذا المركّب الذي على الخرطوشة بعد إزالة الطبقة الرقيقة التي تغلفها بأي شيء ويلقيها. وهناك نوع آخر يتكون من مزيج:من ضمن ما يدخل فيه مادة الفوسفور الأحمر، وطالما بقي هذا المزيج رطباً فإنه لن ينفجر. وفي حال جفاف هذا المزيج يصبح شديد الانفجار. ولذلك فإنك في حال إلقاء هذه القنبلة على الأرض فإنها لا تنفجر إلا بعد مرور بعض الوقت. ويمكن في هذه الحالة وضع هذه القنبلة وتثبيتها في أعلى دفة الباب أو تحت مقعد المرحاض أو أي مكان آخر، وحركة صغيرة سوف تكون كفيلة بإحداث انفجار قوي.

س : ما هو عدد القنابل الخراطيش التي صنعتها ؟

ج : من ١٥ الى ٢٠ قنبلة. وكانت هناك أيضاً طلبات غريبة. فقد صنعت ذخائر محشوة بمواد متفجرة، وحين اشعالها تنطلق بحاملها إلى الهواء محدثة انفجاراً قوياً. وكانت مسدسات رجال وكالة المخابرات المركزية من طراز (ولتر ب. ب. ك. س ــ ٢٢). وطلبوا مني ذات مرة تعديل هذا المسدس بشكل يمكن تركيب كاتم صوت عليه، ومرة ثانية اعطوني مسدساً آخر لاجراء تعديل عليه يتم بموجبه ارتداد المغلاق إلى صدر حامله ويقتله، وانني أتوقع أن يكون هذا مخصصاً لواحد من رجالهم.

س : هل تريد القول انهم يعملون على قتل رجالهم ؟

ج : ليست لدي أية فكرة عما كانوا يقومون به بواسطة تلك الأشياء التي كنت أصنعها لهم. إن كل ما كنت أقوم به هو صنع تلك الأشياء. لكن رجالاً من داخل الوكالة تركوا لدي انطباعاً بأنهم يمكن أن يقتلوا عملاءهم إذا كان ذلك مناسباً.

س : لقد قلت انهم اعطوك مسدساً ذات مرة، فما سبب ذلك ؟

ج : حسناً، إنني أكرر ثانية، لقد كان ذلك نوعاً من المكافأة، فقد قمت بأعمال حازت على رضاهم. لقد دعاني صديقي ــ الذي أخذني إلى كاراكاس ــ فيما بعد لتناول الغذاء معه وقال لي أنهم في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية معجبون بعملي، ثم سلمني علبة. وكنت في ذلك الوقت أعمل في معهد أبحاث، فأخذت العلبة إلى هناك، وكشفت عن محتوياتها بواسطة الأشعة.

س : ولماذا لم تفتحها أنت ؟

ج : حسنا، لقد قلت لنفسي أنهم إذا كانوا غير مسرورين من عملي

فلربما أرسلوني إلى العالم الآخر، وبحق فإن ذلك كان اجراء احتياطياً. وكان في العلبة مسدس من طراز (ولتر) وقد ركب عليه كاتم صوت.

س : هل ان العمل الذي وصفته لنا وكنت تقوم به هو نموذج لما كنت تعمل فيه خلال منتصف وأواخر الخمسينات ؟

ج : نعم، لكنني بالطبع كنت أمارس عملاً اعتيادياً آخر، فقد كنت أقوم بالدراسات والأبحاث لصالح معهد أبحاث مجالات أعماله واسعة ومتشعبة بكل ما يمكن أن يخطر على بالك. وكان من أولى المشاريع التي قمت بها لصالحهم تصميم واختيار المتفجرات الصغيرة. وكنت على علم بوجود ما يشبه خزانة حديدية توجد بها التقارير السرية وكنت عادة أطلع على هذه التقارير بشكل منتظم، وبها كل ما يتعلق بالأجهزة النووية وتكنولوجيا المدافع. وكانت مخابر المعهد تقع في الأقبية، وهناك كانت توجد قاعة للرماية مجهزة بشكل جيد جداً، جربت فيها الذخائر المختلفة حتى تلك التي من عيار ٢٢ ملم. وكنت أعمل هناك كالخلد، وخاصة أيام الشتاء حيث أنزل إلى تلك الأقبية منذ الصباح الباكر قبل شروق الشمس ولا أخرج إلا والليل قد خيم ثانية. انني لم أكن أرى ضوء النهار.

س : هل كان هذا المعهد سرياً ؟

ج : لا، ليس المعهد نفسه. إن معظم ما كنت أقوم به هو سري، لكن اجزاء أخرى من هذا المكان كانت مفتوحة أمام الناس ...

س : لقد أشرت قبل قليل إلى المتفجرات المصغرة، فهل كانت هذه لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أم أنها جزء من عملك الرسمي لصالح المعهد ؟

ج : لكليهما معاً. لقد كنت أقوم بتطوير هذه المتفجرات المصغرة لاستخدامها في رؤوس الصواريخ وقذائف المدافع وذلك بشكل رسمي.

أما فيما يتعلق بعملي غير الرسمي فإنني كنت أقوم بصنع المتفجرات ومؤقتات التفجير ذات القدرة الانفجارية الهائلة.

س : وما هو الفرق بين المتفجرات التي كنت تصنعها لوكالة المخابرات الأمريكية، وتلك الأخرى التي تصنعها للمعهد ؟

ج : مبدئياً ليس هناك اختلاف من الناحية الداخلية، أما من حيث الشكل الخارجي فقد كان الاختلاف كبيراً. فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت تطلب دائماً أن يتم اخفاؤها وتمويهها على شكل علب دخان (المارلبورو) وكانت علبة سجائر (المارلبورو) الكرتونية هي الأكثر ملاءمة لذلك. ووردت إلي بعد ذلك طلبات غريبة. وحينما قاربت فترة عملي في هذا المعهد على الانتهاء كان قد تم تطوير الغام من طراز (غرافيل). وكان اسم (غرافيل) هو الاسم الرمزي لهذا اللغم الذي يرمى على سطح الأرض وهو بحجم علبة الشاي. وكانت هذه الألغام ترمى من الطائرة ولا ينزع صاعقها إلا حين وقوعها على الأرض وأثناء تبخر سائل خاص موجود بداخلها. أما اصابة هذه الألغام فليست قاتلة، لكن حينما ترتطم قدم الانسان بواحد منها، فإن عظام قدميه تتمزق وتصبح قطع لحم ودم. والهدف من هذه الألغام هو جزء من نظام دفاعي عن منطقة ما، بحيث يستحيل على أحد اجتياز هذا الحقل. أما مهمتي فكانت ايجاد واختراع نظام يؤمن الحماية من اللغم، فقد طرحت في أحد الاجتماعات سؤالا مفاده : لنفترض انكم القيتم ملايين هذه الألغام فوق منطقة ما، ثم أردتم استعادة هذه المنطقة ثانية، فكيف ستفعلون هذا، هل ستسيرون على عكاكيز خشبية ؟

س : هل كان هذا العمل لصالح المعهد أم لصالح وكالة المخابرات المركزية ؟

ج : ثانية، كان هذا العمل لصالحهما. ان مهمتي كانت العمل على ايجاد نظام يؤمن الحماية من هذه الألغام. لقد صنعت عدداً من الغام

(غرافيل) وكانت تنفجر كما تنفجر الألغام العادية، أما مظهرها الخارجي فلا يدل على أنها تخالف المواصفات المطروحة سابقاً. كذلك صنعت لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بعض الألغام التي تحتوي على شظايا زجاجية مسممة، يضاف إلى ذلك انني هيأت بعض الألغام التي تبدو ظاهرياً انها مؤمنة، لكنها حقيقة عكس ذلك إذ تنفجر لدى أقل لمس لها. ان الغام (غرافيل) يمكن أن يتغير لونها لكنها في الحقيقة غير مؤمنة، وقد صنعتها يدوياً وقمت بتسليمها إلى صديقي رجل وكالة المخابرات دون علم المعهد وهي موضوعة في علب قهوة تحمل اسم (ماكسويل هاوس) وكان ذلك بناء على طلبهم، ولم أكن أعلم ما هي الأسباب الغريبة التي تدفعهم للاصرار على علب (ماكسويل هاوس) التي كنت اشتريها ثم أفرغها من محتوياتها، وأضع الألغام فيها، ثم أعيد اغلاقها وألحم هيكلها وانظفها وأطليها بحيث لا تعود هناك أية آثار خارجية. لكن لماذا كل ذلك ؟ مرة ثانية لا أعرف. لكن كل الذي أعرفه هو أنه لا زالت تخزن الغام غرافيل في جزيرة (غوام) في صناديق من الصاج المضلع. وعرفت ذلك من خلال جملة انفجارات حدثت هناك. إن تلك الألغام تصنع وهي رطبة فإذا ما جفت فإنها تصبح قابلة للانفجار، وعلى ما يبدو فإن علبة (ماكسويل هاوس) كانت لمنع جفاف هذه الألغام.

س : هل تم استخدام هذه الألغام في وقت ما ؟

ج : نعم، ففيتنام كانت حقل الغام غرافيل. انها ليست مميتة، لكنها تسحق عظام الأقدام. انني أعني أنها تجعل الأقدام هلامية. إنني أعلم ذلك لأنني رأيتها وهي قيد الاختبار والتجريب، وكانت بحد ذاتها عملية مرعبة.

س : كيف قمت بإجراء تلك التجارب ؟

ج : لقد أجريناها على أقدام جثث الجنود الذين قتلوا في فيتنام. لقد

كنا نسرق أقدامهم ونقول لذويهم أنهم فقدوا أقدامهم خلال المعارك. على أية حال، فإننا كنا نضع القدم المسروقة في جورب عسكري وفي حذاء عسكري عادي، ثم نثبتها على جهاز يضغط بها على لغم (غرافيل) بقوة تعادل وزن انسان (١٧٠ باوندا).

س : لقد قلت في بداية حديثك معنا أنك عملت في ثلاثة مجالات رئيسية، لكن كانت هناك أقوال خلال التحقيقات التي قامت بها لجنة (تشيرش) حول استعمال المخدرات، فهل طلب منك أن تعمل في هذا المجال ؟

ج : على ما أذكر مرتين فقط. فقد جاءني صديقي رجل وكالة المخابرات ومعه عقار (ل. س. د للهلوسة) وكانت موزعة في ٢٧ زجاجة مختلفة، وقام بتسليمي إياها في غرفة الطعام في المعهد. وكان في العادة قليل الكلام لكن القلق بدا على محياه هذه المرة، وكان هذا في منتصف الخمسينات ولم أكن أعرف شيئاً عن العقار (ل. س. د) ولذلك فإنني اضطررت للحصول على المعلومات منه بصعوبة بالغة، وفي النهاية بدأ يشرح لي الخطوط العامة. وكان ما فهمته منه أن هذا العقار كان محرما حتى بالنسبة إليهم، وأخذت أحاول الأستفسار منه عما يحاول أن يعطيني، وقلت له : إذا كان هذا هو من السموم المنبارية (التسمم من أكل اللحوم الفاسدة) أو ما يشبهه فإنني لا أريد الاقتراب منها، وفي النهاية لم يكن أمامي إلا أن استلم العلبة وأن أقبل العمل. وأخيراً فإنني وضعت عقار الهلوسة (ل. س. د) في علب دواء ضد السعال كان شائعاً جداً لمكافحة الزكام والسعال وهو دواء (نيو سينفرين).

س : أية كمية استخدمت في ذلك ؟

ج : ان جرعة من هذا العقار تكون كافية لانهاء حياتك تماماً.

س : لقد أشرت إلى أنك عملت في مجال المخدرات مرتين، فما هو العقار الثاني الذي استخدمته ؟

ج : انه يدعى (ب. ز) وعليك أن تعمل فيه وهو داخل علبة محكمة الأغلاق لأنه يتسرب إلى داخل الجسم بواسطة التنفس. وقد شاهدت عدة أفلام سينمائية تثير الاشمئزاز والتقزز وهي تعرض جنوداً تناولوا هذا العقار وقد بدت عليهم أعراض الاغماء والجمود (الاغماء التخشبي) بحيث أنهم كانوا يجلسون كالأصنام لا يتحركون ولا يستطيعون أن يسيطروا على أجسادهم، فإذا أصدر إليهم رجل ما أوامره مثل (انهض من مكانك) أو (ضَعْ خوذتك على رأسك) فإنهم يصبحون رجالاً متوحشين وقد يعملون على قتل الرجل الذي أصدر الأوامر اليهم. أما مدة تأثير هذا الغاز فهي بضعة أسابيع.

س : هل صنعت أشياء للاستعمال داخل البلاد ؟

ج : لقد كنت أعتقد في البداية ان كل ما أقوم بتصنيعه وتصميمه حتى عقار الهلوسة (ل. س. د.) هو مخصص للاستعمال خارج الولايات المتحدة. أما الآن فإنني أعتقد أن كل هذه المواد قد استخدمت حتى داخل الولايات المتحدة. لماذا ؟ لا تسألني لماذا أعتقد هذا الآن ولكنه شعور يخامرني بأن هذه الأمور جميعها والتي عملت فيها هي قيد الاستعمال الداخلي.

س : متى عملت في العقار ب. ز ؟

ج : تقريباً في نهاية الخمسينات.

س : وما الذي جعلك تقرر أن تترك العمل في معهد الأبحاث ؟

ج : لقد بدأت أشعر بالقرف والاشمئزاز حوالي عام ١٩٦٠، وأصبحت أشعر بأنني بائس وغير سعيد، كذلك فإن عائلتي بدأت

بالتفسخ والانهيار. وأخيراً، دخلت إلى شقتي ومكثت فيها لمدة أسبوع وأصبحت كالديك الرومي المجمّد. وحينما غادرت الشقة بعد أسبوع كنت أشعر بتحسن بسيط، ولاسيما أنني حاولت التغلب على هذا الوضع بطاقة بشرية رهيبة. وحينما عاودتني الرغبة الجامحة إلى اختراع شيء جديد، قمت بتصميم جهاز صغير يطلق مسحوقا ناعماً يعمل على نفث المادة السامة وله تأثير مهيج. وفي ذلك الوقت كانت قد انتشرت في البلاد موجات من عمليات الاغتصاب وهذا ما دفعني إلى التفكير بأنه يجب أن يكون بيد المرأة وسيلة ما للدفاع عن نفسها، واختمرت الفكرة في رأسي تماماً، وتوجهت إلى شخص ما للحصول على مساعدته، وهكذا تأسست شركة جديدة مع هذا الشخص.

س : في غضون ذلك الوقت، هل بقي الاتصال مستمراً بينك وبين صديقك رجل وكالة المخابرات ؟

ج : كلا، فإنني حينما تركت العمل في المعهد انقطعت الاتصالات بيني وبينهم ولم أره ثانية، وربما كانوا ينتظرون ما الذي سيحدث. وبعد مرور عام واحد، وبعد أن بدأت شركتنا الجديدة تعمل بشكل جيد، جاءني رجل آخر من وكالة المخابرات الأمريكية.

س : حينما يلتقي بك رجل ما، كيف يمكنك أن تعرف انه من قبل وكالة المخابرات ؟

ج : هذه المرة أبرز لي هذا الرجل بطاقة الهوية الصادرة عن وكالة المخابرات، كما أنه يمكن للمرء أن يعرف هؤلاء الرجال من خلال مظهرهم، فحينما أتى هذا الرجل فإن مظهره دفع سكرتيرتي لتقول لي : « ان هناك رجلاً يريدك، وأعتقد أنه من رجال المخابرات ». وكان حقاً يشبههم، فنظرته صارمة، وله ذقن تكاد تكون مربعة.

س : هل يعني هذا أنه يمكنك التعرف على رجال المخابرات من خلال مظهرهم ؟

ج : هناك أيضاً علامات أخرى، فعندما أتى هذا الرجل كان يرافقه شخص آخر قبيح المنظر يشبه إلى حد ما (كينغ كونغ). وحينما جلس سمعت قرقعة شيء ما فقلت له معلقاً : « إنك تحمل شيئاً ما تحت سترتك ويجب أن أراه » فابتسم لي، وفتح سترته حيث كان هناك مسدس من طراز ماغنوم عيار ٤٤. ولم أر في حياتي انساناً ضخماً بهذا الشكل يستطيع أن يخفي مسدساً بهذا الحجم تحت سترته. على أية حال، فإنني طلبت منه أن يريني ذلك المسدس، وأعطاني إياه بالفعل، وحاولت قراءة الرقم المتسلسل على هذا المسدس لكنه لم يكن موجوداً، ولا يمكن القول ان الرقم قد تم شطبه، بل انه لم يكن موجوداً بالأصل. وهكذا، كان يفترض أن يكون هذا الرجل الذي أراد مقابلتي إمّا صاحب شركة لصنع الأسلحة النارية، أو عميلاً لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

س : هل سألته حول ذلك ؟

ج : لا، لأنه لم يكن من نوعية أولئك الناس الذين يمكنك أن توجه إليهم أسئلة ما ... لقد نظر إلى شركتنا وقال : « انها شركة مثالية، فهي هادئة، ويمكنكم القيام بأشياء مفيدة جداً هنا ». واعطيته بعضاً من منتجاتنا ليطلع عليها، ثم قال : « توجد لدينا عدة أشياء نريد تعبئتها داخل قنابل، فهل يمكنكم القيام بذلك » ؟. وهكذا صنعت لهم قنابل ذات محاور مسممة ومعبأة بكريات سامة وخلائط محرقة ولا يزيد حجمها عن حجم رأس إبرة الفونوغراف (البيك ــ آب).

س : أي نوع من السموم كنت تستخدم في ذلك ؟

ج : إن أغلب الأنواع التي كنت أستخدمها تحتوي على سيانيد

الصوديوم، وكذلك على مضادات تخثر الدم. واذكر انني كنت أسمم المحاور ثم أجففها. وكان لدي نوعان من الخراطيش ذات المظهر المألوف، ملأت بعضها بالمواد الشديدة الانفجار. كذلك عملت على تطوير لغم صغير ــ إن شئت أن تسميه كذلك ــ يمكن وضعه تحت السجادة على الأرض.

س : ما الذي يمكن استخدام هذه الألغام من أجله ؟

ج : من يعرف ؟ يمكن أن تكون لبعث جو من المرح في أمسية ما .. لقد قلت لك سابقاً انني لا أعرف شيئاً عن مصير الاختراعات التي أقوم بها ... عندما كنت في السابعة عشرة من عمري تقريباً، كان لي صديق في الصف نفسه الذي أدرس فيه، وله المام واسع في مجال الأسلحة النارية وكان يعرف تماماً أنواع الأسلحة وخاصة الأسلحة الألمانية حيث كان نازياً تماماً. وذات يوم أخبرني أنه يعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبالمناسبة، فإنه هو الشخص نفسه الذي أخذني معه إلى كاراكاس.

س : هل تريد القول ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أرادت تجنيدك في صفوفها حينما كان عمرك سبع عشرة سنة ؟

ج : في ذلك الوقت تقريباً حينما كنت في المرحلة الثانوية.

س : هل كان ذلك تصرفاً اعتيادياً لوكالة المخابرات ؟

ج : ليست لدي فكرة، لكن صديقي كان يعمل لديهم قبل تلك السن، وأنت لا تستطيع أن تصف سن ١٧ سنة بأنه سن مبكر، فالكثير من الشبان الذين يبلغ عمرهم ١٧ سنة قاتلوا في فيتنام وخاضوا غمار الحرب العالمية الثانية. ولا أدري لماذا يعتقد الناس دائماً أن الجواسيس ورجال المخابرات هم مثل (جيمس بوند) في سن الأربعين دائماً. ولا تستغرب، فقد يكون ذلك الغلام الذي يسير بدراجته يمتطي على خصره

مسدساً أوتوماتيكياً « لدواعي الأمن القومي ». على أية حال فإن صديقي أصبح يأخذني معه إلى جلسات أيام الآحاد حيث كنا نتلقى تدريباتنا وكانت هناك كنيسة نستغلها ونعمل تحت ستارها لتلقي الدروس النظرية، والفكرية، وكيفية استخدام الأسلحة النارية، والمتفجرات، وغير ذلك.

س : ومن الذي كان يقوم بتدريبكم ؟

ج : لا أدري من هم، لكن يمكن القول انهم كانوا مؤهلين بشكل جيد لاداء هذه المهمة، وكانوا مزودين باللوحات البيانية، وبالرسوم، والسلايدات، وبكل أنواع المعرفة.

س : ما هو العمل الذي قمت به لصالح وكالة المخابرات المركزية حينما كنت شاباً ؟

ج : في أغلب الأحيان كنت أقوم بعمل كواتم الصوت. فقد كان يأتي إليّ صديقي ويقول لي انهم يريدون كاتم صوت لهذا النوع من السلاح أو ذاك، وكنت أقوم بتصنيعها بطريقة يكون من السهولة بمكان فك هذه الكواتم عن المسدسات والقاؤها في أي مكان بعد استعمالها، وأيضاً يمكنك حملها معك أينما كنت حتى في الطائرة دون أن تثير أية شبهة. وكمثال على ذلك فإن كاتم الصوت الذي يتمّ تركيبه على الرشاش من طراز (مكسيم) كان يتكون عادة من سلسلة من الحلقات التي تشبه مع بعضها عادم السيارة. وذات مرة أخرى صنعت كاتم صوت من أجزاء متعددة من قطع الزينة بحيث تبدو مع بعضها وكأنها عقد نسائي ثمين. وهناك كاتم صوت آخر صنعته من النقود اليابانية والتي هي عادة مثقوبة من الوسط.

س : ومن المدرسة توجهت إلى معهد الأبحاث ؟

ج : نعم وذلك بعد فصلي من المدرسة بوقت قصير. وقد تم فصلي لأنني تابعت العمل بالمتفجرات وغير ذلك من الأمور البذيئة. لقد عملت

في بادئ الأمر في المعهد ثم في شركة تقوم بتصنيع أدوات مكافحة الشغب إثم في شركة خاصة لي، وأخيراً بعت نفسي إلى إحدى الشركات التي تقوم بتصنيع الأسلحة النارية.

س : لكنك قلت أنك في الوقت الذي عملت فيه لدى مصنع الأسلحة النارية الجديد لم تكن هناك أية اتصالات بينك وبين وكالة المخابرات المركزية ؟

ج : في البداية لم يكن هناك شيء من هذا القبيل، لكن بعد ذلك تلقيت اتصالاً من شخص ما في الشركة، وأخبرني « انه سيكون هناك رجل اتصال آخر » وبالفعل حضرت لعندي مجموعة تتألف من خمسة رجال وتحادثنا. ورغم أنهم لم يكشفوا لي عن أنفسهم تماماً، فإنني عرفت من خلال ما دار من حديث انهم من رجال وكالة المخابرات الأمريكية. وعلى كل حال فإنهم كانوا مهتمين بالأمور الأساسية من خلال طرح بعض الأسئلة عليّ : « ماذا تعمل » و « أين تعمل » وغير ذلك. وكانت تلك أسس علاقة جديدة، وتكاد تتخذ طابعاً رسمياً أكثر من ذي قبل. وبناء على طلبي تم انضمام مدير الشركة التي أعمل بها إلى عملي الجديد لأنني لم أكن قادراً على القيام بالعمل بشكل منفرد. وكنت أريد أن أقوم بالأبحاث فقط، لكنهم أعلموني انه لن يعلم أحد بما سأقوم به من أعمال، وطلبوا إليّ العمل بسرية تامة. أما أول مهمة كلفتني بها وكالة المخابرات الأمريكية فكانت عملاً شاقاً، إذ طلبوا إليّ تطوير كتاب بمثابة دليل توضيحي أطلقت عليه اسماً تهكمياً هو « يوميات الشيطان ». وكان الهدف من هذا الكتاب أن يكون بمثابة المرشد إلى عملية صنع الأسلحة وما يشبهها لكن بدل أن يكون موجهاً للحديث عن الأسلحة والذخائر والمتفجرات، فإنه كان يهدف إلى الحديث عن الأسلحة الكيميائية والبيولوجية. وقد كتب هذا الكتاب لمن هم فوق مرحلة الدراسة الثانوية.

وأريد هنا أن أوضح لك انني لم أكن راضياً عن المشروع برمته لأنني كنت على يقين أنه من الخطورة بمكان تجميع كل هذه المعلومات الخطيرة في مكان واحد، لأنه سيكون باستطاعة أي شخص تتسرب إليه هذه المعلومات أن يمتلك المقدرة على تدمير مدن كبيرة، وبنفقات مالية ضئيلة، وبسرعة هائلة. ولذلك كانت هناك كلمة واحدة : « أكتب الكتاب وليكن نسخة واحدة ودون استعمال أوراق الكربون ». وكان أول ما بدأت به هو البحث في السموم النباتية. وعليك أن تتصور كم هو عدد السموم النباتية التي يمكن أن تعطل دماغ الانسان. كثيرة هي السموم النباتية المنتشرة في كل مكان تسير فيه، وحتى في حديقة منزلك، فإذا تمت معالجتها، فسرعان ما تصبح سموماً مميتة بشكل رهيب. وعلى ما أذكر فإنني قد ذكرت في الكتاب نحو أربعين نوعاً من هذا النوع وتعليمات حول كيفية استعمالها، ولقد كانت الوكالة سعيدة بذلك. ثم اتجهت نحو الأسلحة البيولوجية حيث أوردت عدداً كبيراً من مثيرات الأمراض والتي يمكن أن توجد دون جهد كبير، لكن على الشخص الذي يريد القيام بهذا العمل أن يكون حذراً جداً لئلا يقع هو نفسه ضحية. وخلاصة القول أنني كتبت كل هذا، وأرسلته لهم، وكانوا سعداء جداً، ثم قالوا لي بعد ذلك : « الآن يمكنك أن تعمل وتهيِّىء الوسائل الكيمائية » وبدأت أعمل من أجل استخلاص السموم من المواد البسيطة.

س : هل لديك أية فكرة أو معلومات عن سبب حاجة وكالة المخابرات لمثل هذا الكتاب المرشد ؟

ج : حسناً، لقد كان هناك شيء واحد يتعلق بكتاب « يوميات الشيطان » وهو أنه جاءتني تعليمات إبان تأليف الكتاب تقضي بضرورة الاعتماد على المواد والسموم والأعشاب وغير ذلك مما ينبت محلياً داخل أراضي الولايات المتحدة، وما يمكن أن يوجد منه في المحلات

التجارية داخل أمريكا. أما ما هو سبب ذلك أو ماذا يعني ذلك، فإنني لا أعرف، وهو أمر يبعث على التعجب في النهاية.

س : وكم هو الأجر الذي تقاضيته على كتاب « يوميات الشيطان » ؟

ج : في ذلك الوقت لم أحصل على شيء بشكل مباشر من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكانت ادارة مصنع الأسلحة حيث أعمل هي التي تتلقى الأموال ثم تدفع لي. وكل ما كنت أقوم به هو أنني كنت أرفع تقاريري إلى مديري في الشركة فيما يتعلق بهذا العمل أو ذاك ثم يقوم هو بدراسة كافة التفاصيل الادارية بعناية، ولذلك ليست لدي أية معلومات إلى أين تذهب الأموال، أو من أين تأتي، أو من الذي ينفقها، أو من الذي يعرف عنها شيئاً.

س : هل يفهم من كلامك أنك كنت تقوم بالعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية على أساس أنه جزء من عملك ؟

ج : بالضبط، وقد كان راتبي جيداً، وكنت سعيداً بذلك، بل انني كنت أتمتع بامتيازات خاصة، فمثلاً أعطوني سيارة كبيرة فيها هاتف، ومخبأ سري للمسدس، اضافة إلى وجود رشاش تحت اللوحة الخلفية من ذلك النوع الذي تستخدمه المافيا، وطوله ١٨ انشاً جرى تعديله وتقصيره.

س : وماذا كان الطلب التالي لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ؟

ج : لقد أشرت قبل قليل إلى أنني تمكنت من صنع خرطوشة عيار ٦ر٥ ملم وقد كانت الوكالة مهتمة بهذا، مما دفعهم إلى أن يطلبوا مني تطوير هذه الخرطوشة لتصبح ذات قدرة خارقة ومرتفعة. وقد كانت هذه

الخرطوشة في واقع الأمر عبارة عن قنبلة موقوتة مصغرة جداً. وقد جربت الخرطوشة الأولى بنفسي حينما اطلقتها من مسدس طراز (هاي ستاندرد) مجهز بكاتم صوت. فقد أخذ صديقي رجل وكالة المخابرات دليل هاتف يحتوي على ۲۰۰۰ صفحة، وعلقه على جدار الفناء الخلفي، وأطلقت النار عليه من على بعد ٦٥ قدماً، حيث كانت النتيجة فتحة بحجم قبضة اليد في الكتاب، ولم تصدر أية أصوات قوية عن عملية اطلاق الرصاص، بل كان الصوت أشبه بضربة خافتة جداً. وقد تم شحن الرصاصة بمادة خاصة حتى يكون الصوت أخف ضجة، وحينما رأى ذلك صديقي صاح : « انه لأمر مدهش » ثم سألني إن كانت هذه الرصاصة تخترق معطفاً عسكرياً أو بذلة عسكري روسي وتعطي النتيجة نفسها لأن سرعة الرصاصة في بادئ الأمر لم تكن قوية. على أية حال قررنا اجراء التجارب على أهداف حية تلبس هذه المعاطف الروسية نفسها، ولذلك طلبت منه إحضار هذه المعاطف، وأجرينا التجارب على أربع نعجات ألبسناها المعاطف الروسية. ولك أن تصدق ذلك أو لا. ولم يكن أحد في مكان عملي يعرف شيئاً عن هذا الموضوع. كان ذلك الأمر يوم عيد الشكر. وكان هناك رجلان يحضران هذه العملية : صديقي ورجل آخر كشاهد ومعه كاميرا تصوير سينمائية وأخرى للتصوير الفوتوغرافي. واستخدمنا مسدساً من طراز (هاي ستاندرد) مجهزاً بكاتم صوت من طراز (سيونيك) وكذلك مسدساً آخر من طراز (ولتر) ركب عليه كاتم الصوت (سيونيك) نفسه وكذلك رشاشاً من طراز (فينوس) الذي لا يعرفه الا القليلون، ومجهزاً بعدة مواسير للاطلاق، وسرعة اطلاقه كبيرة جداً، ويعبأ مشطه المزدوج بخراطيش عيار ٥٫٦ ملم.

س : وما هي سرعة الاطلاق الحقيقية لرشاش (فينوس) ؟

ج : انه رقم لا يمكن تصديقه، ومع ذلك سأحاول حسابها. يحتوي

كل مشط على ٥٠ طلقة ويستغرق اطلاق المشطين معاً ثانية وعشر الثانية اي ما معدله ٥٠٠٠ طلقة في الدقيقة. هذا هو الرقم الذي علق بذهني ولكنني لا أذكر الرقم تماماً على وجه الدقة.

س : هل كان ذلك السلاح سرياً ؟

ج : إن الناس القريبين منه كانوا يعرفون بوجوده، لكن لا أحد كان يعلم في أي مجال يمكن استخدامه. وبإمكانك أن تعلقه على الكتف. ورشاش (فينوس) الذي رأيته يبلغ طوله ١٥ انشاً تقريباً. ولا أظنك تصدق أن مثل هذا الرشاش يطلق هذه الكمية الخيالية من الرصاص بسرعة فائقة جداً.

س : من الذي ألبس النعاج المعاطف ؟

ج : أنا. هل قمت أنت بالباس نعجة معطفاً ؟ لا أعتقد ذلك. لقد وضعت رجليها داخل أكمام المعطف. لقد كانت هي المرة الأولى التي ترتدي فيها نعجة معطفاً، وكم كان الأمر في منتهى السخرية. لقد كنت أنا الذي ألبس النعجة المعطف الروسي قبل عملية الاغتيال. واطلقنا الرصاص على القفص الصدري للنعجة، وبالطبع فإن النعجة قتلت. ثم اطلقنا الرصاص على القدم اليمنى الأمامية للنعجة الثانية فقتلت الأخرى على الفور مما أثار دهشة الجميع. ثم أعدنا حشو الرشاش (فينوس) وركبنا عليه كاتم صوت مزدوج، وحينما أطلقنا الرصاص كان الصوت غير مسموع لدرجة أنه يصعب على الانسان القول بأن هذا الصوت هو صوت سيل من الرصاص أما النعجة الثالثة فإنه بعد اطلاق مئة رصاصة عليها خلال ثانية وعشري الثانية فإنها استحالت إلى كتلة من اللحم والدم .. بل انه لم يبق منها خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة جداً إلا أشلاء. والأمر المدهش أكثر من ذلك هو أن النعجة الرابعة قتلت دون أن يطلق عليها أحد، لكن الذي حدث هو أن النعجة الثالثة حينما أطلقت

عليها النار هوت على الأرض كلمح البرق، وتطايرت الرصاصات بشكل كثيف فبعضها أصاب الثالثة، والبعض الآخر مر من فوقها ليصيب الرابعة.

س : هل كانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية راضية عن هذا ؟

ج : تماماً نعم، وأمروا بصنع ٥٠٠٠ رصاصة من ذلك النوع، وقد صنعتها لهم. ثم عادوا إلي ثانية وقالوا لي : « انظر، ما الذي يمكنك أن تفعله أيضاً بهذه الأشياء ؟ هل تستطيع تحسين قوة فعاليتها أكثر » ؟ وأجبتهم « أية فعالية تريدونها أكثر من هذا » ؟ فأجابوني : « اننا نريد شيئاً أقل مأساوية .. ان قتل إنسان داخل طائرة تحلق في الجو، واحداث فتحة بحجم قبضة اليد في صدره هو عمل ملفت للنظر » فقلت لهم : « أجل، فهذا صواب، إن ذلك شيء غير جيد ». وصنعت لهم خراطيش أصغر، تندفع بقوة أكثر، دون أن تحدث ضجة أو أي صوت، وقد مزجت بعض هذه الخراطيش بسم مجفف من أفعى الكوبرا، اضافة إلى سم الأفعى المنمرة. ولم أفهم السبب الذي أرادوه من وضع السم في رصاصة قاتلة. وقد تولد لدي احساس بأنني أتعامل مع أناس هم من طراز (جيمس بوند) الذي يبحث عن مختلف الوسائل والأدوات .. أجل فقد كانوا يريدون أن يكون بحوزتهم كل شيء غير عادي.

س : إن هذه الخرطوشة فيها الكثير من الدناءة، فهل هناك شيء غيرها أكثر دهاء ومكرا ؟

ج : أجل، ومرة ثانية كان هناك افتراض : ماذا كنت ستفعل إذا ما حوصرت في مكان ما ناء ومنعزل من قبل جماعة من الرجال المتوحشين الذين لا يعرفون الرحمة ؟ وكان يجب عليّ أن أفكر بعمق قبل أن أقول : « ان سلاحاً ينفث اللهب سوف يكون له تأثيره النفسي، ولذلك يجب بطريقة أو بأخرى صنع سلاح بهذه المواصفات ويكون صغير الحجم

بحيث يمكن وضعه في الجيب » وحازت هذه الفكرة على اهتمامهم الشديد ، لكن المشكلة هي أن الأجهزة التقليدية التي بين أيدينا كانت تتطلب ايجاد مواد وتجهيزات ميكانيكية لانتاج هذا السلاح. وفي النهاية صنعت لهم سلاحاً بسيطاً جداً جداً. أما أكثر شيء حاز على اهتمام واعجاب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فقد كان سلاح نافث اللهب هذا الذي يمكن فكه بسرعة، ووضعه بين الأمتعة، وحمله إلى أي مكان، اضافة لكونه لا يثير الشبهات أبداً، لدرجة أن المسؤولين ورجال البوليس لن يشكّوا مطلقاً في أنه سلاح رهيب من الدرجة الأولى.

س : وهذا يقودنا إلى اقتراب نهاية ذلك النوع من الأعمال التي كنت تقوم بها ؟

ج : نعم، لكن كان هناك عمل أخير قمت به لكنه كبير وهام جداً، فقد صممت القنبلة البارومترية، انها قنبلة تعطي مفعولها بفعل تغير الضغط الجوي، وهي لا تنفجر، لكنها تنشر غازا ساماً في الجو. ويفترض بهذه القنبلة أن تكون صغيرة « وبقدر ما يجب أن يكون حجم القنبلة صغيراً، بقدر ما يكون مفعولها قوياً جداً لدرجة أنه يمكن أن تقتل طاقم وركاب طائرة مدنية وهي في الجو » ... هكذا جاء في تعليمات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي تلقيتها، إضافة إلى أنه يجب أن لا تبقى أية آثار تشير إلى ما حدث بعد وقوع الكارثة .. وقد صنعت قنبلتين من هذا النوع وسلمتهما إلى وكالة المخابرات.

س : لقد قلت ان ذلك العمل هو آخر عمل قمت به لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، فما هو السبب الذي دفعك إلى اتخاذ هذا الموقف ؟

ج : الحقيقة هو أن تغييرات نفسية أخذت تحدث في داخلي، أما

مرحلة التغيير الحقيقي فقد كانت بدايتها مع شروعي بالعمل في شركة صنع الأسلحة النارية، إذ كنت مهتماً بالحياة وأريدها لنفسي بينما كنت في ذات الوقت أقوم بصنع الأسلحة التي تقتل الناس بما فيهم أنا .. حتى انني كدت أقتل نفسي مرات عديدة.

س : هل وجدت نفسك ذات مرة وقد أصبحت على شفير هاوية الجنون نتيجة الشك والارتياب بك من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وهل اعتقدت ذات مرة أن هذا الأمر ليس مجرد صدفة أو حادث عابر ؟

ج : بالطبع، لكن يجب عليك أن تراقب نفسك وتسيطر عليها، والّا فإنك سوف تصبح مجنوناً ... ولقد حطموني جسدياً ومعنوياً حتى حدث انني أصبت بنوبة قلبية، وبعد ذلك بسنة أصبت بنوبة ثانية، ومضت ثلاثة أشهر وأنا في الفراش ثم عدت بعد ذلك إلى عملي وأنا مصمم على التوقف عن ممارسة هذا العمل ... وبعد مرور بضعة أيام على تقديم استقالتي من الشركة، اتصلوا بي هاتفياً إلى المنزل، والتقيت بأحد رجال وكالة المخابرات، وادعى انه مكلف من قبل الوكالة بالاطمئنان على صحتي، لكنه كان مهتماً أيضاً بالتعرف على حياتي الاجتماعية عبر بعض الأسئلة التي كان يطرحها عليّ، وأخبرته انني لا أريد العمل بعد الآن في مجال الأسلحة. بعد ذلك بدأت تنهال علي أسئلة تتعلق بتوجهاتي السياسية ولم يكونوا .قد بحثوها معي من قبل. وكانوا شبه مجانين : إذا لم تكن معنا فأنت ضدنا، وسألني بعد ذلك فيما إذا كنت أحتفظ بنسخة من كتاب (يوميات الشيطان) لكن هذا السؤال كشف عن حقيقة تفكيره، وأجبته « لا، وليست لي علاقة بأحد، ولا أنوي ذلك ». وبدأت أعيد تنظيم حياتي مع زوجتي، ورتبت أموري، وزاولت أعمالاً متعددة، كما قمت بعدد من الأعمال الاستشارية.

س : وهل تركوك بعد ذلك ؟

ج : كلا، فقد كنت أعلم تماماً أنهم يتعقبونني وكانت هناك سيارة تقف دائماً عند ناصية الشارع الذي أسكن فيه، وبدأت أتعرف على رجل واحد منهم ... كذلك فإن هاتف منزلي كان خاضعاً للرقابة وكنت إذا ما اتصلت بأحد أصدقائي، وقلت له : « انني سأغادر المنزل في الساعة الفلانية » فإنني أكون متأكداً من أن السيارة التي أصبحت مألوفة لدي سوف تكون في الطريق الذي أسلكه نفسه ثم بدأت بعد ذلك أجد رجال وكالة المخابرات الأمريكية في كل مكان عام مثل المطاعم الصغيرة التي لم يزرها أحدهم من قبل، وكانوا يقومون بهذا العمل بشكل متعمد حتى يجعلونني أعرف أنهم يراقبونني.

س : وما هو آخر اجتماع لك بهم ؟

ج : لقد كان آخر لقاء لي بهم حينما لاحظت زوجتي أن هناك من يراقبها، وكانت تلك أول مرة تتأكد فيها أن هناك شخصاً ما يتعقبها طوال الوقت وقد أخافها هذا الأمر، مما حدا بي إلى التصرف، فاتصلت بالوكالة، وحددت موعداً لمقابلة رجلين من موظفيها في أحد المطاعم .. دخلت إلى المطعم وجلست، ثم طلب الرجلان شيئاً من الويسكي، وسألاني عما إذا كنت أريد أن أشرب معهما، فقلت لهما : « كلا .. لا أريد .. وقد أتيت هنا لأقول لكم التالي وباختصار : إذا استمريتم في عملية ارهابي وتعقبي وكأنني متورط في قضية سياسية، وحاولتم أيضاً توريط عائلتي أو الاقتراب منها، فإنني أخبركم الآن وهنا بأنني سوف أعمل على تفجير العلبة (ف ـــ اكس) في شبكة تكييف الهواء المركزية في (لانغلي ـــ مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) وهذه العلبة وظيفتها تنقية الهواء من السموم ... وإذا ما حدث أي شيء غير طبيعي لي أو لعائلتي، فإنني قد رتبت كل الأمور لتنفيذ مثل هذا العمل ضدكم » ثم نهضت وخرجت من المطعم.

س : هل كنت جاداً في حديثك معهم ؟

ج : نعم، لقد عملت في مجال الأسلحة البيوكيميائية لمدة طويلة تمكنني من تنفيذ هذا التهديد بشكل جدي ...

وانتهت هذه المقابلة التي نشرت في المجلة الأمريكية بملاحظة تقول : بأنه بينما كان هذا العدد الذي يحتوي على هذه المقابلة تحت الطبع، فإن هذا الرجل الذي أجريت المقابلة معه توفي نتيجة اصابته بالسكتة القلبية، ويبقى من الصعوبة بمكان على أي انسان القول فيما إذا كان (السيد موت) قد وجد حقاً، أم أن المقابلة هي تجميع لاعترافات العديد من (سادة الموت) من رجال وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. ومما يلفت الانتباه أنه لم يصدر أي نفي أو تكذيب لما ورد في هذه المقابلة الصحافية.. وفي كل الأحوال، فإن اعترافات (السيد موت) تتطابق مع الكثير مِمَّا ورد في تقرير لجنة (تشيرش) التي حققت في جرائم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وعلى ما يبدو، فإن الاختراعات التي قام بها ذلك الخبير الراحل لا زالت تستعمل حتى اليوم.

مؤامرة لتدمير جمهورية كوبا

« إن فيديل كاسترو سوف يلقي خطاباً في الجلسة الافتتاحية لدورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ... وهناك يوجد أولئك الذين قطعوا على أنفسهم عهداً بأنهم لن يتركوه يغادر الولايات المتحدة الأمريكية حياً، فبصراحة، ان وجوده هناك في نيويورك هو بمثابة تحدٍّ لآلاف الكوبيين الذين التجأوا إلى نيويورك، والذين لن يقبلوا مثل هذا الأمر الواقع » (صحيفة التيما أورا الصادرة يوم ٩ /٩ /١٩٧٩).

وتعلق صحيفة (كوفرت اكشن انفورميشن بلليتن) الأمريكية على ما ورد أعلاه بقولها : « ان عملية تحريض الرأي العام التي قامت بها صحيفة اللاجئين الكوبيين، وهذه الدعوة الاستفزازية التي طالعتنا بها هي آخر مثال على انتهاك حرمة القانون من قبل مجموعة صغيرة، لكنها مميتة، ثم خلقها على يد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والتي رعتها وربّتها خلال ما يزيد على السنوات العشرين الماضية ... وعلى امتداد عقدين من الزمن فإن أولئك اللاجئين الكوبيين المتطرفين كانوا يقومون — من قريب أو من بعيد — بالأعمال الارهابية التي شملت النصف الغربي من الكرة الأرضية وبقاعاً عديدة من أوروبا، بالاضافة إلى افريقيا. وتعتقد مصادر رجال الشرطة ان المشرفين على هذه المجموعة لا يقل عددهم عن (١٠٠) شخص، وهم موزعون بين أوساط اللاجئين

الكوبيين في نيويورك ونيوجرسي وميامي وبورتوريكو. ورغم هذا التوزيع، فإن كل واحد منهم يعرف الآخر منذ عشرين سنة، حتى أصبح من الصعوبة بمكان اختراقهم أو التسلل إلى داخل صفوفهم. وقد استطاعوا أن يفلتوا من العقوبات الصادرة بحقهم نتيجة ارتكابهم أعمال القتل، والتشويه، والتفجير على امتداد القارات الأربع ... وعلى امتداد الستينات والسبعينات أيضاً، فإن هذه الشبكة المؤلفة من اللاجئين الكوبيين قد عملت لدى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وساهمت ليس فقط في شن عدد لا حصر له من عمليات الاغارة ضد كوبا والتي أشهرها عملية خليج الخنازير الفاشلة، بل بالعمل كمرتزقة في الكونغو وفيتنام، وساهمت في عملية (ووترغيت) أيضاً، وقدمت السلاح والرجال للمخابرات التشيلية (ديتا) ولغيرها من أجهزة المخابرات الأخرى التي كانت تعمل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على تأسيسها بين حين وآخر لتكون أداة طيعة بين يديها ... لكن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكذلك مكتب التحقيق الفيدرالي أخذا يدركان أنهما قد خلقا ما يمكن تسميته بالوحش فرانكشتين، وان حكومة الولايات المتحدة التي تسارع دوما إلى شجب الأعمال الارهابية تحتضن واحدة من أكثر التنظيمات الارهابية وحشية على وجه الأرض. فأعضاء هذه الشبكة الارهابية هم مجرمون محترفون، ورجال عصابات، وقتلة، ومدمنو مخدرات، ولا يقتصر خطرهم على كوبا فقط، بل أيضاً على الأغلبية الساحقة في الجالية الكوبية في الولايات المتحدة والتي لا تريد أن يكون لها أية صلة بهم، وعلى المواطنين الأمريكيين وغير الأمريكيين الذين تربطهم بكوبا علاقات عمل وتجارة ... ومنذ مطلع الستينات، فإن هؤلاء الارهابيين وضعوا كل مهاراتهم تحت تصرف وكالة المخابرات الأمريكية فاتقنوا استخدام المتفجرات، والقيام بالأعمال التخريبية، وإلقاء القنابل وكذلك فنون عمليات الاختطاف، مستغلّين كل العلاقات التي تربطهم بمنظمات المافيا. فقد اغتالوا عدداً من الدبلوماسيين في كل من واشنطن

والأرجنتين وايطاليا، وفي أمكنة أخرى، كما قاموا بتفجير طائرة كوبية في (باربادوس) وقتلوا جميع من كان على متنها ... وخلال الشهور الأخيرة كانوا يشنون حملات دعائية مضادة لأية اتصالات أو علاقات مع كوبا. بل إنهم عملوا على تفجير مقر البعثة الكوبية في هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، وكذلك قسم رعاية المصالح الكوبية في واشنطن.

« وأيضاً هم الذين قاموا بنسف المكاتب السياحية الكوبية وزادوا على ذلك بأنهم عملوا على نسف دور الصحف التي كانت تتعاطف مع كوبا، بل إنهم فجروا صيدلية في نيوجرسي احتجاجاً على إرسال الأدوية إلى كوبا ... ولقد كان الخطأ الوحيد الذي ارتكبه هؤلاء الارهابيون هو اعتقادهم الوقح انه بإمكانهم أن يمارسوا عمليات القتل في واشنطن ــ والتي يجب أن تكون حسبما هو متعارف عليه الملجأ الأمين للدبلوماسيين ــ دون انزال أية عقوبة بهم لأنهم سوف يفلتون من العدالة. لكن حادثة قتل (اورلاندو ليتليير) ومساعدته (روني موفّيتي) وسط واشنطن في شهر ايلول ١٩٧٦، أجبرت وزارة العدل الأمريكية على اتخاذ موقف قوي ضد هذه الشبكة. وظهر فيما بعد أن الحكومة الأمريكية لم تعد قادرة على السيطرة على هذا الوحش الذي خلقته رغم أنها تمكنت من إلقاء القبض على أربعة رجال من أتباع هذه الشبكة، وادانتهم. أما المواطن الأمريكي الذي نظم عملية التفجير والذي له صلاته الوثيقة مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فقد حكم عليه بالسجن بضع سنوات، غير أنه تمكن من الفرار من سجنه ... وباستثناء التحقيق في حادثة (ليتليير ــ موفّيتي) كانت هناك خطوات محدودة ضد هذه الشبكة، ولعل السبب في ذلك هو أن الكثير من زعماء هذه الشبكة، شأنهم كشأن كثير من الناس الآخرين المتورطين في فضيحة ووترغيت، يعرفون الكثير جداً، وبذلك فإن الرهان في هذه القضية كان حول سمعة الولايات المتحدة الأمريكية، ولا سيما أن هؤلاء الارهابيين كانوا بمثابة

تهديد وخطر حقيقي لكثير من الدبلوماسيين العاملين في هيئة الأمم المتحدة وفي واشنطن ... ولم يتحرك المسؤولون لاتخاذ اجراءات مضادة لهذه الشبكة رغم أنهم يعرفون الكثير عنها، وعن جرائمها اليومية.

وازدادت وحشية هذه الشبكة وصارت تعمل بشكل مكشوف حينما بدأت الاتصالات والحوارات بين الحكومة الكوبية وبين الجالية الكوبية التي تقيم في المنفى في الولايات المتحدة. وبالرغم من إدانة هؤلاء الارهابيين لهذا الحوار، فإن نتيجة الاتصالات بين كوبا وبين المنفيين أسفرت عن اخلاء سبيل أكثر من (٣٠٠٠) سجين، ومنحهم تأشيرات خروج لمغادرة البلاد، ومنح أولئك المقيمين في الخارج الإذن بالعودة إلى داخل كوبا لزيارة ذويهم. أما الارهابيون فقد أصبحوا أكثر قسوة ووحشية، إذ لوّح أحد المشاركين في عملية خليج الخنازير مهدداً (اننا لن نقتل أولئك الذين سيذهبون إلى كوبا، بل اننا سنجعل حياتهم جحيماً لا يطاق). وفي مقال نشر مؤخراً في صحيفة (نيويورك ماغازين) قال الصحافي المستقل (جيف ستين) بأنه أجرى تحقيقاً صحافياً حول هؤلاء الارهابيين في أحد أماكن تجمعهم في شمالي (نيوجرسي) ومما جاء في هذا التحقيق انه تعرف هناك في أحد شوارع هذه المدينة على مقر (الحركة الوطنية الكوبية) التي تضم بين صفوفها الارهابي المعروف (غويلرمو نوفو سامبول) الذي أطلق عام ١٩٦٤ قذائف بازوكا على مقر هيئة الأمم المتحدة حينما كان (تشي غيفارا) داخل المبنى، عبر النهر الشرقي. وجميع أعضاء هذه الحركة لهم صلاتهم الواسعة وعلاقاتهم المباشرة بالكثير من قضايا صفقات المخدرات، وكذلك بالأعمال الارهابية التي وقعت هناك منذ ما يزيد على السنوات العشرين الماضية. وعلى الرغم من أن منظمتين ارهابيتين هما (اوميغا ـــ ٧) و (المغاوير الصفر) اعلنتا مسؤوليتهما عن هذه الأعمال الارهابية فإن المسؤولين الأمريكيين على ثقة تامة بأن هاتين المنظمتين ما هما إلّا

مجرد غطاء وهمي لـ (الحركة الوطنية الكوبية). وبالفعل، فإن هذا الصحافي (ستين) قد أورد وثائق تؤيد ما قاله، حتى ان بعضاً من المسؤولين المحليين وغير المحليين أيدوا وجهة نظره ...

ويبقى السؤال المطروح هو: لماذا لم يتحرك المسؤولون بشكل أشد حزما رغم معرفتهم بكل هذه الوقائع ؟ هل صحيح ما يقال من أن الحكومة الأمريكية عاجزة عن اختراق هذه العصابات والتسلل إلى صفوفها، رغم العلاقات الطويلة الأمد التي أقامتها الحكومة مع أوساط الجالية الكوبية هناك ؟ وكيف يستطيع هؤلاء الارهابيون أن يعلنوا في صحفهم ونشراتهم عن محاولتهم اغتيال (فيديل كاسترو) حينما زار هيئة الأمم ؟ وهل يحق لنا أن نعتقد أن عمليات الاعتقالات لن تتم لو كانت المنظمة الارهابية غير هذه المنظمة، أو كان الشخص المستهدف من قبلها هو الرئيس كارتر، أو البابا ؟ ... قال (فيديل كاسترو) في الدورة السادسة لمؤتمر دول عدم الانحياز « لقد أصبح منَ المعروف لدى الجميع ــ وهذا ما اعتُرف به رسمياً في الولايات المتحدة ــ أن المسؤولين في تلك البلاد يعملون منذ سنوات على تنظيم وتخطيط المؤامرات لاغتيال زعماء الثورة الكوبية مستخدمين أكثر طرق الجريمة والتآمر قذارة ولا أخلاقية. وبالرغم من أن هذه الأعمال تمّ كشفها واعلانها للرأي العام بعد التحقيقات التي قامت بها لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي، فإن الحكومة الأمريكية لم تقدم أي اعتذار عن هذه الأعمال الهمجية القبيحة »[1].

وتمضي (كوفيرت اكشن) بالحديث عن هذه الشبكة الارهابية، إلا أنه لم يبد أبداً أي اتجاه جاد من قبل المسؤولين الأمريكيين لمعالجة هذا الوضع، فقد أصبح الارهابيون يتمتعون باحترام متزايد، ولا سيما أن تصريحات الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته اتخذت موقفاً عدائياً ميالا

(١) كوفيرت اكشن انفورميش بلليتن، العدد ٦، أوكتوبر ١٩٧٩، ص ٨ ــ ٩.

إلى القتال ضد كوبا. وقد لاحظت (كوفيرت اكشن) أن أولئك الذين يعملون في (لانغلي ـــ مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) والذين خططوا لعدة أعمال تخريبية ضد كوبا، أصبحوا يتوقعون قدوم أيام عمل مليئة بالقلق بالرغم من أن الرؤساء الأمريكيين كانوا قد نفوا نفياً قاطعاً أي تورط في المحاولات التي جرت لاغتيال (فيديل كاسترو) وهم بالطبع يعرفون الكثير. وتصل الصحيفة في نهاية المطاف إلى القول : « إن الادارة الأمريكية في عهد كارتر تفتخر علنا بموقفها المعادي لكوبا ».

وطبقا لما ورد أعلاه، نقتطف التالي مما أوردته صحيفة (نيويورك تايمز) :

« لقد صرح السيناتور (فرانك تشيرش) هذا اليوم : ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد نظمت فعلياً عدة محاولات لاغتيال رئيس وزراء كوبا فيديل كاسترو في عهود ثلاثة رؤساء امريكيين ... وقد توصلت لجنة التحقيق المنتخبة من مجلس الشيوخ للتحقيق في نشاطات وكالة المخابرات المركزية إلى حقائق وأدلة تثبت وقوع هذه المحاولات للاعتداء على حياة السيد كاسترو في عهد كل من : (دوايت د. ايزنهاور) و (جون. ف. كنيدي) و (ليندون. ب. جونسون) ... ورغم ذلك فإن اللجنة لم تجد دلائل قاطعة تفيد أن أي واحد من هؤلاء الرؤساء قد أصدر أوامره أو حتى كان على علم بأن وكالة المخابرات متورطة في محاولة اغتيال زعيم أجنبي. وقال رئيس اللجنة حرفياً : « ليست لدينا دلائل قوية تشير إلى وجود أيّة علاقة مباشرة بهذا النشاط من قبل أي رئيس » ... وفي مقابلة أجراها برنامج (قضايا وأجوبة) الذي تبثه محطة تلفزيون **A.B.C** الأمريكية، قال السيد (تشيرش) وهو من الحزب الديمقراطي عن ولاية (ايدياهو) : « حينما يتم نشر تقرير اللجنة على الملأ فإنك ستجد أن المؤامرات ومحاولات الاغتيال امتدت

سنين عديدة » ... فقد امتدت منذ عهد ادارة ايزنهاور مروراً بإدارة كنيدي وحتى في عهد جونسون ».

ومع ذلك، فإنه يمكن القول أن هناك دلائل لا يمكن دحضها بأن الأعمال الارهابية ضد كوبا استمرت أكثر من ذلك بكثير.

إن هذه الأعمال العدائية بدأت منذ سنة ١٩٦٠. وفي يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٦ نشرت مجلة (بوهيميا) الكوبية مقالاً بقلم (لويس باييز) حول محاولات الاغتيال التي نظمت ضد زعماء كوبا، وسنورد بعد قليل وبشكل موجز ما ورد فيه، لكن يجب القول انه توجد دلائل قاطعة على انه جرت ما لا يقل عن (٢٠) محاولة اغتيال ضد (فيديل كاسترو) تم التخطيط لها، وتوجيهها وتمويلها من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

ولن نتطرق هنا إلى الحديث عن كافة محاولات الاغتيال هذه التي تعرض لها رئيس الوزراء الكوبي، بل اننا سنسلط الأضواء على عدة محاولات لم تكن معروفة لدى الرأي العام، وهي تثبت في الوقت نفسه استمرار مشاركة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ووكالات التخريب الأخرى في هذه الأعمال.

١

في منتصف الستينات تمكن كل من (ارماندو كوبريا راموس) و (ماريو تاولرساغي) ــ وهما عضوان في منظمة (لاكروز) المعادية للثورة الكوبية ــ من التسلل إلى كوبا بالقرب من منطقة (بونتا هيكاكوس) في اقليم (ماتانزاس).

وكان (تاولرساغي ـــ وهو قاطع طريق ورجل عصابات) وكذلك (كوبريا) قد تلقيا تعليمات لاغتيال رئيس وزرائنا (فيديل كاسترو) والقيام بعمليات ارهابية وتخريبية أخرى. وقد تسلما قبل مغادرتهما (فلوريدا) متوجهين إلى كوبا كميات كبيرة من المعدات والأجهزة العسكرية من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وتم ضبط كل هذه المعدات في حوزة (كوبريا) و (وساغي) حين تم اعتقالهما.

٢

أما العميل (همبرتو سوري مارين) وهو معاد للثورة، فقد تمكن من التسلل مع أربعة آخرين من (فلوريدا) إلى كوبا عبر الساحل الشمالي لـ (هافانا) في شهر آذار ١٩٦١ بهدف اعادة تنظيم الحركات المعادية للثورة، واغتيال (فيديل كاسترو) وتطوير ومتابعة كافة أنواع النشاطات التخريبية كنوع من المساعدة لعملية غزو خليج الخنازير. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتدريبهم وتسليحهم. وحينما تم اعتقالهم ضبطت بحوزتهم معدات عسكرية، وتجهيزات أخرى.

وبالاضافة إلى (سوري مارين) كان هناك من المتآمرين : (روغليو غونزاليس كورشو) و (مانويل لورنزو بويغ ميلان) و (نمسيو رودريغز نافاريت) و (غاسبار دومنغيز ترويبا) و (افيميو ج. فرناندز اورتيغا) و (رافائيل دياز هانسكونس). وجميعهم رؤساء منظمات ومجموعات معادية للثورة، توجههم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

٣

وفي شهر حزيران ١٩٦١، عقدت (الجبهة الديمقراطية الثورية) وهي معادية للثورة في كوبا اجتماعاً حضره عميل تسلل إلى كوبا، وهو يحمل امراً من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لاغتيال (فيديل كاسترو) وأن يقوم بالتنفيذ كل من (خوان باسيغالوبي هورندو) و (هيغنيو مينندز بلتران) و (غوليرمو كولا فيرير) وآخرون. ووضعوا خطة لتنفيذ عملية الاغتيال لتتم عند تقاطع شارعي (كالزادا دي راشو بوييروس) و (سانتا كاتالينا). وكان من المفروض أن يساعدهم صاحب مغسل سيارات يقع في المنطقة نفسها وقام المتآمرون بنقل عدة سيارات، وسيارة شحن صغيرة، ومدفعي بازوكا، وقنابل انشطارية، ورشاشات نارية، وأسلحة أخرى، حيث تم تجميعها في قطعة أرض شاغرة بالقرب من مغسل السيارات.

وحينما القي القبض على (غوليرمو كولا) و (هيغنيو مينندز) اعترفا بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد أشرفت على المحاولة، ولا سيما أن المتآمرين كانوا قد متنوا علاقاتهم مع مسؤولين الوكالة الذين كانوا يزودونهم بالتعليمات وبالمعدات عبر قاعدة (غوانتانامو) البحرية الأمريكية وعبر سفارة دولة رأسمالية في كوبا.

٤

في النصف الثاني من شهر حزيران ١٩٦١ قامت عدة عناصر معادية للثورة بالتخطيط لاغتيال (فيديل كاسترو). وهذه العناصر تنتمي إلى المنظمات التالية المعادية للثورة الكوبية : (٣٠ نوفمبر) و (الحركة الثورية الشعبية) و (الجبهة الديمقراطية الثورية). ووقع الاختيار على

منزل (سيليا سانشيز) في منطقة (فيدادو) لتنفيذ العملية، حيث قام المتآمرون بدراسة الموقع لوضع الخطة المحتملة، وكان الجهاز المنوي استخدامه عبارة عن بندقية ذات جهاز تسديد تلسكوبي. أما العيارات النارية التي سوف تطلق، فكان يفترض أن يتم اطلاقها من شقة تطل على الشارعين رقم ١١ و ١٢. وحصل المتآمرون على معلومات حول سكان الشقة، وكم يبلغ عددهم، وما هي صفات كل منهم، من أجل تنفيذ المرحلة الأولى من المخطط المرسوم وذلك باقتحام المبنى، واحتجاز ساكنيه وتقييدهم. وقد تلقى هؤلاء الرجال المعادون للثورة تعليماتهم من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بواسطة كل من العملاء (طوني فارونا) و (مانويل راي) و (اورليانو سانشيز ارانغو) والذين كانت علاقتهم مباشرة مع الادميرال (آرليه بورك) وعدد آخر من ضباط وكالة المخابرات في قاعدة (غوانتانامو) البحرية.

كذلك كان من بين الذين القي القبض عليهم (ماريو شانز دي آرماس) و (فرانسيسكو شانز دي آرماس) و (روبرتو فالكارس) و (اورلاندو فالدز) و (فرانسيسكو غيل كروز) و (سيغندو غونزالس) وغيرهم.

٥

بعد إخفاق عملية خليج الخنازير، صعّدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية نشاطاتها التخريبية ضد بلادنا، عبر قيامها بإعادة تنظيم الحركات والمنظمات المعادية للثورة والمشتتة والممزقة، واعادة رص الصفوف، حول (منظمة المقاومة المتحدة). وقام بهذه العملية عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، الذين تسللوا إلى كوبا، ومنهم

(اميليو ادولغو) و (ريفيرو كارو ــ براند) و (ادولغو مندوزا ــ راؤول) و (جورج غارسيا رييو ــ توني) و (الفريدو ايزاغير دي لاريغا ــ تيتو).

وكانت مهمتهم القيام بكافة أنواع النشاطات المعادية للثورة، بما في ذلِك اغتيال (راؤول كاسترو) خلال احتفال يقام على استاد (انطونيو ماسيو) في السادس والعشرين من تموز ١٩٦١. وحينما فشلوا في هذه المحاولة، قاموا بمحاولة أخرى على طريق مطار سانتياغو وكان عليهم بعد ذلك القيام بأعمال الشغب والتحريض بالهجوم على قاعدة (غوانتانامو) البحرية، في محاولة منهم لايهام العالم ان سخط الكوبيين على مقتل (راؤول كاسترو) قد جعل بقية الزعماء الكوبيين عميانا لدرجة أنهم أمروا بشن هجوم على قاعدة (غوانتانامو) البحرية، الأمر الذي من شأنه خلق مبرر للولايات المتحدة الأمريكية لتشن عدواناً على كوبا. وفي الوقت ذاته تم التخطيط لشن عدة هجمات ضد الدول المجاورة من أجل توريط عدة دول أخرى في هذا الصراع، واستدراج شعوبها.

وتضمنت هذه الخطط أيضاً العمل على اغتيال (فيديل كاسترو) خلال الاحتفالات التي ستقام في اليوم ذاته (٢٦ تموز ١٩٦١) في ساحة الثورة في (هافانا) ومن أجل هذا استدعي العميل (خوسيه بوجالس ميديرو) إلى الولايات المتحدة، وكان قد غادر ــ بناء على هذه الدعوة ــ كوبا بطريق غير مشروع.

خلال وجوده في الولايات المتحدة التقى (خوسيه ميديرو) بمسؤولين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ومنهم (جيم بندر الذي يعرف باسم جيم بولدنغ) و (هارولد بيشوب) و (كارل هيتش). وخلال هذه الاجتماعات تم تعيين (ميديرو) رئيساً لعملاء وكالة المخابرات الأمريكية العاملين في كوبا.

ومن أجل القيام بعملية الاعتداء على قاعدة (غوانتانامو) واثارة عمليات التحريض، تم وضع أربعة مدافع في مزرعة (الكوررو) المجاورة للقاعدة، وكان يفترض أن يطلق كل مدفع حوالي ست قذائف تقريباً. وفي الوقت ذاته تقوم مدافع أخرى بإطلاق نيرانها على المدافع الكوبية المتوضعة في منطقة مجاورة وقريبة. وهذا العمل يهدف إلى خلق انطباع مفاده بأن المدافع الكوبية تعرضت لقصف من قبل القاعدة البحرية، مما سيدعو الكوبيين إلى الرد بالمثل مباشرة، وكذلك سيحصل الأمر نفسه لدى الطاقم الموجود في القاعدة البحرية التي ستعتقد أنها تعرضت لقصف من قبل الكوبيين، الأمر الذي سيعطي الولايات المتحدة ذريعة لشن هجوم عسكري مباشر ضد كوبا.

وقد عقدت عدة اجتماعات سرية في تلك القاعدة البحرية، وقام المشرفون على هذه القاعدة بقيادة الكابتن (كارل شنوياز) بتخصيص كمية كبيرة من المعدات العسكرية والذخيرة لتنفيذ هذه الخطط. وكان للمسؤولين الأمريكيين دور كبير في عمليات شحن عدة أطنان من الأسلحة والذخائر ضبطت بحوزة أعداء الثورة المتورطين في هذه القضية.

٦

في شهر تشرين الأول ١٩٦١ قامت التنظيمات المعادية للثورة (جبهة ايسكامبري الثانية) و (حركة التجديد الثورية) وبإشراف من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بوضع خطة مشتركة للقيام بعمليات التخريب في العاصمة بهدف اثارة الذعر والخوف والسخط بين السكان الذين سيجتمعون للاحتفال بعودة الرئيس (اوسفالدو دورتيكس) إلى البلاد بعد جولة في البلدان الاشتراكية. وخطط المتآمرون لاطلاق نيران

مدافع البازوكا على (فيديل كاسترو) وزعماء الثورة الآخرين خلال المسيرة التي ستقام بهذه المناسبة أمام قصر الرئاسة السابق. وكان المتهم في هذه العملية عميل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (انطونيو فسيانا فيكتور). أما موعد التنفيذ فقد حدد يوم ٤ تشرين الأول، على أن تسبقه منذ يوم ٢٩ ايلول موجة من أعمال العنف، لكن هذه العملية أحبطت، ويعود الفضل الكبير في ذلك إلى يقظة الشعب وتعاونه. غير أن بعض العبوات الناسفة انفجرت، أما خطة تفجير المحلات التجارية فقد فشلت لأن العبوات التي وضعت في المراكز الكبرى مثل (فن دي سيغلو) و (خ ــ فاليز ــ سيارس سابقاً) قد تم اكتشافها في الوقت المناسب. أما عملية اغتيال رئيس الوزراء (فيديل كاسترو) فكان يجب أن تتم من الشقة رقم ٨ /أ في الطابق الثامن من البناء رقم ٢٩ في شارع (دي لاس ميسيونيس). وقبل أن يتم تنفيذ العملية بأيام قليلة غادر (انطونيو فسيانا) كوبا متوجهاً إلى فلوريدا لاعلام وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتفاصيل خطة العملية.

وكان يفترض أن يبدأ اطلاق مدافع البازوكا بعد حلول الغسق، وتم اختيار هذه الساعة على أساس أن الحراس المتواجدين في المكان سوف يكونون أقل انتباهاً، وليسوا على أهبة الاستعداد حينما يتم الهجوم. وبعد أن تطلق قذائف البازوكا، سوف يتم إلقاء القنابل على جمهور المحتشدين لاثارة الذعر. أما المتآمرون فكان يجب عليهم ارتداء الملابس العسكرية، وملابس رجال الميلشيا. وكان من بين الذين سينفذون هذه المؤامرة (انطونيو رينولد غونزالس) و (برناردو باراديلا ايباريش) و(راؤول فنتادي مازو) و (خوان م. ايزكويردو دياز) وجميعهم تم إلقاء القبض عليهم. كما عثر بحوزتهم على التالي : مدفع بازوكا من صنع امريكي، ورشاشان من صنع تشيكي، ثلاث بزات عسكرية خاصة برجال الميليشيا، وخمس قنابل انشطارية، وبذلة عسكرية، وحزام خراطيش لبندقية من طراز (م ١٠٠).

٧

في مطلع عام ١٩٦٢، وبناء على تعليمات من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومن قاعدة (غوانتانامو) البحرية، قام (جورج لويس كورفو كالفو) بمحاولة لاعادة بناء الهيكل التنظيمي للتنظيمات والحركات المناهضة للثورة في محاولة لخلق ما يسمى بـ (الوحدات الثورية المتحدة). وقد التقى (كالفو) هذا مع (همبرتو غومز بينا) و (راؤول كاي هيرداندز) و (راؤول كاي غيسبرت) وآخرين غيرهم من أجل التعاون في تطوير خطط عمليات تخريبية، واعلامهم عن الاتصالات التي أجراها مع القاعدة البحرية من أجل الحصول على الأسلحة والمعدات.

واستمرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في طريق وضع الخطط التي تستهدف اغتيال زعيم الثورة الكوبية، وكذلك خلق عمل استفزازي للهجوم على قاعدة (غوانتانامو). وبناء على تعليمات الوكالة قام (كورفو كالفو) بالاتصال مع ثلاث منظمات، وباشر برسم خطة اطلق عليها اسم (الخطة زد). وكانت تستهدف قتل زعيم ثوري، ثم القيام بحملة من عمليات الاغتيال الموجهة ضد كافة زعماء الثورة الذين يفترض انهم سيشاركون ـــ وهذا أمر طبيعي ـــ في موكب تشييع الزعيم الثوري الذي قتل. واختير الدكتور (راؤول كاسترو) وزير خارجية كوبا ليكون الضحية الأولى ... وخصص لتنفيذ هذه العملية ثلاثون شخصاً قسموا إلى ست مجموعات، كل مجموعة تتكون من خمسة رجال، واقتضت الخطة أن يقوم (١٥) رجلاً من هؤلاء الرجال بارتداء الملابس العسكرية الخاصة برجال الميليشيا الثورية الوطنية.

٨

الزمان : الأيام الأولى من العام ١٩٦٣. وكان الشعب الكوبي لتوه قد احتفل بالذكرى الرابعة للثورة، واتجه قدماً نحو تنفيذ المهام الملقاة على عاتقه يداً بيد مع (فيديل كاسترو) تلك المهام التي يجب تنفيذها خلال الشهور القادمة من السنة التي قرر لها أن تكون (عام التنظيم).

في الساعة الثالثة من بعد الظهر كان هناك رجلان يتحدثان بحماسة مع بعضهما عند ناصية الشارع رقم ٢٥ في المنطقة م في حي (فيدادو). وهذان الرجلان كانا مستخدمين في فندق هيلتون سابقاً، وهما : (سانتوز دي لاكاريداد بيريز نونز ــ عامل كافيتريا) و (مانويل دي جيسوس كامبانيوني سوسا ــ عامل بائع في الكازينو). كان (كامبانيوني) يقول لصديقه : « ــ اننا ننتسب إلى منظمة سرية تضم كافة الناس الذين يعملون في بعض الفنادق والكافيتريات، فلماذا لا تنضم الينا ؟ فأجابه صديقه (نونز) : انني انتسبت فعلاً إلى منظمة تشبه هذه التي تتحدث عنها ». وتساءل (كامبانيوني) فيما إذا كان (فيديل كاسترو) يتردد إلى فندق (هافانا الحرة ــ هيلتون سابقاً) وقال : إن لديه « شيئاً جيداً » لاغتيال (كاسترو) زعيم الثورة بواسطته. فتساءل (نونز) : « ماذا تعني » ؟ أجاب (كامبانيوني) : « انها كبسولات تحتوي على سم قاتل » وتساءل (نونز) ثانية : « وإذا ما فشلت العملية ؟ » قال (كامبانيوني) : « لا يمكن أن يحدث ذلك لأن الأمريكيين هم الذين أعطوني إياها ». ثم عرض عليه المشاركة، فوافق (نونز) على ذلك. وبعد مرور ثلاثة أيام التقى هذان الرجلان في موقف السيارات على ناصية الطريق مرة ثانية، وقام (كامبانيوني) بتسليم (نونز) تلك الكبسولات القاتلة والتي كانت مخبأة في علبة من العلب التي تحتوي عادة على أزرار الأكمام الفضية أو الذهبية.

حينما تسلم (نونز) تلك الكبسـولات قام بإخفائها في درجه الخاص به في الفندق لعدة أيام. ثم أخذ يحمل هذه الكبسولات يومياً ويحضرها معه إلى الكافيتريا، ويخفيها في ثلاجة تبريد البوظة بين الأنابيب التي تستخدم عادة لتمرير الغاز السائل إلى الثلاجة والذي يقوم بعملية التبريد، وفي نهاية اليوم يعيدها إلى الدرج الخاص به .. لكن الذي حصل في النهاية، هو أنه تم إلقاء القبض على كافة المتآمرين من قبل قوات الأمن، وأثبتت التحقيقات بشكل لا يمكن دحضه تورط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في هذه المؤامرة.

٩

إن حلف (المقاومة المدنية ضد الشيوعية ــ ركا) والذي يتألف من (حركة التجديد الثورية ــ مرر) و (مجموعة مونتكريستي ــ آم) و (والمجلس الوطني المركزي ــ سسن) و (الوحدة الثورية ــ ير) و (الكوماندوس السريون ــ سس) و (جيش التحرر الوطني ــ الن)، هذا الحلف كان يعمل بتوجيه تام من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بواسطة عميلها (نينو دياس).

في عام ١٩٦٣، طلبت وكالة المخابرات الأمريكية من حلف (المقاومة المدنية ضد الشيوعية) القيام بتنظيم وتنفيذ عدد من الأعمال والنشاطات الارهابية المحلية لخلق انطباع مفاده أن المقاومة الشعبية في كوبا بدأت تشق طريقها، وانها آخذة بالنشاط. وكان سبب هذا هو الرغبة في طرح مسألة امكانية التدخل الخارجي المسلح في كوبا خلال اجتماع رؤساء منظمة الدول الأمريكية. وكانت خطة هذه الأعمال تنقسم إلى ثلاث مراحل، تبدأ باغتيال (فيديل كاسترو) خلال إلقائه

كلمة أمام الجماهير التي تحتفل بيوم ١٣ آذار(٢). وأعد المتآمرون لهذه العملية مدفعاً وخمس قذائف، كان يفترض أن توضع في منزل مجاور لجامعة هافانا. وبعد ذلك يتم القيام بشن هجمات ضد مراكز وفروع لجان الدفاع عن الثورة في العاصمة وفي المناطق الأخرى، وتستعمل لهذه الغاية القنابل الانشطارية الأمريكية الصنع، والتي استلمها المتآمرون بواسطة بعثة دبلوماسية لاحدى الدول الرأسمالية. وكان هناك أيضاً هجوم مقرر على أحد مستودعات الجيش في (شارع تماريندو) وكذلك القيام بسلسلة من عمليات التخريب المتنوعة في كافة أنحاء الجزيرة.

أما التحقيقات التي دارت حول هذه القضية فقد أثبتت هي الأخرى ــ يضاف إليها الأقوال التي أدلى بها المتآمرون خلال التحقيقات التي أجريت معهم ــ أن هذه الخطة قد تم وضعها والموافقة عليها من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، بالاضافة إلى سفارة الدولة الرأسمالية المشار إليها سابقاً، وكذلك قيادة قاعدة (غوانتانامو) البحرية. وكان من بين المعتقلين في هذه القضية، كل من (لويس دافيد رودريغز غونزالس من حركة التجديد الثورية) و (ريكاردو اولميدو مورينو من مجموعة مونتكريستي) و (توماس سوبرادو مارتين من الوحدة الثورية) و (خوسيه زامور سوسا من حركة التجديد الثورية) و (خوسيه مارتينز فالدس وهو من عصابة توماس سان غيل) و (راؤول برادو ساردنياس رجل الارتباط بين هافانا والعصابات التي تعمل في جبال لاس فيلاس) وعميل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (صاموئيل كارباللو مورينو).

(٢) في ١٣ آذار ١٩٥٧، قام الطلاب ذوو الميول الثورية بمهاجمة قصر الرئاسة ومن ثم أصبح يحتفل كل عام بهذا اليوم في كوبا.

وضبطت بحوزة المتآمرين الأسلحة التالية : رشاشان من طراز ثومبسون، بندقية عيار ٧٥ر٣ ملم، وأخرى من طراز وينشستر ٣٢ مجهزة بمنظار تلسكوبي، وقنبلتان يدويتان للشظايا، ومدفع بازوكا امريكي مع ست قذائف، وأربع رشاشات من طراز م ـ ٣، وبندقية قصيرة من طراز سان كريستوبال، إضافة إلى كمية كبيرة من الذخائر والأعتدة.

١٠

بعد الاخفاق الذي منيت به محاولة اغتيال كاسترو في جامعة هافانا، قام بعض أعضاء التحالف المسمّى بـ (المقاومة المدنية ضد الشيوعية ـــ ركا) بإعداد خطة جديدة لاغتيال (كاسترو)، وقد أشرفت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أيضاً على هذه العملية. أما مسرح العملية فقد كان (ملعب لاتينو اميركانو الرياضي) والتاريخ المحدد هو ٧ نيسان ١٩٦٣. وكان يفترض أن يقوم بتنفيذ هذه العملية (١٦) شخصاً مسلحين بالمسدسات وبالقنابل ذات الشظايا.

وقد توقع المتآمرون أن يحضر (فيديل كاسترو) المباراة الختامية للبطولة النهائية بين فريقي (اندستريالز) و (اورينت). وكان الذين سيقومون بتنفيذ عملية الاغتيال بشكل رئيسي : (انريكو رودريغز فالدس والمعروف باسم ملغادو) و (ريكاردو لوبز كابريرا) و (استيفان راموس كيسيل) و (غيدو فاليانت تريستان) و (خوسيه سيرفانتس باروسو) و (الفريدو ايدغو فراروت) و (اورلندي فاليرو بارزولا) و (رينيه فيللار دي فرانكو) وقد تم اعتقالهم جميعاً.

١١

كذلك فإن حلف (المقاومة المدنية ضد الشيوعية) المعادي للثورة أعد خطة لاغتيال كل من (فيديل كاسترو) و (راؤول كاسترو) في ساحة الحرية خلال الاحتفال الذي سيقام هناك يوم ٢٦ تموز ١٩٦٣. وقد قسم منفذو العملية أنفسهم إلى أربع فرق يقودها كل من (رينيه سيغلر سانشز ايفياس) و (جيسيس مونت دي اوكاكروز) و (اوسكا ــ سيبيلا سوريا) و (اليسير رودريغز ساورز). أما المشرف العام فقد كان (ابراهيم ماشين هيرناندز). وحين تم اعتقال هؤلاء، ضبطت بحوزتهم كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر التي زودتهم بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

١٢

وفي ايلول عام ١٩٦٣ وردت معلومات إلى ادارة أمن الدولة في كوبا تفيد بأن عناصر من (الجبهة الداخلية للوحدة الثورية) و (الثلاثي أ) تخطط لنسف المنصة الرئيسية خلال الاحتفالات التي ستقام بمناسبة ذكرى تأسيس لجان الدفاع عن الثورة، مستخدمين حوالي (٦٠) رطلا من المواد البلاستيكية المتفجرة (سي ــ ٤). وفوراً، أصدرت ادارة أمن الدولة أوامرها باعتقال المتآمرين المعادين للثورة وهم : (اورلاندور مارتينيانودي لاكروز سانشز) و (خوان اسرائيل كازاناس ليون) و (جيسيس بلاسيدو رودريغز موسكيررا) و (لويس بلتران ارنسيبيا بيريز) و (فرانسيسكو بلانكو دي لوس كونيس) والمهندس (فريدريكو هيرناندز غونزالس) وآخرين لهم ارتباطهم بوكالة المخابرات الأمريكية عبر عميلها (بيير أوين دييز دي اور) وهو فرنسي

مقيم في كوبا، وقد أدلى باعترافات تفيد بأنه يعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية منذ ما يزيد على سنتين، وأنه يقوم بتزويدها بكافة المعلومات.

١٣

في منتصف عام ١٩٦٤ بدأ عدد من أعداء الثورة الكوبية الذين ينتمون إلى (حركة التحرر الوطني) التي هي عضو في حلف (المقاومة المدنية ضد الشيوعية ــ ركا) أيضاً، والذي يعمل بتوجيه من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، بدأ هؤلاء برسم خطة جديدة لاغتيال (فيديل كاسترو). وهم : (اوسفالدو فالنتين فيغويروا غالفز والمعروف باسم مانكيسكا) و (رينالدو فيغويروا غالفز) و (فيليب ألونز هيريرا) و (خوسيه مانويل رودريغز كروز، المعروف باسم لولو). وكانت هذه الخطة تقتضي أن يتم تنفيذ العملية في شهر ايلول خلال سلسلة مباريات شباب العالم في لعبة البيسبول، والتي تقام على ملعب (لاتينو اميركانو). وعلى امتداد ما يقارب العام، قام (اوسفالدو فيغويروا) بمراقبة الملعب، والتعرف على الأوقات التي يزور فيها (كاسترو) الملعب، وأين يجلس، وأي مدخل ومخرج يستخدم، وغير ذلك. وكان يفترض أن تقوم مجموعة مؤلفة من تسعة أشخاص بتنفيذ العملية. وقد تم اعتقالهم جميعاً، وضبطت أسلحة وذخائر بحوزتهم، وتبين خلال التحقيق أن ارتباطهم بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية كان عن طريق عميلي الوكالة (البرتو ورامون غراو سيررا).

١٤

في ايلول عام ١٩٦٤ قام تنظيمان من التنظيمات المعادية للثورة بناء على أوامر من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتشكيل اتحاد فيما بينهما، وهذان التنظيمان هما : (جيش التحرير الوطني — آلن) و (جبهة التحرير الداخلي — فيل). وبعد أن قام هذان التنظيمان بجمع المعلومات الاقتصادية والعسكرية لصالح وكالة المخابرات الأمريكية، صدرت إليهما الأوامر من هذه الوكالة عبر عملائها : (نيميسو كوبيللاس بيريز) و (آنغل ميغويل ارنسيبيا فيدان) و (رولاندو غالدوس رانزولا) و (الفونسو تورفيمدا تينديرو) و (مارينو بايلاك فالدس) وآخرين غيرهم، بإعداد خطة أخرى لاغتيال (فيديل كاسترو). وتقرر أن يكون مكان تنفيذ هذه العملية في الشارع رقم ١١، حيث تقطن (سيليا سانشز) سكرتيرة شؤون الرئاسة ورئاسة الوزارة. وقد اعترفوا بعد إلقاء القبض عليهم بما كانوا ينوون فعله، وكذلك باتصالاتهم مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

١٥

وفي مطلع شهر كانون الثاني عام ١٩٦٥ بدأ كل من (خوليو اومار كروز سيسيلليز) و (فيرمن غونزالس كاربالو) و (جيرالدو رينالدو دييغو سولانو) بوضع اللمسات الأخيرة لتفاصيل خطة الاغتيال (فيديل كاسترو) في (سانتياغو دي لاس فيغاس) علماً أن هؤلاء المتآمرين ينتمون إلى (جيش التحرير الوطني — ألن). لكنهم فيما بعد تخلوا عن الخطة الأولى، ووضعوا ثانية بديلة، بحيث يتم تنفيذها يوم ٣١ كانون الثاني (الشهر نفسه) وذلك خلال الاحتفال بيوم بطولة لعبة البيسبول،

والتي كانت ستقام على ملعب (لاتينو اميركانو). وكان هؤلاء المتآمرون مجهزين برشاشات نارية اوتوماتيكية، وقنابل للشظايا، على أن يبدأوا باطلاق النار في وقت واحد على (كاسترو) وعلى الجمهور المحتشد في الملعب من أجل اثارة الذعر والقلق والاضطراب.

١٦

في عام ١٩٦٥، حاولت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وللمرة الثانية، اعادة توحيد وجمع شمل التنظيمات المعادية للثورة الكوبية تحت ظل ما يسمى بـ (المقاومة المتحدة — يوناري). وفي الأيام الأولى من عام ١٩٦٥، وردت إلى ادارة أمن الدولة معلومات تفيد بأن أعضاء هذا التنظيم الجديد (يوناري) قد أعدوا خطة للقيام بسلسلة من عمليات الاغتيال التي تستهدف زعماء الثورة، على أن يبدأ التنفيذ يوم (٢٠) كانون الثاني. وكانت هذه الخطة تقضي باغتيال (فيديل كاسترو) في مطعم (فيتانوفا) أما المتآمر والمعادي للثورة (ريكاردو غاريغا ديل كاستيللو) والذي يعمل في المطعم إياه، فقد كانت مهمته أن يعلم بقية المتآمرين عن وصول (كاسترو)، وهم (انريك ابريو فيلاهي والمعروف باسم هنري) و (كارلوس فيسنتي سانشز هيرناندز) و (خوليا دي لاس نيفيس رويز بيتالوغا) وغيرهم.

واعترف الجميع بعد إلقاء القبض عليهم بنشاطاتهم، وعلاقاتهم مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وضبطت أيضاً بحوزتهم الأسلحة التالية : بندقية اوتوماتيكية من طراز (تومبسون) ومسدس ٣٨ — ب، ومسدس ستار ٩ ملم، وبندقية من طراز (رمنغتون) مجهزة بجهاز تسديد تلسكوبي، و ١٣ صندوقاً تحتوي على خراطيش، ووثائق خاصة بـ (يوناري).

١٧

لقد بدأت إدارة أمن الدولة في كوبا بتعقب (ماريو سالاباربا اغيللار) الرئيس السابق للبوليس الوطني، ورئيس مكتب النشاطات المعادية في حكومة (رامون غراو سان مارتين). وفي شهر أيّار عام ١٩٦٥، علمت إدارة أمن الدولة أن (سالاباريا) حاول شراء شاحنة من شركة للتلفونات بمبلغ يتراوح بين (١٠,٠٠٠ — ١٢,٠٠٠) بيسو (وحدة العملة المستعملة في البلاد). وكانت خطة (سالاباريا) تقضي بوضع رشاش من عيار (٣٠ أو ٥٠ ملم) في الشاحنة لاغتيال (فيدل كاسترو) حين مروره. أما علاقاته مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فقد قام بتقويتها من خلال (الدكتور برناردو ميلانس لوبز) وهو رئيس منظمة ارهابية. وحينما سافر هذا الأخير إلى اسبانيا، طلب (سالاباريا) منه أن يتصل بشقيقه (خوليو) الذي يقيم في (ميامي) ويخبره بأن يطلب من (طوني فارونا) مساعدة مادية لتنفيذ عملية اغتيال ضد (فيديل كاسترو). وقد تسلم بناء على هذا الطلب، وبواسطة (آرتورو فارونا) عميل وكالة المخابرات الأمريكية المعروف، مبلغ (١٠,٠٠٠) بيسو، ومسدساً مجهزاً بكاتم صوت، وأربع مسدسات من طراز (ماغنوم) وأجهزة اتصال لاسلكية، وكمية كبيرة من الذخائر الخاصة بهذه الأسلحة. وقد أقر (ماريو سالاباريا) خلال التحقيق بكل ما فعل، وكذلك بالمساعدات التي تلقاها من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

١٨

في شهر حزيران عام ١٩٦٥، تم الكشف عن شبكة من العملاء الذين يعملون لصالح وكالة المخابرات الأمريكية، برئاسة (رامون ــ مونغو) و (ليوبولدينا ــ بوليتا ــ غراو ألسينا) وكانا يقومان بسلسلة من الأعمال المعادية للدولة وللشعب، ولهما علاقات متينة مع وكالة المخابرات الأمريكية عبر سفارات بعض الدول الرأسمالية في كوبا. كذلك فإنهما كانا ينتميان إلى (الحركة الثورية المناهضة للشيوعية ــ مار) وإلى عدد آخر من المنظمات المعادية للثورة الكوبية، والتي كانت توجهها وتمولها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وقد تلقت (بوليتا ــ غراو) تعليمات من المخابرات الأمريكية للعمل على وضع خطة لاغتيال (فيديل كاسترو). ومن أجل هذا، تسلمت كبسولات تحتوي على السم، وقامت بتسليمها إلى (البرتوكروز كاسو) الذي سلمها بدوره إلى طبيب يترأس مجموعة تعمل لصالح المخابرات الأمريكية. وحينما فشلت هذه الخطة، زودت الوكالة الأمريكية العميل (طوني فارونا) بعلبة أخرى تحتوي على كبسولات السم القاتل من أجل القيام بمحاولة أخرى لاغتيال (كاسترو).

اضافة إلي ما تسلمته (بوليتا) من المخابرات الأمريكية، فإنها أيضاً وللهدف نفسه ــ تسلمت عدة أسلحة نارية كاتمة للصوت، وذات طلقات خاصة، وقد ضبط كل ذلك بحوزتها في شهر حزيران ١٩٦٥. كذلك، فقد تم اعتقال بقية المتآمرين، حينما افتضح أمر خطط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

١٩

أيضاً، وبناء على توجيهات وكالة المخابرات الأمريكية، تلقت منظمة (المغاوير ــ صفر) ومنظمة (حركة ٣٠ نوفمبر) واللتان يوجد لهما مندوبون في الولايات المتحدة الأمريكية، تعليمات لاعداد سفن مسلحة بهدف التسلل إلى داخل (كوبا) وتنفيذ عدد من أعمال التخريب في منتصف عام ١٩٦٥. لكن الذي حدث فيما بعد، هو أنه تم التخلّي عن خطط التسلل واستعيض عنها بخطة تقضي بشن هجوم مدفعي على مقر اقامة الرفيق (اوسفالدو دورتيكوس) رئيس الجمهورية، وعلى حي (ميرامار) و (ريفييرا). وقد تم تنفيذ هذه الجريمة، بينما عادت السفن المسلحة إلى الولايات المتحدة.

وفي شهر أيار عام ١٩٦٦، تسللت هذه العناصر نفسها إلى كوبا من أجل اغتيال (فيديل كاسترو) في حي (ميرامار) في الشارع الخامس. لكنهم هذه المرة وقعوا في كمين نصب لهم، وقتل في الاشتباك الذي دار بينهم وبين رجال الأمن كل من (ارماندو روميرو مارتينز) و (سانداليو هيرمينيو دياز غارسيا). أما (انطونيو كويستا فالي ــ وهو رئيس منظمة : المغاوير ــ صفر) و (ايغينيو انريك زالديفار كارديناس) فقد اعتقلا وبحوزتهما كمية كبيرة من الأسلحة والتجهيزات العسكرية.

ان هؤلاء العملاء المعادين للثورة تلقوا تدريباتهم في (بورتوريكو). كما أن بعضهم تقع عليه مسؤولية قصف الباخرة التجارية (سان باسكوال) التي غرقت في خليج (كايباريان) في (لاس فيلاس).

٢٠

في عام ١٩٦٦ القي القبض على القائد العسكري (رولاندو كوبيلا سيكاديس) باعتباره الشريك الأساسي في مؤامرة كانت تستهدف اغتيال (فيديل كاسترو) قامت بإعدادها وترتيبها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. فقد التقى (كوبيلا) خلال زيارته إلى مدريد بعملاء وكالة المخابرات الأمريكية (مانويل آرتيم) و (جورج ــ الماجو ــ روبرينو) و (لويس انريك تراسانكوس) و (كارلوس تيبيدينو) الذين قاموا بتجنيده لصالحهم. وكان من بين المتورطين في هذه المؤامرة أيضاً : (خوسيه لويس غونزالس غالاريتا ــ وهو موظف في السفارة الكوبية في مدريد) و (البرتو ــ اللوكو ــ بلانكو).

وخلال اللقاء الذي تم بين (كوبيلا) و (آرتيم) تكفّل الأخير بإرسال سفن مسلحة، وأسلحة، ورجال لغزو كوبا بعد (٧٢ ساعة) من اغتيال (كاسترو). وقبل عودته إلى كوبا، تسلم (كوبيلا) من (غونزالس غالاريتا) بندقية مزودة بجهاز تسديد تلسكوبي وبكاتم صوت. وقد ضبطت هذه بحوزته حينما القي القبض عليه، اضافة إلى أسلحة وتجهيزات أخرى. كما القي القبض أيضاً على كل من (غالاريتا) و (بلانكو).

٢١

في يوم ١٧ آذار ١٩٦٧ القى حرس الحدود القبض على أعداء الثورة (فيلكس آسسينسيو كريسبو) و (ويلفريدو مارتينيز دياز) و (غوستافو آريسينر آلفاريز) حينما كانوا يحاولون التسلل إلى داخل كوبا في منطقة (كابو فراغوسو) بعد قدومهم من الولايات المتحدة.

وكانت مهمتهم الرئيسية اغتيال رئيس الوزراء الكوبي (كاسترو) والقيام بحملة تخريبية تستخدم فيها المتفجرات البلاستيكية. ويترافق هذا العمل مع شن هجمات قرصنة لخلق انطباع مفاده وجود نشاطات تخريبية قوية داخل كوبا، الأمر الذي سيسهل على المنظمات المعادية للثورة والموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية الحصول على أكبر قدر ممكن من المساعدة والتأييد الرسمي. ومن أجل تنفيذ هذه المهمة في كوبا، تم تدريب العملاء المشار إليهم أعلاه من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ضمن أطر التنظيمات المعادية للثورة مثل (حركة ٣٠ نوفمبر) و (المغاوير صفر) و (ألفا ٦٦) و (لوس بينوس نيفوس) و (ريسي) وغيرها من التنظيمات الأخرى. كما أنهم حصلوا على كافة الأسلحة والتجهيزات اللازمة لتنفيذ مهمتهم.

٢٢

وحينما قام (فيديل كاسترو) بزيارة تشيلي عام ١٩٧١، جرى التخطيط لمحاولة اغتياله هناك، حيث توحدت جهود الفاشية التشيلية، والمعادين للثورة الكوبية من منظمة (ألفا ٦٦) تحت قيادة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وكان يفترض أن يكون صاحب الدور الرئيسي في هذه العملية (جيسس دومنغيز بينيتز والمعروف باسم الإسلينو) حيث تم تزوير أوراق ومستندات له على يد أعداء الثورة الكوبيين والمقيمين في فنزويلا، تفيد بأنه صحافي فنزويلي، مما يتيح له القيام بتغطية زيارة رئيس الوزراء الكوبي إلى تشيلي.

أما العملية فقد كان مقرراً لها أن تتم بواسطة مسدس مخبأ في كاميرا تصوير تلفزيونية، لكن في النهاية تم تعديل هذه الخطة نظراً لعدم وجود

ما يكفل حياة هذا المتآمر الذي سينفذ العملية، وما يضمن نجاحها بالدرجة الأولى.

إن (دومنغيز بينيتز) له صلاته مع منظمة (بودر كوبانو) الارهابية، ولهذا السبب اتهمته الولايات المتحدة بالقيام بسلسلة من الأعمال المخالفة للقانون ـــ باعتباره عضواً في هذه المنظمة ـــ داخل وخارج الولايات المتحدة. وكان قد القي القبض عليه عام ١٩٦٨ من قبل مكتب المباحث الفيدرالي.

وفي عام ١٩٧٠ كان له دور في محاولة فاشلة قامت بها منظمة (الفا ٦٦) للتسلل إلى كوبا، حيث التجأ بعد فشل العملية إلى قاعدة (غوانتانامو) البحرية حيث اعتقل ثانية لكن هذه المرة بتهمة الاخلال بالقانون. وتمَّ الافراج عنه بكفالة. ومع ذلك، فإنه بقي يعيش حراً، ولم يواجه أية صعوبات حينما غادر الولايات المتحدة الآمريكية إلى امريكا الجنوبية للاشتراك في محاولة لاغتيال رئيس الوزراء الكوبي، والعودة بعد ذلك إلى الولايات المتحدة.

٢٣

أما المرة الوحيدة التي تمكن خلالها العدو من تحقيق مخططاته بشكل جزئي، فقد كانت محاولة الاعتداء على حياة الدكتور (كارلوس رافاييل رودريغز) يوم ١٤ أيلول ١٩٦١.

وقد حدث ذلك في منطقة تقع على طريق (فيابلانكا) وتدعى (بوينتي ماتشادو) حينما كان (كارلوس رافاييل) عائداً إلى العاصمة بعد حضوره إجتماعاً شعبياً في (مسرح ساوتو) في مدينة (ماتانزاس).

حينما أطلق المتآمرون النار على (كارلوس رافاييل) رد الحرس الذين كانوا يرافقونه على اطلاق النار بالمثل، حيث تمكنوا من اصابة أحد المهاجمين بجراح خطيرة توفي على أثرها وهو في غرفة العمليات في مستشفى الطوارئ، وقد عرفت هويته فيما بعد، وتبين أنه (خوان خوسيه مارتوري سيلفا).

وخلال تفقد مكان الحادث، وجدت قوات الأمن الكوبية مسدساً من طراز (كاليبر عيار ٤٥) وبندقية رشاشة من طراز (م ــ ٣) ومسدس (كولت عيار ٤٥). وأثناء التحقيقات التي أجريت، اعترف أحد المتآمرين أنه جاء من أجل تنفيذ هذه الجريمة، فإن المتآمرين اجتمعوا مع ممثلين عن (حركة التجديد الثورية ــ مرر) ومع زعيم شبكة التجسس في المنطقة، ومع عميل لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذي قام بإعطائهم التعليمات اللازمة.

أما التخطيط لهذه العملية، فكان قد أعد مسبقاً لأن الاذاعة والصحف نشرت قبل الحادث بيومين أن (كارلوس رافاييل) سوف يحضر الاجتماع الذي سيعقد في مسرح (ساوتو) في مدينة (ماتانزاس)، لكن هناك محل للاعتقاد بأن هذه العملية كان يجب أن تكون موجهة ضد (فيديل كاسترو) فيما بعد، لكن المتآمرين اغتنموا الفرصة التي سنحت لهم ببساطة، وقرروا اغتيال الرفيق (كارلوس رافاييل رودريغز).

* * *

إن القائمة الطويلة التي تتضمن الجرائم التي خططت لها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، لكفيلة بتغذية الأفكار السوداوية والكآبة لدى أي مواطن أمريكي، حتى ان (لجنة تشيرش) اضطرت إلى الاعتراف بأنها وجدت : « ان مثل هذه العمليات السرية تتنافى تماماً مع المبادئ والمثل الأمريكية، وانها ــ حين الكشف عنها ــ سوف تتسبب

في احداث عجز عند هذه الأمة عن القيام بالدور القيادي على الصعيدين : الأخلاقي والمعنوي، وعلى امتداد العالم ... »[٣].

والآن، دعونا نُلْقِ جانباً تلك الادعاءات المزعومة والباطلة حول القيادة الأخلاقية والمعنوية، ونسأل : ألم تصبح هذه العمليات السرية ــ وعلى امتداد فترة زمنية طويلة ــ مبادئ ومثل الحكام الأمريكيين ؟. إن الجواب المنطقي على هذا السؤال : هو أنه إذا كانت عمليات الاغتيال التي رتبت في الماضي توصف بأنها كانت مجرد (انحراف عن المعتاد) فإنها تبدو اليوم، وفي عهد الادارة الأمريكية الحالية، على انها استمرار للتعاون بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وبين المهاجرين الكوبيين المعادين للثورة من أجل تصعيد حرب العمليات السرية ضد كوبا الاشتراكية.

---

(٣) التقرير الختامي، ص ١٥٦.

الحرب السرية في جنوب شرق آسيا

نشرت خلال السنوات الأخيرة عدة تقارير تفيد بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والمنظمات الأخرى التي تشبهها لا تتورع عن القيام بأي عمل يمكن أن يحقق أهدافها التي تسعى إليها.

وكان العدوان الذي شنته الولايات المتحدة الأمريكية ضد الهند الصينية واحداً من أكثر تلك المحطات قذارة في تاريخ الامبريالية الأمريكية حتى ان المغامرة الأمريكية التي قامت بها واشنطن في فيتنام أطلق عليها اسم (الحرب القذرة)، بل انه يمكن القول بأنها عمل ارهابي ليس له مثيل ولا سابقة لأن الدور الرئيسي في شن هذه الحرب كانت تقوم به أجهزة الاستخبارات الأمريكية، وعلى رأسها الاستخبارات العسكرية، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية. فقد قامت هذه الأجهزة بتنظيم وتنفيذ برنامج واسع من العمليات السرية في فيتنام، يمكن وصفه بأنه برنامج كلي العنف، ابتداء من الأعمال الارهابية والتخريبية، وانتهاء بالمذابح الجسدية الجماعية الموجهة ضد المعارضة السياسية في فيتنام الجنوبية. ولذلك، فإنه يمكن القول عنه بأنه عملية إبادة حقيقية ووحشية.

كتب الصحافي الأرجنتيني (غوالتريا ماردونز) في كتابه (المخابرات المركزية الأمريكية بدون قناع) : « هناك على الأقل حادثتان معروفتان لدى الجميع ولا يتطرق إليهما الشك أبداً بسبب الوثائق التي كشف النقاب عنها، وهاتان الحادثتان هما عبارة عن مجازر وعمليات إبادة جماعية، كان لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية باع طويل فيهما، وهما : الانقلاب الذي وقع في اندونيسيا وأطاح بالرئيس (سوكارنو) والثاني البرنامج الذي سمي باسم (فينكس) والذي كان يهدف إلى (تهدئة) فيتنام الجنوبية[1].

« .. ان برنامج (فينكس) هو استمرار لسياسة (تهدئة) قرى فيتنام الجنوبية التي بدأت بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية منذ عام ١٩٦٦ بناء على تعليمات نائب مدير الوكالة وليام كولبي. وقد أوكلت مهمة تنفيذ هذا المشروع إلى ما يمكن تسميته بوحدات الاستطلاع الاقليمية التي انشئت خصيصاً لهذا الأمر وكانت عناصرها تتألف من جنود جنوب فيتنام غير النظاميين، الذين شنوا حملات الاغارة والعنف والانتقام ضد المناطق المأهولة بالسكان. وهذه الوحدات هي في حقيقتها عصابات مسلحة وخطيرة، وقد أقامت لنفسها ــ بتوجيه من المخابرات الأمريكية ــ مراكز استجواب وتحقيق بلغ عددها ٤٤ مركزاً، أي بمعدل مركز في كل اقليم، حيث كانت تتم عمليات تعذيب واستجواب المواطنين الذين كان يشتبه فيهم[2] ... ». ويتابع :

(١) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بلا قناع. غوالتريا ماردونز. موسكو ١٩٧٧، ص ٩٥ ــ ٩٦ (بالروسية).

(٢) المصدر السابق.

« ورأى البعض ان كل هذه الاجراءات غير فعالة (اجراءات تهدئة جنوب فيتنام) ولذلك، فإن (كولبي) وضع هذا البرنامج بعد أن درس بدقة تامة الأشخاص الذين يمكن أن يقوموا بهذه المهمة، وكذلك الخطة الاستراتيجية التي سوف تستخدم في هذا المجال. وقد اشتركت في هذا البرنامج قوات البوليس في فيتنام الجنوبية، والمخابرات الفيتنامية الجنوبية، اضافة إلى قوات الجيش الفيتنامي الجنوبي، وأيضاً الجيش الأمريكي. وقد اعترف (وليم كولبي) أمام مجلس الشيوخ الأمريكي عام ١٩٧١ ان (٢٠٥٨٧) مشبوها قد تم قتلهم خلال تنفيذ برنامج (فينكس) بينما قالت حكومة (سايغون) ان العدد هو (٤٠٩٩٤). وفي الحقيقة، فإن الرقم ليس مهماً، لأن (٢٠,٠٠٠) قتيل — حسب زعم (كولبي) — هو مذبحة بشعة في كل الأحوال. وفي الوقت نفسه فإن استخدام النابالم، والقنابل الفوسفورية، والانشطارية، ونافثات اللهب، والاسلحة الأخرى، من قبل الجيش الأمريكي وحلفائه من جيش فيتنام الجنوبية ضد السكان المدنيين، هو أيضاً مجزرة وإبادة »[٣].

ومما لا شك فيه، أنه بينما كانت الإستخبارات العسكرية الأمريكية منهمكة في تنفيذ برنامج (فينكس) كانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقوم بدور رئيسي في تنفيذ المجازر الجماعية، بل ان (كولبي) نفسه حدد النسبة الشهرية لعدد السكان المدنيين الذين يجب أن يقتلوا، وهذا الأمر ملزم للجميع. وفي محاولة منها لتبرير الأعمال اللاانسانية التي قام بها (وليم كولبي) الذي سيصبح فيما بعد رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كتبت صحيفة (باراد يوم ٢١ تموز ١٩٧٣، ص ٦) تقول : « من الممكن جداً ومن المنطقي أن تقع هناك بعض الحالات التي سادت فيها الوحشية خلال تنفيذ برنامج

(٣) المصدر السابق.

فينكس »، وكما قال كولبي : « انني لا أريد الادعاء انه لم يقتل أحد بطريق الخطأ، وانه لم يعدم أحد كذلك خلال تنفيذ هذا البرنامج ».

إن مثل هذه الأمور تقع في كل الحروب، ولذلك ليس من العدل أن نصف كولبي بأنه سفاح ومجرم حرب، بل أن أحداً لم يصفه بمثل هذا الوصف خلال الحرب العالمية الثانية عندما كان يقتل الألمان.

وإذا ما تركنا جانباً قضية ما حدث خلال الحرب العالمية الثانية، فإنه يمكن للمرء أن يلاحظ أن وصمة العار هذه يمكن أن تكون من نصيب ضباط الإستخبارات العسكرية الأمريكية، الذين لا يقلّون وحشية عن زملائهم في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

أما مجلة (كاونتر سباي) فقد نشرت مقالاً عن الأعمال القذرة التي قامت بها الاستخبارات العسكرية الأمريكية في فيتنام، وننقل فيما يلي بعض ما جاء في هذا المقال وبشكل موجز، على لسان أحد العاملين في الإستخبارات العسكرية الذين حققوا مع الأسرى :

« س : هل حاولت انتزاع المعلومات من السجناء والمعتقلين في جمهورية فيتنام عبر توصيل أسلاك هاتف الميدان في أجسادهم وتشغيل هذه الهواتف لتسبب مرور التيار الكهربائي في أجسادهم ؟

ج : نعم، لقد استخدمت هذا الأسلوب عدة مرات، كما أن كافة المحققين في فيتنام فعلوا الشيء نفسه ».

ان هذا الرجل نفسه متهم في عملية تعذيب وقتل الأسرى الفيتناميين. وقد أدلى ما لا يقل عن (١٨) شخصاً بأقوالهم خلال التحقيق الذي أجري مع وحدة الإستخبارات العسكرية التي يتبع هذا الجندي لها، والتي كانت مسؤولة عن التحقيق مع الأسرى والمعتقلين الفيتناميين. وقد اعترف كل هؤلاء بأنهم رأوا بأم أعينهم، بل شاركوا، في عمليات

استجواب المدنيين مستخدمين كافة وسائل التعذيب الجسدي. وذكر افراد هذه الوحدة الأساليب التالية التي كثر استخدامها :

١ ـــ **هاتف الميدان** : يتم وصل أسلاك هاتف الميدان بجسم الشخص المراد استجوابه ثم يتم تشغيل الهاتف ليوصل إلى جسم الانسان صدمات كهربائية.

٢ ـــ **الكرسي الكهربائي** : يتم وصل أسلاك من مصدر كهربائي بكرسي معدني، ثم يتم صب الماء على الكرسي، وحينما يجلس الانسان على هذا الكرسي، يصاب بصدمات كهربائية.

٣ ـــ **الخِرقة المبللة** : يتم وضع الخرقة على فم المعتقل المكبَّل وأنفه حيث يتسبب الماء الذي ينسكب على الخرقة بخنق المعتقل.

٤ ـــ **الاغراق** : يوضع رأس المعتقل تحت الماء لمدة طويلة.

٥ ـــ **قنابل وهمية** : تلقى على المعتقل قنابل وهمية غير محشوة.

٦ ـــ **إهانات وشتائم** : ويضاف إليها : ضرب بأعقاب البنادق، والركل بالأقدام، وبقطع من الخشب، وبأكياس مملوءة بالرمل. وقد كانت هذه الأكياس الرملية ناجعة لأنها لم تكن لتترك آثاراً ظاهرة على جسد المعتقل ... »[٤].

وأفاد هؤلاء الشهود أيضاً أن عمليات التعذيب لم تكن هي الشائعة فقط، بل كانت هناك اجراءات صادرة عن الإستخبارات العسكرية الأمريكية حول معاملة الاسرى والمعتقلين. ويقول ضابط في الإستخبارات العسكرية الأمريكية : « ان تلك السياسة التي تتعلق

(٤) مجلة كاونتر سباي، المجلد ٣، العدد ٢، ١٩٧٦، ص ٦١.

بالأسرى والمعتقلين كانت تقضي بإمكانية معاملتهم بفظاظة إذا ما رغب المحققون بذلك ... وقد كان قائدي يقول لي دائماً : (إن أية معاملة بما فيها التعامل بفظاظة وخشونة مع الأسرى هي معاملة مبررة إذا كانت المعلومات التي سيتم انتزاعها منهم يمكن أن تضمن حياة جندي أمريكي). وحسب معلوماتي، فإن هذه السياسة كانت معروفة لدى كافة المحققين في كافة مراكز التحقيق ».

وخلال هذه الفترة كان هناك ضابطان يقومان بهذه المهمة على رأس وحدة الإستخبارات العسكرية، وهما الكابتن (نورمان) والكابتن (روبرت). أما الأول فقد نقل عنه أنه أصدر تعليماته إلى وحدة الإستخبارات العسكرية من أجل « عمل ما يمكن القيام به للحصول على المعلومات من السجناء لأن هذه المعلومات سوف تكون هامة من أجل الأفراد الذين هم في الميدان ... ويجب أن لا تتركوا أية آثار تدل على ما فعلنا ... » يضاف إلى هذا أن العديد من أفراد وحدة الإستخبارات العسكرية قد اعترفوا بأنهم رأوا بأم أعينهم الكابتن (نورمان) وهو يقوم بتعذيب السجناء والمعتقلين، ولذلك لم يكن من المستغرب أنه كان الشخص الوحيد في وحدة الإستخبارات العسكرية الذي رفض الادلاء بشهادته، على عكس الكابتن (روبرت) الذي اعترف بأنه « شارك في عمليات تعذيب المعتقلين الفيتناميين، وأنه سمح للمحققين الذين هم تحت امرته بمعاملة الأسرى الفيتناميين بفظاظة وخشونة ... وقد تضمنت هذه المعاملة : عمليات الاهانة، والركل، والضرب، بالعصي وبالأيدي، وبالقبضات وكذلك التعذيب بواسطة الصدمات الكهربائية، وبالماء. وقد استمر أسلوب التحقيق هذا بمعرفة الميجور جورج وعلمه »[٥].

(٥) المصدر السابق.

لقد كان هذا هو الاسلوب الذي استخدمته الإستخبارات العسكرية الأمريكية بشكل دائم في فيتنام. أما وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فقد عملت هي الأخرى بفعالية لا تقل عن فعالية نظيرتها في الإستخبارات العسكرية، بيد أن هناك اختلافاً واضحاً في الطرق والأساليب التي استخدمتها الوكالة في حالات عديدة.

يقول (غوالتريا ماردونز) في كتابه (وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بلا قناع) : « إن التعاون الوثيق بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبين قوى القمع المحلية في فيتنام كان هو السمة البارزة لأجهزة الإستخبارات الفيتنامية والتي كانت مشغولة بفبركة عمليات الاثارة والتحريض والاستفزاز. وهذا الأمر سهّل على الوكالة الأمريكية القيام بسلسلة من النشاطات والأعمال الحساسة بواسطة قوات البوليس المحلية .. وتشتمل هذه النشاطات على عمليات مراقبة المراسلات، والمخابرات الهاتفية، وكذلك مراقبة القوائم التي تتضمن أسماء الناس الذين يسافرون إلى خارج البلاد، والتدقيق في قوائم أسماء نزلاء الفنادق ... الخ. وهذا التعاون كان مهماً جداً بالنسبة لوكالة المخابرات الأمريكية من أجل تنفيذ مهام أخرى مثل : عمليات الاغارة والمداهمة، والاعتقالات، والتعذيب من أجل انتزاع المعلومات. وكان من الهام جداً أن لا يتورط في مثل هذه الأعمال أي عميل من عملاء الوكالة الأمريكية لأسباب أمنية : إذ أن الكشف عن مثل هذا التورط سوف يحدث تأثيراً غير مستحب لدى الأطراف الحليفة والمحايدة »[٦]. وبهذا يمكن القول أنه ارهاب وانتقام وقمع بالوكالة.

---

(٦) غوالتريا ماردونز وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بلا قناع، ص ٩٦ — ٩٧.

وكتب (جون ماركس) الضابط السابق في استخبارات وزارة الخارجية الأمريكية ما يلي حول العمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية في فيتنام : « سوف انقل فيما يلي مقطعاً من مقابلة أجريتها مؤخراً مع عميل سابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية عمل في فيتنام وأمريكا اللاتينية. وقد تحدث هذا العميل معي بصراحة تامة عن خبرته ونشاطاته، لكن قبل البدء بذلك، يجب علي أن أشرح ماهية مراكز التحقيق الاقليمية. إنها عبارة عن بنايات كبيرة أقامتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في كافة الأقاليم الفيتنامية، ومجهزة بغرف للتحقيق، وبزنزانتين للاعتقال والتوقيف، ومكاتب للمستخدمين الأمريكيين والفيتناميين ... الخ. وفيما يلي الحديث الذي أجريته مع عميل وكالة المخابرات الأمريكية ولم أغير فيه أية كلمة باستثناء كلمات قليلة من أجل عدم كشف هوية هذا العميل، الذي يقول : إن القضية الأخلاقية لم تكن لتشغلني أبداً، فقد كنت أتلقى الأوامر التي يجب أن تنفذ، وكنت أنفذ هذه الأوامر. والآن إذا كلفني أحد بقتل شخص ما، فإن الناحية الأخلاقية سوف تبرز أمامي، أما إذا كنت سأعمل ضد (تشي غيفارا) فإن الأمر سيكون مختلفاً، فهو شخص كان يقوم بالأعمال غير المشروعة. ولذلك فإنني سوف أفعل كل ما أستطيع ــ حتى ولو كان عملي ووسائل تحقيقه غير قانونين ــ من أجل أن أتمكن منه »[٧].

هذه هي الطبيعة النفسية لعميل الوكالة الأمريكية ــ الذي أصبح من فصيلة الرجال الآليين، الذين يمكنهم أن يتلقوا تعليمات للقيام بأعمال غير قانونية ــ بعد مرور ثلاثين سنة أو ما يزيد عنها من عملية (تكييفه) ضد الشيوعية. ويتابع (جون ماركس) حديثه مع عميل الوكالة :

---

(٧) فضائح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. هيوارد فارنزير. مكميلان نيويورك ١٩٨٠، ص ١٥ ــ ١٧.

« جون ماركس : على ما يبدو فإن هذا هو الموقف أو الاتجاه العام السائد داخل أطر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية : كل شيء هو من أجل المصلحة العامة ومن أجل مصلحة الأمن القومي.

« عميل الوكالة : أكرر ثانية، بإنني لم أكن أعتزم أبداً قتل إنسان ما أو تشويهه أو الحاق الأذى به، لقد كانت هناك أعمال غير قانونية لكنها قليلة أو تافهة. وحينما كانت تحدث تجاوزات غير قانونية، فإن تلك الحالة تكون خارجة عن نطاق مراقبتنا وعلمنا، وأعني تلك الحالات التي كانت تحدث من قبل رجال البوليس الفيتنامي حينما نلجأ إليهم .. إن هؤلاء الناس لهم عقلية تختلف عن عقليتنا .. إنهم متوحشون تماماً .. لقد كانوا مسرورين تماماً بمراكز التحقيق الاقليمية التي أنشأناها في فيتنام، وقد كانوا تحت اشرافنا وسلطتنا القضائية عليهم، وإنني أقسم بالله، انني كنت دائماً أقوم بجولات على مراكز التحقيق تلك، وكنت أحاول دائماً أن تبقى هذه المراكز نظيفة ويسودها النظام. وقد حدث ذات مرة ان أحد المعتقلين في مركز من هذه المراكز قد مات نتيجة الضرب المبرح الذي تلقاه من الفيتناميين دون أي إذن أو أمر منا، وقد وبخناهم بشدة على هذا العمل، لكننا كنا وكأننا نخاطب حجراً، أو جداراً ...

إن هؤلاء الناس (الفيتناميين) لديهم عقلية تتمثل في أن العنف والقوة هي التي تحقق الصواب، وهم يكرهون بعضهم بعضاً، ومستعدون لأن يقتل الواحد منهم الآخر. وكان علينا أن نتحمل قدراً كبيراً من المسؤولية، وخاصة في مجال تسوية الأمور بينهم، إضافة إلى واجبنا في تقديم المساعدات والخبرات القانونية إلى مراكز التحقيق الاقليمية التي كان يديرها رجال البوليس السري الفيتنامي. وكانت لنا سلطتنا على هذا البوليس السري ولا سيما أننا قدمنا له المساعدات المالية. لكن حالات التعذيب التي كانوا يقومون بها كانت تحدث دون أي علم لنا بها، وكنا نسمع بها بعد حدوثها بواسطة الصحف التي كان رجالها يزورون بعض

المناطق، ويتسقطون الأخبار بطريقة ما. لقد كنا نعلم بها بعد أن تكتب على الورق، وبعد أن نستلم من (سايغون) برقيات يقولون لنا فيها : ما الذي يجري في مراكز التحقيق الاقليمية بحق الله؟ وعلى العموم، فإننا كوكالة، لم نحرض أبداً على القيام بمثل هذه الأعمال. وحينما كنا نطلب منهم الكف عن هذه الممارسات، كانوا يقولون لنا : (حسنا ... لن نفعل ذلك بعد الآن). بيد أننا (وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) لم نكن نحضر جلسات الاستجواب هذه، لأنني ـــ وأكرر ثانية ـــ لا أحب مثل هذا النوع من الأعمال ... ومع مرور الوقت أصبحت هذه الممارسات مكشوفة ومعروفة لدى الجميع. وبما أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هي التي تدعم مراكز التحقيق الاقليمية هذه، وتمولها، وتقدم لها الخبرات والاستشارات، فإن كل ما كان يقوم به رجال البوليس السري الفيتنامي من تجاوزات، كانت تلقى تبعاته علينا، وتبقى آثامه ملازمة لنا، وهذا ليس عدلاً، وليس جيداً. وهذا ما نجمع عليه جميعاً في الوكالة إذا ما طلب منا الحديث عن هذا الموضوع »[٨].

ويتابع (جون ماركس) الحديث فيقول : « إن عميل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هذا يعطينا مثالاً مرعباً عن العقلية التي تسود الوكالة والعاملين فيها .. انه من اولئك الناس الذين يجب أن يبقوا بعيدين عن مراكز القوة والنفوذ، وهو أيضاً من أولئك الناس الذين لن يقولوا الحقيقة أبداً أمام لجنة مجلس الشيوخ. وفي الوقت ذاته فإنه يحب أولاده، ويعتني بحديقة منزله. وإذا ما أردت الحديث معه؛ فإنك ستجده انساناً منطقياً وجذاباً، وبعبارة أخرى، فإنه كائن بشري، إنه إنسان، وليس مجرد آلة لا عقل لها. لكنه يميز تماماً بين عمله في وكالة المخابرات

---

(٨) المصدر السابق، ص ١٥ ـــ ١٦.

المركزية الأمريكية، وبين الأخلاقيات الشخصية والانسانية الأخرى، فلا علاقة لأحدهما بالأخرى ... لقد حان الوقت الآن لأن نتخلص ونستريح من تبعة المسؤولية التي تلقى علينا نتيجة مثل هذه الأعمال، والتي يتم تنفيذها باسمنا في كافة أنحاء العالم. ومهما حاولنا أن نبقي أصوات أجهزة الراديو مرتفعة، فلا بد لنا من أن نسمع في نهاية الأمر صوت الصراخ نتيجة هذه الأعمال. لقد حان الوقت من أجل التخلص من النشاطات السرية التي تقوم بها وكالة المركزية الأمريكية من أجل جعل الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجاً للقانون والأخلاق قدر الامكان ... وكلما أسرعت الولايات المتحدة الأمريكية لانهاء مثل هذه الأعمال والنشاطات، كلما كان ذلك أفضل وأحسن »[٩].

فما الذي يمكن أن تكون عليه ردود فعل المجتمع الأمريكي تجاه هذا المطلب بوقف مثل هذه الأعمال ؟ بل من هو الذي سيستجيب إلى ذلك ؟ من الصعوبة بمكان أن يستجيب إلى ذلك أولئك الذين لديهم (عقلية خاصة) بموجبها يفصلون بين عملهم في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبين الأخلاقيات الشخصية والانسانية الأخرى، ومن طراز ذلك الرجل الذي يؤمن بأن عليه فقط تنفيذ الأوامر دون أية مناقشة؛ ليصبح الخضوع أمام السلطة وتنفيذ أوامرها مبرراً للسفاحين لكي يتحرروا من المسؤولية الأخلاقية. ان الاستجابة الحقيقية لهذا المطلب يجب أن تأتي من قبل أولئك الأشخاص الذين يصدرون الأوامر، ويضعون خطط العمليات السرية، ويعملون على تكوين وصوغ طبيعة فكرية خاصة عند مرؤوسيهم.

ودعونا الآن نُلق نظرة فاحصة على أحد أولئك الأشخاص وهو (وليم

(٩) المصدر السابق ص ١٦ ــ ١٧.

كولبي) المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والذي لا يزال له نفوذه وتأثيره في ميدان الإستخبارات الأمريكية.

ولنحاول الآن التعرف على هذا الرجل (إلجنتلمان) المعصوم عن الخطأ، وكيف أعطى أوامره ــ بكل هدوء ــ لقتل عشرات الآلاف من الناس، وما هي الغايات التي كان يسعى اليها.

ان بعض التفاصيل عن حياة المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية يمكننا أن نجدها في مقالة كتبها (لويد شرير) في مجلة (باراد)، وقد جاء فيها : « ان وليم كولبي حائز على شهادة الحقوق ... ومظهره الخارجي يوحي لك بأنه محام، أو أستاذ، أو وزير، أو صاحب مصرف، أو طبيب، أو أي شيء آخر، باستثناء ما هو عليه ــ انه الشبح الرئيسي المروِّع الذي عمل لعدة سنوات نائباً لمدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في مديرية (العمليات السوداء) السرية ... وهو ابن وحيد لضابط في الجيش يدعى (الدريدج كولبي) ... أما المرحلة المثيرة للجدل والنقاش في سيرة حياة (وليم كولبي) الإستخباراتية فإنها فترة مشاركته في عملية (تهدئة) الفيتناميين، والذي كان برنامج (فينكس) احدى محطاتها، والتي اشتملت على اعتقال وسجن وذبح رجال (الفيتكونغ). و (وليم كولبي) الكاثوليكي أيضاً رجل عملي، يعمل بجد، ويحصل على مدخول سنوي مقداره (٤٢٫٠٠٠) دولار. متزوج، وله أربعة أولاد، وهو أب وزوج جيد، وكان بإمكانه أن يحصل على ثلاثة أضعاف ما يحصل عليه سنوياً لو أنه عمل في مجالات أخرى غير هذا المجال، لكنه يقول: إن ذلك لم يكن ليرضيه، ولم يكن ليجد الراحة لو عمل في غير هذا المجال[١٠].

---

(١٠) مجلة باراد، ٢١ تموز ١٩٧٤، ص ٦.

أما محاضر جلسات لجنة مجلس الشيوخ حول هذه الأعمال، والمنشورة في كتاب (ملف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) فإنها تعطينا صورة واضحة عن طبيعة الأعمال التي كان يمارسها (كولبي) والتي كانت تجلب له الرضى والارتياح :

« رئيس اللجنة : لدي سؤال أود أن أطرحه عليك، لقد قلت أن العمليات السرية هي انعكاس للسياسة القومية، فإذا كانت كل العمليات التي يتم تنفيذها تنفذ سراً، وفي حال انفضاح أمرها تسارع وكالة المخابرات المركزية الى تكذيبها ونفيها، وبخاصة أن الرأي العام لا يعرف عنها ولا عن اشتراك وكالة المخابرات في ترتيبها، فكيف يمكن أن تكون هذه العمليات السرية انعكاساً للسياسة القومية ؟

« كولبي : يا سيدي الرئيس، السبب في ذلك هو أننا ننفذ ما يصدر إلينا من المسؤولين في حكومة الولايات المتحدة الأمريكية : الرئيس، ومجلس الأمن القومي، كما أن الكونغرس يطلع على مثل هذه.

[مرة ثانية، نسمع الذريعة إياها (انني انفذ الأوامر فقط) .. ومنذ خمس وثلاثين سنة مضت قال الذين تلقى عليهم مسؤولية إبادة ملايين الأرواح البشرية هذا الكلام نفسه حينما تمت محاكمتهم في محكمة (نورمبرغ)].

« صوت من القاعة : كم انساناً قتلت في فيتنام ؟

« كولبي : سوف أجيب عن هذا السؤال. انني لم أقتل إنساناً واحداً [ضحك في القاعة]. ان عملية (فينكس) كانت جزءاً من برنامج شامل (للتهدئة) قامت به حكومة فيتنام. وكانت هناك أقسام أخرى في هذا البرنامج الشامل : تطوير قوات الأمن المحلية في المناطق المجاورة لحماية القرى، وتوزيع حوالي نصف مليون قطعة سلاح على سكان فيتنام الجنوبية من أجل الدفاع عن أنفسهم .. انها مغامرة أشك في أن كثيراً من الدول يمكنها أن تخوض غمارها، وأن تلقى النجاح الذي حققته

حكومة فيتنام الجنوبية ... كذلك فإن هذا البرنامج الشامل يضمن ضرورة العمل على اجراء انتخابات محلية في القرى والأقاليم في فيتنام، وتسليم السلطة إلى الهيئة المنتخبة ... وأيضاً كانت هناك قرارات بضرورة تطوير البرامج والخطط الاقتصادية في الأقاليم، وعرضها على المسؤولين ... اضافة إلى وجود العديد من البرامج بما في ذلك مشروع استمالة حوالي (٢٠٠ر٠٠٠) فيتنامي من الذين عملوا مع (الفيتكونغ) إلى جانب حكومة فيتنام الجنوبية، واسكانهم، وعدم معاقبتهم على نشاطاتهم مع (الفيتكونغ) كما اشتمل هذا البرنامج على ضرورة العمل من أجل استقبال اللاجئين، واسكانهم مؤقتاً، ثم اعادتهم إلى قراهم بعد أن يستتب الأمن في تلك القرى. وتضمن هذا البرنامج الشامل ما يعرف بعملية أو برنامج (فينكس) الذي كان يهدف تحديد ومعرفة الزعماء والقيادات الشيوعية التي غزت فيتنام الجنوبية، وجلبت الرعب والارهاب إلى الفيتناميين ... ان برنامج (فينكس) قد وضع وبدأ تنفيذه عملياً حوالي عام ١٩٦٨ من أجل ادخال النظام والقانون إلى هذه الحرب القذرة التي كانت قد بدأت من قبل، ومن أجل ادخال الاجراءات الجديدة التي تقوم بتحسين أساليب خوض هذه الحرب ...

صوت من القاعة : كم انساناً قتل حينما كنت أنت هناك ؟

« كولبي : لقد أجبت عن هذا السؤال فيما سبق، وأقول انه خلال سنتين ونصف السنة تم اعتقال (٢٩٠٠٠) شخص وتمت استمالة (١٧٠٠٠) شخص إلى جانبنا. كذلك فقد قتل حوالي (٢٠٥٠٠) شخص، ٨٧٪ منهم قتلوا على يد القوات النظامية والقوات شبه العسكرية، و ١٣٪ على يد رجال البوليس والأجهزة الأخرى المشابهة. إن غالبية الذين قتلوا، انما قتلوا خلال المعارك والاشتباكات العسكرية، وفي عمليات نصب الكمائن، والباقون قتلوا خلال مداهمات البوليس لهم لاعتقالهم. وقد وردت في برنامج (فينكس) تأكيدات على ضرورة

العمل من أجل الاعتقال لا القتل لأسباب هامة : منها أولاً : احترامنا لحياة الانسان [ضحك في القاعة] وثانياً : لأن الانسان الحي يحتفظ بمعلومات تفيدنا بعد انتزاعها منه، بعكس الانسان الميت الذي لا فائدة منه »[11].

أما كيفية انتزاع هذه المعلومات من الأحياء المعتقلين، فقد وصفها (فيكتور مارشيت) خبير برنامج (فينكس) في مقابلة أجرتها معه مجلة (بنثهاوس) :

« مجلة بنثهاوس : أي نوع من الناس هو (وليم كولبي) ؟

« مارشيت : ان (كولبي) رجل خطير، واعتقد أن عقليته مثل عقلية (هنريخ هيملر)، وهو مناسب لإدارة معسكرات التوقيف والاعتقال أكثر من إدارة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

« مجلة بنثهاوس : أليس هو الذي اخترع برنامج (الارهاب المضاد) في فيتنام ؟

« مارشيت : أجل، فقد كانوا يجوبون القرى ليبحثوا عن رجال (الفيتكونغ) أو الذين يشتبه بأنهم من (الفيتكونغ) وكانوا يغتالونهم، ويخطفونهم، ويقومون بتعذيبهم، وبزرع الرعب في قلوب المتعاطفين معهم ... بعد أن تركت العمل في الوكالة علمت من الناس الذين عادوا من فيتنام بأننا كنا نضع ما يشبه الوتد في أذن المعتقل، ثم نقوم بشد وإدخال هذا الوتد إلى داخل الأذن بقوة حتى يدلي بما يعرف من معلومات، فإذا لم يفعل تستمر العملية حتى يتطاير رأسه إلى عدة اجزاء.

---

(١١) (كتاب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) روبرت ل. بوروساغ وجون ماركس نيويورك. ١٩٧٦ ص ١٨٨ — ١٩٠.

كذلك علمت بأن رجالنا كانوا يقومون بوضع الأسلاك الكهربائية على الأعضاء التناسلية للمعتقل، وبتمرير التيار الكهربائي داخل هذه الأسلاك، حتى يتكلم أو يصاب بالجنون. أننا نقدر عدد الذين قتلوا خلال تنفيذ برنامج (فينكس) بحوالي (٢٠٠٠٠) فيتنامي، أما الفيتناميون أنفسهم فإنهم يقولون أن العدد هو ضعف ما ذكرناه. ومن أجل تبرئة نفسه يقول (كولبي) : لقد كان هناك افراط في القتل، لكن في برنامج كبير كهذا لا نستطيع أن نقدم المساعدة للمعتقلين وبالتأكيد فإننا لن نغفر لهم.

« مجلة بنثهاوس : هل كان (كولبي) على علم بالجرائم التي كان يرتكبها رجاله ؟

« مارشيت : بالتأكيد، لقد كان يعلم بذلك، ولم يكن هناك أي مجال بأن لا يعلم بشيء. لقد كان رئيس القسم، وهو مسؤول عن تنفيذ البرنامج بأكمله، وكان رؤساء الفروع في فيتنام يرفعون إليه التقارير ويخبرونه فيها بكل ما يجري هناك.

« مجلة بنثهاوس : هل يعني ذلك أن مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الحالي هو ليس قاتلاً سفاحاً ؟

« مارشيت : لا، بالمعنى القانوني ليس كذلك، لأنه ليس باستطاعتك اثبات أن مؤسسة كهذه، أو رئيسها قاما بتخطيط وتنفيذ الجرائم. انهم دائماً اذكياء بما فيه الكفاية حتى ينفذوا ما يريدون بواسطة غيرهم. وكلما كانت احتمالات قذارة العمل المطلوب تنفيذه كثيرة، كلما ابتعدوا عن الأضواء ووقفوا في الظل تاركين غيرهم ينفذ ذلك. وفي العمليات شبه العسكرية التي ينظمونها، فإنك لا تجد رجلاً واحداً من رجال وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يقفز من الطائرة، أو يحمل بيده رشاشاً أوتوماتيكياً. بل تجد فقط رجال البحرية المسرحين من الخدمة، وكذلك هواة المغامرات من الجنود، وأيضاً المرتزقة الذين

انتقلوا إلى مكان تنفيذ العملية الجديدة بعد أن أنهوا المهمة السابقة التي كانت قد أوكلت إليهم. كذلك فإنه في الأعمال الوحشية وأعني أعمال القتل والذبح ــ وهذه هي أكثر الأعمال وحشية ــ فإنه من المستحيل أبداً أن تثبت أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هي التي فعلت هذا.

« مجلة بنتهاوس : إذن، فإن (وليم كولبي) لن يتحمل أية مسؤولية اخلاقية تجاه مذابح برنامج (فينكس)، أليس كذلك ؟

« مارشيت : بالطبع لا، فإن دوره في تنفيذ برنامج (فينكس) يشبه دور الجنرالات الذين كانوا يرسلون القاذفات الأمريكية من طراز (ب ــ ٥٢) لتزيل من الوجود قرى بأكملها، وتقتل مئات الناس، ثم يترددون على الكنيسة باستمرار، ويمارسون طقوسهم الدينية. وهم أيضاً يلقون بمواعظهم على الأطفال طالبين منهم عدم الكذب وخداع الآخرين فإذا سألتهم (كيف تفعلون كل ذلك) ؟ يجيبونك : (نحن لسنا قتلة، ولم نقتل أي إنسان .. انها الحرب، ونحن ننفذ الأوامر فقط). ان أناساً لديهم مثل هذه العقلية، وهذا النمط من التفكير، يستطيعون أيضاً ان يمارسوا اللعبة نفسها مع أنفسهم بالذات »[١٢].

إن هذه النتيجة، وهذا المنطق غير صحيحين، ولا يمكن لأحد أن يقبل بهما. فأناس مثل (كولبي) يدركون تماماً ما الذي يفعلونه، بل انهم يستمتعون به، لكنهم مثل الحرباء، سرعان ما يغيرون ألوان جلدهم لحماية أنفسهم، وللادعاء بأنهم لا يفهمون ما الذي يدور حولهم.

(١٢) مجلة بنتهاوس، كانون الثاني ١٩٧٥، ص ٩١.

إن عمليات التعذيب، وكذلك المذابح الجماعية المتكررة هي الجانب الوحيد الذي يمكن رؤيته بوضوح للنشاط الاجرامي الذي قامت به وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في فيتنام. وتشير كافة الدلائل والبراهين التي ظهرت ولا زالت موجودة حتى اليوم، إلى أن جذور وكالة المخابرات الأمريكية هي التي أنبتت المغامرة الأمريكية في فيتنام، فقد قامت وعن قصد وإصرار (بهندسة) وضع دَفَعَ بالكونغرس الأمريكي إلى اتخاذ قرار يقضي بالتدخل في فيتنام.

في ذلك الوقت، كانت المخابرات المركزية الأمريكية قد اكتسبت خبرة جيدة بالعمليات السرية في الهند الصينية. وكان من بين رجال الوكالة المشهورين الكولونيل (ادوار لانسدال) وهو الذي كتب عنه (غراهام غرين) كتابه (الأمريكي الهادئ).

أما سيرة (لانسدال) الإستخبارية فقد بدأت في (الفيليبين) حيث كان قد أُرسل إلى هناك كمستشار لوزير الدفاع الفيليبيني (رامون ماغسايساي) في بداية الخمسينات. وبواسطة ملايين الدولارات التي كانت توضع تحت تصرفه عبر الاعتمادات السرية الحكومية الأمريكية، بدأ (لانسدال) العمل، وسرعان ما أنشأ جيشاً صغيراً، ومدرباً بشكل جيد، للعمل على التصدي ومكافحة الفدائيين، اضافة إلى تأسيسه (مكتب الشؤون المدنية الفيليبينية) ليكون بمثابة مركز للحرب النفسية الموجهة ضد ما يسمونهم بالمتمردين. وأوضح (لانسدال) للصحافي (ستانلي كارناو) عام ١٩٧٢، حقيقة هذه الحرب النفسية، فقال :

« في إحدى مراحل الحرب النفسية التي نفذناها ضد الفلاحين الفيليبينيّين، قمنا باستغلال أساطير الأرواح الشريرة، ومصاصي الدماء التي يخافها أولئك الفلاحون. فقد دخلت مجموعة من الرجال العاملين في مجال الحرب النفسية إلى إحدى المناطق المحددة كهدف، وبدأت بنشر شائعات مفادها أن الأرواح الشريرة، ومصاصي الدماء يعيشون في المناطق

التي يتخذ منها الشيوعيون قواعد لهم، أو يقيمون فيها. وبعد مضي ليلتين على ذلك ــ من أجل مرور وقت كاف على انتشار هذه الشائعات تماماً ــ نصبت تلك المجموعة كمينا لمجموعة من الفدائيين المتمردين الذين يجوبون تلك المنطقة. وحينما عبرت مجموعة رجال (هوك) وهم من الفدائيين، قام رجالنا باختطاف آخر رجل يسير في الدورية، ثم ثقبوا رقبته على طريقة مصاصي الدماء، وعلقوا جسمه حتى نزف كل دمه، ثم القوا جثته على قارعة الطريق. وككل الفيليبينيّين الذي يؤمنون بمصاصي الدماء وبالأرواح الشريرة، غادر كل الفدائيين المتمردين المنطقة »[١٣].

وفي عام ١٩٥٣، كان (لانسدال) قد أتم تنفيذ مهمته في الفيليبين، وأصبح (رامون ماغسايساي) رئيساً للبلاد، وعاد الكولونيل (لانسدال) إلى واشنطن ليلقى ترحيباً حاراً. وسرعان ما أوكلت إليه مهمة خطيرة بعد ذلك. ففي عام ١٩٥٤، توجه إلى (سايغون) من أجل تنظيم عملية انتخاب ديكتاتور فيتنام الجنوبية (نغو دين دييم). وقد بدأ (لانسدال) عمله بتكوين وحدات عسكرية صغيرة من أجل العمل على تأييد ودعم (دييم) في الانتخابات، وقام بجلب الفيليبينيّين الذين دربهم سابقاً في الفيليبين إلى (سايغون) لتدريب الجنود الجدد. وتابع الكولونيل (لانسدال) عمله بجد، حتى أصبح (نغو دين دييم) رئيساً عام ١٩٥٥.

مع بداية الستينات، بدأت واشنطن ترى أنها قد أخطأت حينما قامرت على (دييم) واعتمدت عليه، لأن هذا الديكتاتور لم يفهم تماماً ما الذي كان يريده أسياده منه، ويقول (غوالتريا ماردونز) : « هناك دلائل كافية في ملفات البنتاغون الأمريكي تشير إلى أن (دييم) كان يقف

---

(١٣) فكتور مارشيت وجون ماركس. مصدر سابق ص ٢٧ ــ ٢٨.

حجر عثرة في طريق صنّاع السياسة الأمريكية في فيتنام »[١٤]. وتمّ قتل (دييم) على أيدي طغمة من الجنرالات المعروفين بصلاتهم الوثيقة مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ويقول ضابط الإستخبارات الأمريكي الكولونيل (فلتشر بروتي) حول ذلك : « ان (دييم) قتل في شهر تشرين الأول عام ١٩٦٣. وخلال صيف عام ١٩٧١ بدأ كل من (شارلز كولسون) و (اي هيوارد هنت) وآخرون غيرهم بالتفكير بضرورة تزوير الادعاء والانباء الرسمية حول مقتل (دييم) والزعم بأن الرئيس الأمريكي (جون. ف. كينيدي)، كان على علم مباشر، وصلة وثيقة بعملية الاغتيال. وما يجب ذكره هناك، هو أن التخطيط لهذه العملية القذرة، وهي تزييف الادعاء والأنباء الرسمية، والصاق التهمة بالرئيس (كينيدي) قد بدأ قبل شهور قليلة من نشر صحيفة (نيويورك تايمز) لوثائق البنتاغون الأمريكي ...

وجاء في هذه الصحيفة التي زعمت أنها حصلت على هذه الوثائق من البنتاغون تفاصيل لما حدث خلال أواخر صيف عام ١٩٦٣، وعشية مصرع (دييم) وكل إنسان يقرأ هذه الوثائق بدقة وعناية، لا بد له ان يكتشف مدى علاقة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في عملية الاغتيال هذه : لم ترد في ملفات ووثائق البنتاغون أية إشارة صريحة، أو أي أمر واضح من أجل اغتيال (دييم). ورغم أن هذه الوثائق تفتقر إلى وجود مثل هذه الاشارة الصريحة، فإن كل من يحاول البحث في هذه القضية سوف يستنتج ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية متورطة في هذا الموضوع وان الرئيس (كينيدي) لم يعط تعليماته إلى القتلة لتنفيذ هذه العملية. ويجب أن لا يغيب عن البال أن (هنت) كان عميلاً

---

(١٤) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بلا قناع، غوالتريا ماردونز، ص ٩٣.

نشيطاً في وكالة المخابرات الأمريكية، وكان في ذلك الوقت أيضاً على علاقة وثيقة بالمدير السابق للوكالة (آلن دالاس) الذي عزله (كينيدي) من منصبه، وإن (هنت) نفسه هو الذي ساهم في إعداد مذاكرات (دالاس) التي صدرت في كتاب يحمل اسم (مهنة المخابرات) ...

« .. ان (دييم) تسلم السلطة في فيتنام الجنوبية عام ١٩٥٤، ومنذ بداية توليه الحكم، كان يستمد سلطته وقوته من الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تدعمه سراً. ومع صيف عام ١٩٦٣ كان (دييم) قد تمكن من فرض سيطرته على كل فيتنام الجنوبية بينما كانت الأوضاع في البلاد تسير من سيئ إلى أسوأ. وكان ذلك الصيف هو صيف الاستياء والامتعاض الشديدين من نظام حكم (دييم) وصيف المعارضة القوية ليس داخل فيتنام فقط، وإنما في واشنطن أيضاً ..

« ومع حلول شهر آب من العام ذاته : ١٩٦٣، كانت تدور في كواليس المكاتب الرئيسية في الحكومة الأمريكية مذكرة سرية لها أهميتها، لدرجة أنها لم تكن تحمل أية تأشيرات أو أرقام تسجيل، بل كانت تسلم باليد إلى من لهم علاقة بهذا الموضوع فقط، ووردت في هذه المذكرة صراحة عبارات الاستياء من (دييم) و (يجب علينا أن نجد طريقة ما للتخلص منه) ..

« وأبرقت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من واشنطن إلى (سايغون) تستفسر عن مدى المعارضة التي تقف ضد (دييم) وما هي قوتها، وفيما إذا كان القادة الجدد لفيتنام الجنوبية الذين وقع عليهم الاختيار هم أفضل من (دييم) فيما بعد....

« أما داخل وكالة المخابرات الأمريكية التي أوصلت (دييم) إلى السلطة، وعملت لفترة تزيد على العشر السنوات من أجل رسم صورة (أب الشعب) فقد كان هناك خلاف، وعدة اتجاهات في الرأي حول

مشكلة ما الذي يجب عليهم أن يفعلوه مع (دييم) وماذا يجب أن يكون مصيره. فقد رأى فريق أنه يجب على الوكالة الأمريكية إبقاء (دييم) في السلطة والاستمرار ـــ في الوقت ذاته ـــ بدعمه والاستجابة لمطالبه، بينما رأى آخرون ضرورة التخلص منه، والبحث عن بديل له ... وبدا فيما بعد أن الجنرال (دونغ فان مينه) يمكن أن يكون أفضل خَلَفَ، بينما قال فريق آخر ان الجنرال (نغوين خانه) الهادئ الوقور، هو الشخص الجدير بثقتهم ... وهكذا أصبح هذان الشخصان هما المفضلين في واشنطن، بينما كان هناك في سايغون أكثر من خيار حول من سيخلف (دييم) لكن ما يمكن قوله هنا، هو أن المبدأ الأساسي للقيام بعملية اغتيال (دييم) تم الاتفاق عليه ...

« وبدأت تتردد على الألسن شائعات مفادها أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف توقف تأييدها ودعمها لنظام (دييم). وقد عملت هذه الاشاعات على تحويل الموقف لصالح المتآمرين الأمريكيين، فرجال البوليس السري الفيتنامي في نظام (دييم) وكذلك رؤساؤهم الكبار، وكل من يدور في فلكهم، وكل الأوساط المقربة من قصر (دييم) بدأوا يدركون أن نهايتهم باتت وشيكة، وأن عليهم أن يضعوا خططهم للتحرك بسرعة، وأن يحزموا أمورهم، ولا سيما أنهم قتلة، وجلّادون ولصوص سرقوا مئات الملايين من الدولارات، وأبادوا مئات الأشخاص في فيتنام ... وأنه دون تأييد الولايات المتحدة الأمريكية ودعمها، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية لـ (دييم) سوف يكون مصيرهم الموت ... وبدأوا فعلاً بالتحرك ...

« وشيئاً فشيئاً بدأت ترتسم آفاق الخطة الأمريكية، فالسيدة (نهاو دييم) فكرت فجأة بأن الوقت مناسب جداً للقيام برحلة إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وكانت هذه الخطوة هي البداية. أما الخطوة الثانية فكانت تهدف إلى اخراج (دييم) من البلاد. ومن أجل

ذلك تم إعداد خطط امريكية أخرى تتمثل في دعوته لحضور اجتماع هام في إحدى الدول الأوروبية، وأرسلت إليه دعوة شكلية لحضور مثل هذا الاجتماع وكانت طائرة خاصة بانتظاره في المطار لنقله إلى أوروبا ...

« ومع اقتراب الموعد المحدد لمغادرة (دييم) البلاد في رحلته إلى أوروبا، أوعزت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى عملائها بالعمل جنباً إلى جنب مع الزعماء الذين وقع عليهم الاختيار في النظام الجديد. وعمل هذا الوضع الجديد على زيادة سرعة الاضطراب والقلق داخل أوساط الحرس الخاص لـ (دييم) لدرجة اختفائهم تماماً من القصر. ولأسباب لا يعرفها أحد حتى الآن، وبعد أن وصل (دييم) إلى المطار، عاد أدراجه فجأة إلى قصره. وعلى ما يبدو فإنه لم يكن يفهم بشكل جيد أصول وقواعد اللعبة.

« لقد عاذ إلى القصر لكنه وجده خالياً وكأنه مدينة أشباح، فحتى حرسه الخاص هربوا جميعاً طلباً للنجاة وحماية لأرواحهم وجلس خلف مكتبه لعدة دقائق، ثم تأكدت له الحقيقة، وأيقن تماماً ما الذي يحدث حوله، ثم مشى على قدميه، ودخل إلى أحد الأنفاق، وخلال وقت قصير، أصبح في عالم الأموات »[١٥].

وهكذا تخلصت واشنطن من أحد أدواتها ورموزها، وأبعدته نهائياً عن المسرح السياسي، وفور انتهائها من ذلك، بدأت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بالبحث عن أداة أخرى، تكون مناسبة أكثر، وعلى استعداد تام لتنفيذ أوامر البيت الأبيض دون أية مناقشة، أو أي تردد. ولم

(١٥) فضائح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ص ٢٠١ ــ ٢٠٥.

يكن خبراء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في (لانغلي) يدركون حقيقة أن الكلمة الأولى والأخيرة هي التي سيقولها الشعب الفيتنامي، وأن أية محاولة لاخضاع هذا الشعب، وفرض الارادة الأمريكية عليه، سيكون مصيرها الفشل المحتوم.

ومن الخطأ القاتل الاعتقاد بأن اخفاق الولايات المتحدة الأمريكية وفشلها في (الحرب القذرة) التي شنتها في فيتنام كان نهاية الأعمال والنشاطات الاجرامية التي كانت تقوم بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في جنوب شرق آسيا. واثارت هزيمة الولايات المتحدة في الهند الصينية موجة عارمة معادية للأمريكيين في العديد من دول جنوب شرق آسيا، حيث طالب الديمقراطيون في دول هذه المنطقة، وخاصة في (تايلاند) بضرورة القيام بعمليات تحويل تقدمية، وفرض قيود على التواجد العسكري والسياسي والاقتصادي الأمريكي في المنطقة.

فبعد استلامها السلطة مباشرة في خريف عام ١٩٧٣، قامت الحكومة الليبرالية البورجوازية في (تايلاند) باتخاذ سلسلة من الاجراءات يمكن وصفها بأنها ذات طابع ديمقراطي عام لتحسين الوضع الاجتماعي السياسي في البلاد، وتقليص الامكانات والامتيازات التي كانت متاحة أمام الولايات المتحدة الأمريكية لاستخدام (تايلاند) كرأس جسر عسكري لنشاطاتها في المنطقة. وتم الاتفاق عام ١٩٧٤ بين حكومتي الولايات المتحدة و (تايلاند) على تقليص عدد الجنود الأمريكيين المتواجدين في (تايلاند) إلى عشرة آلاف عسكري فقط، كما فرضت حكومة (تايلاند) حظراً على استخدام الطائرات العسكرية الأمريكية لمطاراتها. ثم قامت الحركات التقدمية في (تايلاند) بشن حملة عارمة طالبت خلالها بانسحاب كل الجنود الأمريكيين من البلاد نهائياً. وقدمت مجموعة الأحزاب الاشتراكية في البرلمان التايلاندي الجديد في شهر آذار ١٩٧٥ عدة اقتراحات من بين ما تضمنته الطلب بالسماح للحزب

الشيوعي التايلاندي بمزاولة نشاطه في البلاد، وكذلك العمل على تأميم الصناعات الرئيسية في (تايلاند).

وشيئاً فشيئاً، أصبح يزداد كل يوم عدد الأشخاص الذين أخذوا بالانضمام إلى حركة تصفية الوكالات الأمريكية التي تعمل على توسيع النفوذ السياسي الأمريكي في البلاد.

وأخذ العديد من المنظمات الديمقراطية في (تايلاند) وخاصة منظمات الطلاب، بالعمل ضد وجود (مجموعة السلام الأمريكية) في تايلاند لأن رجال هذه المجموعة لهم ارتباطهم الوثيق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية. أما أوساط اليمين الرجعي فقد بدأت تشعر بقلق شديد نتيجة النهوض الديمقراطي الواسع، والتحركات المناهضة لأمريكا. فقامت هذه الأوساط ـــ مدعومة من الرجعية الموجودة في الجيش، ومن المنظمات الموالية لأمريكا ـــ في شهر تشرين الأول عام ١٩٧٦ بالاطاحة بالحكومة، وإقامة ديكتاتورية عسكرية بديلة.

وكان عام ١٩٧٦ ـــ حينما قامت الرجعية التايلاندية بالانتقال إلى مرحلة الهجوم ـــ نقطة تحول مأساوية في تاريخ تايلاند، اذ ظهرت منظمة (الجواميس الحمر) اليمينية المتطرفة، وكانت واحدة من أكثر أدوات النظام فعالية، حيث قام أفراد هذه المنظمة بالعمليات الاستفزازية ضد الطلبة التقدميين، وباغتيال العديد من الأعضاء البارزين في اتحاد المزارعين التايلاندي، وقد ازداد عدد عمليات الاغتيال التي نظمها اليمينيون في شهر نيسان عام ١٩٧٦ خلال الانتخابات البرلمانية، ورفع وزير الدفاع (براماان آديركسان) وزعيم (الحزب الوطني التايلاندي) اليميني علانية شعار (اليمين يقتل اليسار). وحدد حمام الدم والرعب اللذين أشرف عليهما اليمين نتيجة الانتخابات، فقد هزم الليبراليون، ووصل اليمينيون إلى قمة السلطة واستتبعت تلك التطورات نتيجة أخرى، وهي أن العديد من المفكرين والمثقفين الليبراليين والتقدميين اضطروا إلى

اللجوء إما إلى العمل السري، أو إلى مغادرة البلاد، ازاء هذه الموجة الارهابية.

إن تقليص عدد العسكريين الأمريكيين المتواجدين في (تايلاند) لم يضعف أبداً العلاقات الشخصية والادارية بين العسكريين الأمريكيين واليمينيين في الجيش التايلاندي، الذين كانوا يعملون تحت غطاء (حزب القوة الجديد) حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية واصلت تعاونها الوثيق مع المسؤولين اليمينيين.

أما (قيادة عمليات مكافحة الشيوعية) التي أعيدت تسميتها بـ (قيادة عمليات الأمن الداخلي) فقد أسست في (تايلاند) في شهر كانون الأول عام ١٩٦٥ بالحاح من السفير الأمريكي هناك (غراهام اندرسون مارتين)[١٦]. وترأس (سايود كيردبول) (مديرية العمليات) وهي الدائرة الرئيسية في القيادة، والمتخصصة في عمليات قمع الاخلال بالأمن، وتعمل بها مجموعة صغيرة من الخبراء الذين كانوا فعالين في مجال تأسيس المجموعات المتطرفة المعادية للشيوعية. ويمكن تفسير ظهور (سايود) وبروزه في حكومة (تايلاند) بواسطة علاقاته الحميمة مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية حيث كان رجل الارتباط بينه وبين الوكالة مساعد السفير الأمريكي الخاص لشؤون قمع الاضطرابات (بيير دي سيلفا) وهو مسؤول على مستوى عال في وكالة المخابرات الأمريكية، ورئيس محطة الوكالة في عدة بلدان سابقاً.

وكان (دي سيلفا) قد قام بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٨ ببذل جهوده من أجل دمج منظمات الدفاع عن القرى المتعددة في منظمة واحدة اطلق عليها اسم (قوات أمن القرى) وكانت تمولها قيادة (سايود) من

---

(١٦) محاكمة في تايلاند جورج ك. تانهام. نيويورك ١٩٧٤.

المساعدات التي كانت تقدمها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. يضاف إلى ذلك أن (دي سيلفا) و (سايود) عملا على تأسيس (لجان العمل السياسي) من أجل دراسة ميول ونزعات الفلاحين. وكما كان الأمر عليه في فيتنام، حيث عملت فرق تشبه هذه اللجان ضمن اطار وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، كان يتم توجيه هذه اللجان بواسطة هيئات امريكية ــ تايلاندية مشتركة وعلى مستوى الأقاليم وعلى مستوى البلاد العام. وتم الاتفاق بين هذه الهيئات المشتركة على اختيار أماكن معسكرات التدريب، ومراكز التجنيد، وتعويضات ومكافآت العملاء. واستخدمت أموال وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لتمويل هذا البرنامج.

وزعمت الحكومة الأمريكية أنها لا تلاحظ وجود أعمال ارهابية ومذابح ينظمها (الجواميس الحمر) ومؤيدوهم من (حزب القوة الجديد) وقال مسؤول كبير في السفارة الأمريكية لمجلة (كاونتر سباي) حينما سئل عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية من أعمال المنظمات الارهابية : ان السفارة لم تبذل جهودها لاعلان معارضتها للارهاب الذي يقوم به اليمينيون، « وأنا أرى أنه ليس من واجبنا أن نذهب إلى التايلانديين لنقول لهم لا تفعلوا هذا ان العنف يحدث من قبل الطرفين، ولم أفهم أبداً ما الذي يفعلونه، وضد من »[١٧] أجل ليس من واجبهم أن يتدخلوا لمنع الارهاب، فهم يقفون على الحياد حينما لا تكون هناك ضرورة للتدخل.

ان ما يجب على المرء ملاحظته هو أن بعض المسؤولين في السفارة الأمريكية في (تايلاند) متعاطفون وبشكل علني مع (حزب القوة

(١٧) مجلة كاونتر سباي، المجلد ٣، العدد ٢، ١٩٧٦، ص ٥١.

الجديد) ومع (الجواميس الحمر). ففي شهر كانون الأول ١٩٧٥ وحينما سئل ضابط شاب ــ كان بمثابة ضابط أمن مرافق لـ (لجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالبحث عن المفقودين) التي زارت بانكوك، وكان بين القوات الأمريكية العاملة هناك ــ عن (الجواميس الحمر) أجاب بارتياح تام : إن زعماء (الجواميس الحمر) أخبروه انهم أعدوا خطة لقتل (١٠٠) شيوعي تايلاندي قبل يوم ٢٠ آذار وهو الموعد المحدد لانسحاب القوات الأمريكية.

وقبل وقوع الانقلاب بأسابيع قليلة قال مسؤول على مستوى عال في حكومة (سيني براموج) إلى ضيف أجنبي : ان (الجواميس الحمر) و (حزب القوة الجديد) يتلقيان تمويلهما من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. ورغم انه لم يتحدث عن تفاصيل عملية التمويل وكيف تتم، فإنه أشير في شهر آب ١٩٧٥ إلى أن (قيادة عمليات الأمن الداخلي) لديها ميزانية سنوية تقدر بـ ٢٥ مليون دولار[١٨].

وللحقيقة، فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تموّل هذه القيادة منذ زمن بعيد، ومن المحتمل جداً أن يتم تخصيص جزء من هذه التمويلات من أجل تأسيس مجموعات يمينية شبه عسكرية.

وحينما سئل الكولونيل (سودساي هاسدين) رئيس الادارة في (قيادة عمليات الأمن الداخلي) عن دعم وتأييد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قال : « انني أسأل نفسي أحياناً بدهشة : ولماذا لا يموّلوننا ؟ ألسنا نقوم بأعمال يجب أن تجعلهم مسرورين » ؟

(١٨) المصدر السابق، ص ٥٢.

بالطبع، فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مسرورة ومرتاحة ولهذا السبب فإنها تدفع للكولونيل بسخاء. أما الشيء الوحيد هنا الذي يجب على المرء أن يدهش له هو وقاحة ذلك العميل المأجور الذي حصل على مبالغ هائلة، ولا يزال يتشكى ويتظلّم.

إن الحرب السرية التي تشنها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ضد شعوب جنوب شرق آسيا لا زالت مستمرة، ومن يدري ما هي الجريمة الجديدة التي سوف يفتضح أمرها غداً ؟!

سيناريو من واشنطن

لعدة حقب من الزمان خلت، وأمريكا اللاتينية لا تزال تحت مرصاد السفاحين المحترفين في (لانغلي ــ مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية). وتوضح كافة الجرائم التي ارتكبتها الإستخبارات الأمريكية ضد شعوب أمريكا اللاتينية أنَّ الاحتكارات الرأسمالية الأمريكية كانت مهتمة منذ زمن بعيد بهذه المنطقة للحصول على العائدات الهائلة التي يؤمنها لها الاستغلال القاسي للطاقة البشرية العاملة وللموارد الطبيعية، بل انها تعتبرها تابعة لها، الأمر الذي جعل هذه الاحتكارات الرأسمالية تحتفظ لنفسها بـ ٢٠٪ من اجمالي الانتاج القومي، وحوالي ٣٠٪ من عائدات التصدير. ومع مرور عام بعد عام، كانت تزداد قيمة الاستثمارات الأمريكية المباشرة في اقتصاديات امريكا اللاتينية، حيث قدرت بحوالي (٤ر١٦ بليون) دولار عام ١٩٧٣، و (٢ر٢٢ بليون) دولار في عام ١٩٧٥، ولا زالت هذه القيمة آخذة بالارتفاع. ومن أجل إحكام قبضتها جيداً على امريكا اللاتينية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تلجأ إلى أية وسيلة يمكن بواسطتها إقامة ودعم أي نظام يخدم مصالحها الاحتكارية هناك وإلى أقصى درجة ممكنة، وكذلك اتاحة أكبر عدد ممكن من الفرص من أجل تحقيق أكبر مجال من التوسع الاقتصادي الأمريكي في المنطقة. ويشير الواقع ــ من وجهة نظر واشنطن ــ إلى أن أفضل نظام

ملائم للولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية هو نظام الدول الديكتاتورية التي تكون أداة طيعة في يد البيت الأبيض، والتي تتبع دون أية مناقشة أوامر الولايات المتحدة، وتعمل على تنفيذ استراتيجيتها العالمية بواسطة آلية القمع والاضطهاد التي تتمثل في الجيش، والبوليس السري اللذين عملت على خلقهما وتطويرهما جارتها الشمالية. ولا يتورع استراتيجيو واشنطن عن تقديم الدعم الشامل إلى الديكتاتوريين الذين لا يزالون موجودين في عدة دول داخل القارة الأمريكية اللاتينية، بل علاوة على ذلك، فإنهم باستمرار يراقبرون الأوضاع داخل هذه الديكتاتوريات، ويستخدمون كل الأسلحة التي في حوزتهم ضد حركات التحرر الوطني في تلك القارة، بدءاً من الضغط الاقتصادي، والابتزاز، والتهديد، وتقديم المساعدات العسكرية والخبرات إلى الأنظمة الرجعية لتنفيذ العمليات السرية بواسطة المرتزقة الذين جندتهم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وانتهاء بالتدخل العسكري المباشر.

إن الدور الفعّال والنشيط الذي تلعبه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في أمريكا اللاتينية، تجلّى ــ وبلا شك ــ في إعداد وتنفيذ عملية الانقلاب العسكري التي وقعت في (تشيلي). فبعد وقوع الانقلاب كتب (اولارندو ليتلير) وهو سياسي معروف في الأوساط الشعبية التشيلية، مبيناً الأهداف الرئيسية للولايات المتحدة الأمريكية : « بعد الزيارة التي قام بها إلى تشيلي، والتي بحث خلالها خرق الحكومة العسكرية لحقوق الإنسان، قدّم (وليام سيمون) (وزير المالية الأمريكي السابق) تهانيه إلى (بينوشيه) على إعادته (الحرية الاقتصادية) للشعب التشيلي. إن هذا المفهوم يتلاءم تماماً مع النظام الاجتماعي الذي تتعايش فيه (الحرية الاقتصادية) مع الارهاب السياسي، دون أن يطغى أحدهما على الآخر ... والمنطقي جداً، أن يتوقع الانسان أن يقوم هؤلاء الذين يسمحون بهذه الحرية الاقتصادية غير المقيدة، بتحمل مسؤولية العواقب

التي تنتج عن مثل هذه السياسة الاقتصادية الحرة التي لن تتحقق إلّا في ظل القمع الجماهيري، والجوع، والبطالة، واستمرارية الدولة البوليسية ووحشيتها »[1].

وسجل يوم ٤ أيلول ١٩٧٠ فوز (سالفادور الليندي) مرشح كتلة (الوحدة الشعبية) في انتخابات الرئاسة ... وأثبت فوز ائتلاف الأحزاب اليسارية أن الوصول إلى قمة السلطة السياسية يمكن أن يتم فعلاً بالطرق والوسائل الديمقراطية.

وأعلن الشيوعيون التشيليون : « ان انتصار الشعب التشيلي عام ١٩٧٠ هو ذروة المعارك التي خاضها هذا الشعب في فترة حرجة جداً وعلى كافة جبهات النضال الاجتماعي. ولقد كان هذا النصر سهل المنال لأن الجماهير التفت حول السياسة التي تسعى إلى تحديد روح الثورة التشيلية، وحمايتها، والتي أوضحت بجلاء من هم أعداء هذه الثورة : الأمبريالية، والاحتكارات، وطبقة ملاك الأرض من الاقطاعيين وكان ذلك هو الخط الأساسي الذي سار الجميع وفقه، حيث شكلت الطبقة العاملة جبهة سياسية اجتماعية هي تكتل (الوحدة الشعبية) .. ومن هذا الموقع بدأت الحركة الشعبية عملية التغيير الثوري في المجتمع التشيلي »[2].

ومن الطبيعي، أن يسبب انتصار تكتل (الوحدة الشعبية) والتغييرات التقدمية التي بدأت في تشيلي، صدمة لاولئك العاملين في الأوساط السياسية الأمريكية الذين عملوا طويلاً من أجل الحفاظ على نظام حكم مناسب لمصالحهم في تشيلي، ولا سيما أن البيت الأبيض الأمريكي كان قد بدأ منذ مطلع عام ١٩٥٨ بتخصيص مبالغ ضخمة لدعم الجناح

(١) مجلة كاونتر سابي، المجلد ٣، العدد ٢، ١٩٧٦، ص ٣٣.

(٢) وورلد ماركسيست ريفيو، تموز ١٩٧٤، العدد ٧، ص ٢٧.

اليميني في انتخابات الرئاسة. وبين عامي ١٩٦٢ ــ ١٩٧٣، كانت (لجنة الأربعين) قد وافقت على تخصيص ما لا يقل عن (١١ مليون) دولار من أجل تمويل عمليات تصعيد الوضع السياسي وتوتيره في تشيلي بما يتلاءم ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية(٣)، بينما قالت مصادر أخرى أن هذا الرقم هو (٢٨ مليون) دولار. وتم في عام ١٩٦٤ تأسيس محطة اقليمية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية في (سانتياغو) للغرض نفسه.

وشهد يوم ١٥ ايلول ١٩٧٠ عقد اجتماع في البيت الأبيض، ضم كلا من : الرئيس الأمريكي (ريتشارد نيكسون) و (هنري كيسنجر) مستشار الأمن القومي و (ريتشارد هيلمز) مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية و (جون متشل) وزير العدل الأمريكي. وقد أوجز (هيلمز) المحادثات التي دارت، وتعليمات الرئيس (نيكسون) فقال :

« توجد هناك فرصة واحدة لصالحنا، مقابل عشر ليست لنا، ومع ذلك، فإن علينا أن نعمل من أجل أن نحافظ على (تشيلي) ولن تكون تكاليف العملية هامة بالنسبة لنا في مثل هذه الحالة، ويجب عدم النظر بعين الاعتبار إلى المخاطر المتعلقة بهذا الشأن. أما السفارة الأمريكية هناك، فيجب أن تكون بعيدة عن هذا الموضوع. ويجب أن نخصص مبلغ (١٠ ملايين دولار) لتنفيذ العملية، وإذا احتاج الأمر مزيداً، فليكن ذلك .. كذلك يجب أن نعمل على مدار الليل والنهار وأن نجند أفضل العملاء، وأن ننفذ العملية بأسرع وقت ممكن ... ويجب أن تضعوا استراتيجية هذه المهمة خلال ٤٨ ساعة »(٤).

---

(٣) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بلا قناع، غوالتريا ماردونز، ص ١٣٩.

(٤) مؤامرات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، زاغوفوري، موسكو، ١٩٧٩، ص ٤١.

أما الحرب السرية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد حكومة (الوحدة الشعبية) والتي استمرت من تشرين الثاني ١٩٧٠ وحتى ايلول ١٩٧٩، فإنه يمكن تقسيمها إلى مرحلتين. لكن يجب الانتباه إلى أن هدف واشنطن الاستراتيجي ــ وهو الاطاحة بحكومة (الليندي) ــ بقي كما هو ولم يتغير، إنما طرأت تعديلات وتغييرات على التكتيك الذي كانت تتبعه المخابرات الأمريكية. وخلال المرحلة الأولى ركز خبراء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في (لانغلي ــ مقر الوكالة) على خطط عمليات التخريب الاقتصادي، ومحاصرة (تشيلي) وعزلها دولياً، وخلق الفوضى السياسية والاقتصادية ــ الاجتماعية وتنظيم عمليات التخريب والارهاب في كل مناسبة أو احتفال يقام في (تشيلي) وشن الحرب الاعلامية والنفسية ضد هذا البلد، واستمرت المرحلة الأولى حتى شهر آذار عام ١٩٧٣ حيث كان موعد الانتخابات البرلمانية. لكن الذي حدث هو أن هذا المخطط الأمريكي ــ وبعد انتهاء الانتخابات ــ قد فشل تماماً في جعل حكومة (الليندي) تسقط من تلقاء نفسها، فأخذت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تركز جهودها على الارهاب، واثارة الصراعات والنزاعات المسلحة، وتخريب منشآت النقل ومحطات تزويد الطاقة، والقيام بمحاولات لاغتيال زعماء (الوحدة الشعبية) والعمل على توحيد صفوف القوى الرجعية المعادية للثورة.

وفي كتابه الذي يحمل عنوان (الكتاب الأسود للتدخل الأمريكي في تشيلي) أشار الدبلوماسي التشيلي السابق، والرجل المعروف في كافة الأوساط (ارماندو اوريبي) إلى أنه كان هناك حافزان وراء هدف واشنطن بإسقاط حكومة (الليندي) وهما : هدف سياسي تفرضه أهداف السياسة الأمريكية على المستوى العالمي (رفضها للنجاح الذي حققته تشيلي وخبرتها في عملية التحويل الاشتراكي سلمياً، وحاجة الولايات المتحدة الأمريكية لتحذير دول امريكا اللاتينية والدول

الأوروبية ـــ وخاصة فرنسا وايطاليا ـــ من مغبة سلوك مثل هذا الطريق الذي سلكته تشيلي بطريقة ما أو بأخرى). والهدف الثاني هو هدف اقتصادي مبعثه مقدار وشكل التعويضات التي أعطيت للاحتكارات الأمريكية التي كانت متوفرة في (تشيلي) وتم تأميم ملكيتها لصالح (تشيلي)(٥).

على أية حال، فإن كل ماكينات الارهاب الدولي التي تستخدمها الأوساط الأمريكية الحاكمة، وتلجأ إليها باستمرار من أجل إسقاط الأنظمة غير المرغوب بها امريكياً، بدأت تعمل بسرعة منذ بداية خريف ١٩٧٠، حيث عهد إلى المخابرات الأمريكية بمهمة شن الحرب السرية ضد حكومة (الليندي) وحصلت هذه الأجهزة على صلاحيات مطلقة، ووضعت تحت تصرفها مبالغ غير محددة من الأموال لتنفيذ هذه المهمة. وفي ٢٨ أيلول ١٩٧٠، تم اتخاذ قرار يقضي بتقوية وتوثيق التعاون بين الإستخبارات العسكرية الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وأرسل نائب رئيس الإستخبارات العسكرية الأمريكية تعمليات سرية إلى الملحق العسكري الأمريكي في (تشيلي) يقول له فيها :

« عبر تعاونك القوي مع رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أو مع نائبه، يجب عليك أن تحاول اقامة علاقات مع قادة الجيش الذين يمكن أن يكون لهم دور فعال في العملية التي ستجري ضد (الليندي) ... إعمل بتعليمات السفير الأمريكي فيما تراه مناسباً لعملك .. ونسق أعمالك مع رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في تشيلي »(٦).

---

(٥) الكتاب الأسود للتدخل الأمريكي في تشيلي. أرماندو اوريبي بوسطن. ١٩٧٥.

(٦) مؤامرات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية زاغوفوري، ص ٥٩.

ولم يكن عبثاً ما قاله (الليندي) حينما سمى بلاده باسم (فيتنام الصامتة). فخلال حملتها العنيفة ضد حكومة (الوحدة الشعبية) استغلت واشنطن كل الخبرات التي اكتسبتها خلال تنفيذ برنامج (فينكس) على يد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وبتعاون وثيق مع الإستخبارات العسكرية.

وبدأ الرجعيون في (تشيلي) أولى هجماتهم ضد تكتل (الوحدة الشعبية) في شهر تشرين الأول ١٩٧٠، حيث قاموا باغتيال الجنرال (رينيه شنيدر) القائد العام للجيش، والذي يؤيد (سلفادور الليندي) الرئيس الشرعي المنتخب للبلاد. وقد شاركت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بصورة مباشرة في التخطيط لعملية الاغتيال هذه. ففي يوم ١٩ تشرين الأول قامت مجموعة من الضباط المرتبطين بمحطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في (سانتياغو) بمحاولة إختطاف الجنرال، لكنهم فشلوا في ذلك، وأعادوا الكرة ثانية في اليوم التالي حيث أخفقوا ثانية. وفي صباح ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٠، قام رجال محطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتسليم أسلحة رشاشة وذخائر إلى المتآمرين، وحثوهم على اغتيال (شنيدر) هذه المرة. وفعلاً فقد قتل الجنرال الذي كان يؤيد الدستور في اليوم ذاته.

وحقاً، فإن هذه الأيام كانت أياماً محمومة وعصيبة بالنسبة لمحطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في (سانتياغو) فاضافة إلى عملية جمع المعلومات المتعلقة بالوضع السياسي في (تشيلي) كان ضباط هذه المحطة مشغولين بعملية تأسيس شبكة من العملاء من بين صفوف المعارضة، وكذلك بإقامة علاقات مع الزعماء والقيادات المضادة للثورة، وبتوزيع الرشاوى على الصحف وعلى زعماء المنظمات والحركات الشعبية والسياسية، ووضع خطط للقيام بأعمال ارهابية وتخريبية. وفي حين أن الأعداد لتنفيذ الانقلاب المعادي للثورة كان يجري على قدم

وساق، عهد بإدارة محطة الوكالة في (تشيلي) إلى (ريموند وارّين) الذي اكتسب خبرة جيدة في عمليات التخريب خلال الفترة التي قضاها في (غواتيمالا) عام ١٩٥٤ وهو يعمل كعميل بسيط لصالح الوكالة المركزية الأمريكية. أما سفير الولايات المتحدة الأمريكية في (تشيلي) (ناثانيال دافيس) فهو محنّك آخر من عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في (غواتيمالا). وبعد وقوع التمرد الفاشي، تم تعيينه في منصب رئيس دائرة الشؤون الافريقية في وزارة الخارجية الأمريكية.

لقد كانت مهمة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في (تشيلي) تتطلب اتفاقيات مالية ضخمة، ولا سيما أنها كانت مهمة معقدة ومتعددة الاتجاهات، وهذا ما أكده (وليام كولبي) حينما خاطب الكونغرس الأمريكي قائلاً : ان الوكالة قد أنفقت بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٣ ما يزيد على ٨ ملايين دولار من أجل تنفيذ عدة مهام تهدف جميعها إلى تأزيم الوضع في (تشيلي)، كما أفاد خلال الادلاء بشهادته أمام لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي بأنه تم تخصيص مبلغ (٥٠٠٫٠٠٠) دولار أمريكي لدعم الأحزاب السياسية اليمينية خلال انتخابات عام ١٩٧٠، وكذلك مبلغ (٣٥٠٫٠٠٠) دولار لرشوة أعضاء البرلمان. أما خلال السنوات التي أعقبت عام الانتخابات ١٩٧٠، فإن الحملة التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل زعزعة الاستقرار في (تشيلي) كلفت حوالي (٥) ملايين دولار، إضافة إلى (١٫٥) مليون دولار انفقت خلال انتخابات المجالس البلدية عام ١٩٧٣. كذلك، فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية دفعت مبلغ (٥٠٫٠٠٠) دولار لتمويل اضراب سائقي المركبات والذي يعد أكبر عملية في مجال تخريب قطاع النقل. كما رصد مبلغ مليون دولار كإجراء طارئ في شهر آب ١٩٧٣ حينما بلغت الاستعدادت لتنفيذ عملية الانقلاب الفاشي أوجها. ومع حلول صيف عام ١٩٧٣ أصبح من الواضح تماماً أن الولايات المتحدة

الأمريكية التي تؤيد القوى اليمينية تخطط بالتعاون مع هذه القوى من أجل الاطاحة بالحكومة الشرعية مستخدمة القوة لتحقيق غرضها. وكان على رأس المتآمرين منظمة (باتريا. ي. ليبرتيد) وهي منظمة يمينية متطرفة تعمل بتعاون وثيق مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وقام سفاحو هذه المنظمة خلال شهري تموز وآب ١٩٧٣ فقط بحوالي (٥٠٠) عملية تفجير تخريبية، كما نفذوا عدة عمليات اغتيال سياسية. وكان من بين الضحايا الذين سقطوا نتيجة هذه الأعمال الارهابية مساعد الرئيس (الليندي) للقوات البحرية، ورئيس فرع سانتياغو للجمعية الوطنية المالكي السيارات الذي كان يعارض الاضراب المشار إليه اعلاه.

ويداً بيد مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، أخذ الرجعيون يقتربون شيئاً فشيئاً من حمام الدم. وللحقيقة، فإن الاضراب الذي أشرنا إليه قد ألحق بالاقتصاد التشيلي خسائر فادحة : فإن توقف الشاحنات عن العمل في كافة أنحاء البلاد قضى على الموسم الزراعي وعمل على رفع وتيرة التضخم. وفي ٢٩ حزيران قامت مجموعة من الضباط الرجعيين بمحاولة انقلاب. وتم اغتيال الجنرال (كارلوس براتس) القائد العام للجيش التشيلي.

لكن الشق الأول (عملية الانقلاب) أخفق وفرَّ زعماء منظمة (باتريا. ي. ليبرتيد) إلى خارج البلاد، بينما التجأ الباقون منهم إلى سفارات الدول الأجنبية في (تشيلي). ثم صدرت الأوامر التي تقضي بحظر هذه المنظمة اليمينية المتطرفة في البلاد، إلا أن أفرادها المعادين للثورة لم ينصاعوا لهذا الأمر، ورفضوا إلقاء السلاح جانباً، واستمروا ينسقون أعمالهم مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية معتمدين على دعم واشنطن وتأييدها ــ لا سيما المادي منه ــ وأخذوا يعدون خطة جديدة لتنفيذ انقلاب عسكري يقوده كبار الضباط في الجيش التشيلي. وفي شهر ايلول ١٩٧٣ وقع انقلاب عسكري مسلح اتسم بوحشية لا

مثيل لها، وشن الديكتاتوريون العسكريون الذين اغتصبوا السلطة حملة انتقامية وحشية لا تعرف الرحمة أبداً ضد اليسار التشيلي.

إن من يمعن النظر في تاريخ امريكا اللاتينية وعلى امتداد عشرات السنين إلى الوراء، لا بد له أن يرى بوضوح ذلك الأسلوب الذي تتبعه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من أجل اقامة أنظمة مرغوب بها أمريكيا في هذا البلد أو ذاك. وكان العاملون في (لانغلي ــ مقر الوكالة) يبدأون بتشغيل ماكينة العمليات السرية كلما بدا لهم أن حكومة ما في امريكا اللاتينية تسير في طريق غير الطريق الذي رسمته الولايات المتحدة الأمريكية، ويتعارض مع « المصالح الحيوية » الأمريكية في المنطقة، وبكلمات أخرى، حينما يتعارض الوضع مع مصالح الاحتكارات الأمريكية التي تسيطر على امريكا اللاتينية. وهذا الاسلوب الذي تتبعه وكالة المخابرات الأمريكية أصبح معروفاً : التهديد، الرشاوى، الابتزاز، حملات الافتراء، الأعمال الارهابية، وأعمال التخريب. وكل مرة، فإن هذا الاسلوب ينتهي بانقلاب عسكري تصل فيه أدوات واشنطن إلى رأس السلطة، لتقوم هذه الأدوات بعد ذلك مباشرة بشن حملة من الارهاب ضد القوى الوطنية.

لقد جربت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هذا الاتجاه أول مرة في ايران عام ١٩٥٣، حينما نجحت مجموعة خاصة برئاسة (كيرمت روزفلت) الذي يعد الساعد الأيمن لـ (آلن دالاس) بتخطيط وتنفيذ عملية الاطاحة بحكومة (مصدّق) الشرعية. وبعد هذا النجاح الذي حققته، قررت الوكالة الأمريكية القيام بعملية مشابهة في أمريكا اللاتينية في السنة التالية. وكانت هذه العملية من نصيب (غواتيمالا) حيث أصبح الوضع السياسي في هذا البلد ــ حسب اعتقاد البيت الأبيض ــ غير مقبول لدى الولايات المتحدة الأمريكية.

إن (الشركة الأمريكية المتحدة للفواكه) التي تمتلك مزارع الموز،

وشبكة الخطوط الحديدية، والموانئ، وحتى قوات بوليس تابعة لها، قد سيطرت على هذا البلد الصغير الواقع في أمريكا اللاتينية والذي كان في طور النمو، ولعدة عقود من السنين. كما كانت هناك شركات احتكارية امريكية أخرى تقوم بالسيطرة على الثروة النفطية في ذلك البلد، وتأمل بإمكانية متابعة نهبها لفترة طويلة. لكن هذه الاحتكارات سرعان ما واجهت تهديداً خطيراً ومميتاً في نهاية عام ١٩٥٠ حينما اعتزمت الحكومة التقدمية الجديدة بزعامة (آربنز) تنفيذ عدد من الاصلاحات الديمقراطية بما فيها توزيع الأراضي على العمال الزراعيين وعلى الفلاحين. وتنبه البيت الأبيض إلى مدى خطورة هذا القرار الذي اتخذته حكومة (غواتيمالا) والذي تتم بموجبه مصادرة المزارع وخاصة تلك التي تملكها (الشركة الأمريكية المتحدة للفواكه). وأصبح التدخل الأمريكي المباشر في شؤون (غواتيمالا) الداخلية واضحاً، وقدمت وزارة الخارجية الأمريكية احتجاجاً إلى حكومة (آربنز) على سياسة الأراضي التي تتبعها تلك الحكومة.

وأخيراً في عام ١٩٥٣، قرر الرئيس الأمريكي (ايزنهاور) الاطاحة بحكومة (آربنز) ومن أجل خلق تبريرات لهذا العمل الارهابي الدولي، بدأت وسائل الاعلام الأمريكية بشن حملة صاخبة ضد (الخطر الشيوعي) المزعوم الذي يهدد امريكا اللاتينية. وفي الوقت ذاته أصدر مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (آلن دالاس) أوامره إلى نائبه لشؤون تخطيط العمليات السرية بضرورة وضع خطة انقلاب عسكري في (غواتيمالا). وأوضحت خطة العاملين في (لانغلي) ان عصابات المرتزقة والارهابيين الذين سيقومون بغزو (غواتيمالا) يجب أن يتم تجمعيهم وتدريبهم وتنظيمهم في (هندوراس) و (نيكاراغوا) المجاورتين لـ (غواتيمالا) ولا سيما أن حكام هاتين الدولتين هم من أدوات الولايات المتحدة الأمريكية. وقامت الوكالة الأمريكية في الوقت

نفسه عبر محطتها في (غواتيمالا) بتسليح الرجعيين للقيام بانقلاب داخل البلاد.

ووصل في شهر شباط ١٩٥٤ سفير امريكي جديد إلى (غواتيمالا) وهو (جون بيريفوي) صاحب الخبرة الطويلة في الأعمال القذرة والتي اكتسبها في (اليونان). ومن الطبيعي أن تكون المهمة الديبلوماسية الموكولة إليه بمثابة غطاء، أما المهمة الحقيقية فهي تنظيم وتنفيذ عملية الانقلاب. وبدأ هذا السفير الجاسوس بإقامة علاقات قوية مع الضباط الرجعيين في الجيش واستخدمهم ليكونوا بمثابة طاقم الطغمة العسكرية القادمة إلى السلطة بعد الاطاحة بالحكومة الشرعية، وانتزاع السلطة منها. وعهدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بمهمة اعداد الغزو المسلح ضد (غواتيمالا) إلى الكولونيل (كاستيللو آرماس) الملحق العسكري السابق لسفارة (غواتيمالا) في واشنطن، والذي اتخذ من (تيغو سيغالبا) عاصمة (هندوراس) مقراً لقيادته. واتخذت وكالة المخابرات الأمريكية وشركاؤها في البنتاغون الأمريكي وبشكل مباشر مسؤولية تزويد عصابات (آرماس) بالأسلحة والذخائر، حيث أرسلتا شحنتين من الأسلحة إلى المتمردين في (هندوراس) و (نيكاراغوا). كما قامت الوكالة الأمريكية بتسليم (آرماس) مبلغ (٥) ملايين دولار لتمويل غزو (غواتيمالا).

وتم تدريب المرتزقة في موقعين يقعان على (جزيرة مومو تمبيتو) في (نيكاراغوا) : الأول وهو عبارة عن مزرعة كبيرة لتربية الخيل في (ايلتامارييندو) والتي يملكها (سوموزا) والثاني عبارة عن مكان كان يستعمل في السابق للطائرات بالقرب من (بويرتو كابيزاس). اما الشخص الذي كان مسؤولاً عن تدريب هؤلاء المرتزقة فهو الكولونيل (كارل ستودر) الأمريكي والذي كان يعمل كمستخدم في (الشركة المتحدة للفواكه).

وأطلق على هذه العملية المقررة اسم رمزي هو (ايلديابلو). ففي ١٨ حزيران ١٩٥٤، بدأ تنفيذ هذه العملية، حيث قامت الطائرات التي تم تسليمها إلى (آرماس) وكان يقودها طيارون امريكيون، بقصف عاصمة (غواتيمالا) وميناء (سان خوسيه) الواقع على المحيط الهادئ. كما قامت مجموعة صغيرة ذات تسليح هائل من عصابات (آرماس) بعبور حدود (غواتيمالا). لكن هذا المشروع فشل ولا سيما أن قوات الأمن في (غواتيمالا) كانت لديها معلومات منذ مطلع عام ١٩٥٤ حول هذه المؤامرة، وبالتالي تم صد الغزو بسهولة، وإعادة المرتزقة إلى (هندوراس). وذعرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مما حدث، وعقد البيت الأبيض اجتماعاً طارئاً لبحث الوضع. وفي النهاية قرر الرئيس (ايزنهاور) استمرار تقديم المساعدة إلى المرتزقة، بل وأكثر من ذلك أنه أمر بتزويدهم بطائرات جديدة. وبالرغم من إخفاق المحاولة الأولى للاطاحة بحكومة (آربنز) فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قررت المضي قدماً في تنفيذ عملية (ايلديابلو). وفي ٢٧ حزيران ١٩٤٥ أجبر (آربنز) على الاستقالة ومغادرة البلاد. وتولت بعد ذلك ولعدة أيام الطغمة العسكرية مقاليد الأمور في البلاد برئاسة الكولونيل (دياز) ثم حل مكانه الكولونيل (مونزون). وفي الثالث من تموز وصل (كاستيللو آرماس) إلى (غواتيمالا) ونصبته الطغمة العسكرية رئيساً للبلاد، واعترفت الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً به بعد مرور أيام قليلة على توليه السلطة في البلاد.

أما أصحاب (الشركة المتحدة للفواكه) فقد كانوا في غاية السرور مما حدث ولا سيما أن نظام (آرماس) قرر أن يعيد إلى الأمريكيين الأراضي التي صودرت منهم، وأبدت الاحتكارات الأمريكية تقديرها للأعمال القذرة التي قامت بها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية حيث تم عام ١٩٥٥ تعيين الجنرال (وولتر بيدل سميث) مدير الوكالة

من ١٩٥٠ ـــ ١٩٥٣ ونائب وزير الخارجية فيما بعد، في هيئة ادارة الشركة. لكن الأسباب والبواعث الحقيقية التي سار بموجبها عرّابو الارهاب الدولي يمكن أن تظهر من خلال الحقائق التالية : ان وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الوقت (جون فوستر دالاس) وشقيقه مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وقتذاك (آلن دالاس) وهما المهندسان الرئيسيان للانقلاب الذي وقع في (غواتيمالا) كانا شريكين في شركة (سوليفان آند كروميل) التي تدير شؤون (الشركة المتحدة للفواكه)، كما أن (جون كابوت) مساعد (جون فوستر دالاس) لشؤون الدول الأمريكية يمتلك النصيب الأكبر من أسهم (الشركة المتحدة للفواكه). وهكذا يبدو من الواضح تماماً ماهية الأرباح التي كان يجنيها الارهاب الدولي.

وتلت ذلك عدة وقائع وأحداث في أمريكا اللاتينية، كان يتكرر خلالها الأسلوب المعتاد كلما تمكنت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من تنفيذ خططها وبرامجها في إحدى دول امريكا اللاتينية. ان الأنظمة والأدوات الدمى التي يخلقها العاملون في (لانغلي) تكون دائماً ملائمة للأهداف التي يوافق عليها البيت الأبيض، ولا يمكن أن تختلف عن بعضها البعض. والمظهر الخبيث الذي تظهر به هذه الأنظمة أيضاً واحد : حملات مستمرة من الحرب ومن الانتقام الوحشي اللاانساني، ومن الرعب، ضد شعوب هذه الأنظمة التي أقامتها الولايات المتحدة الأمريكية، وزودتها بما يلزمها من أجهزة القمع والاضطهاد .. هذا ما حدث في (ايران) وفي (غواتيمالا) وما سيحدث لاحقاً في (الاوروغواي) و (البرازيل) و (تايلاند) و (السلفادور) وفي كل مكان تركت فيه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بصماتها المصبوغة بالدم.

ان العمليات السرية التي كانت تقوم بها تلك الوكالة الأمريكية لم

تكن تهدف فقط إلى التآمر للاطاحة بالحكومات الشرعية واحلال الأنظمة الديكتاتورية مكانها، علماً ان هذه الديكتاتوريات لم يكن بإمكانها عادة البقاء معتمدة على نفسها، ودون الحصول دائماً وأبداً على مساعدة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وتأييدها. لذلك، فإن المرحلة التالية والهامة كانت تفرض على الوكالة الأمريكية ايجاد ظروف مرغوب بها لدى تلك الأنظمة الدمى، بحيث تمكنها من إتباع أوامر واشنطن دون أي تردد. وهذه الظروف المطلوبة تستوجب ايجاد أجهزة قمع قوية، ومنظمات ارهابية ذات اتجاه يميني متطرف، ولها علاقاتها وارتباطاتها بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والاستمرار — عبر مساعدات هذه الوكالة — بعمليات ابادة كل الوطنيين، وكل القوى الديمقراطية اليسارية. ودون الاستمرار بأعمال العنف هذه، والتي تنفذها المنظمات والحركات الارهابية، فإن هذه الأنظمة التي خلقتها واشنطن سوف تنهار بين عشية وضحاها. لكن دعونا الآن نعود إلى (غواتيمالا) لنرى ما الذي جلبه التدخل الأمريكي إلى هذا البلد الذي طالت معاناته، ولنتعرف على حقيقة (الرخاء) الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية على هذا البلد.

في يوم ١٤ تموز ١٩٨٠ نزلت مجموعة رجال يلبسون القلنسوات على رؤوسهم من عدة سيارات بالقرب من حرم جامعة (سان كارلوس)، ودخلوا إلى الحرم الجامعي واحداً إثر الآخر قبل بدء الدروس بلحظات قليلة حيث كان الطلاب يهرعون إلى صفوفهم دون أن يعيروا اولئك المتطفلين أدنى اهتمام. أما اولئك الغرباء فإنهم سحبوا أسلحتهم الرشاشة من تحت معاطفهم التي كانوا يرتدونها. وحينما أتموا تنفيذ مهمتهم وعادوا إلى سياراتهم، كانوا قد تركوا وراءهم (٢٥) قتيلاً و (١٤) جريحاً على أرض الجامعة.

ان هذه المجزرة التي ادعت (كتيبة الموت) مسؤوليتها عنها

أصبحت روتينا يومياً في (غواتيمالا) حيث تقوم (كتيبة الموت) و (الجيش السري لمكافحة الشيوعية ـــ ايسا) بتنفيذ برنامج « تهدئة » اليسار الذي طرحته الولايات المتحدة الأمريكية.

أما أعضاء (ايسا) فهم على الأغلب ضباط عسكريون من الجيش تم تدريبهم على يد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في الولايات المتحدة، وتلقى بعضهم دورات تدريبية في (اسرائيل) و (تشيلي) وبلدان أخرى. ويستعملون خلال تنقلاتهم وعملياتهم كافة أنواع وسائل النقل : بدءاً من طائرات الهليكوبتر والدبابات وانتهاء بالدرجات النارية. كما أنهم يستخدمون أيضاً عدداً من البيوت الخاصة لتكون بمثابة سجون وغرف تعذيب. وعلى العكس من (ايسا) التي تفضل استخدام الأسلحة النارية، فإن (كتيبة الموت) تستخدم السكاكين والحبال المصنوعة من النايلون.

أما تبعة مسؤولية أعمال العنف والارهاب في (غواتيمالا)، فقد القاها المسؤولون في حكومة (لوكاس غارسيا) على عاتق اليمين المتطرف واليسار المتطرف أيضاً، زاعمين أنه ليس باستطاعة الحكومة السيطرة على هذين الفريقين. لكن مصادر مقربة من نظام (لوكاس غارسيا) أفادت أن (كتيبة الموت) يشرف عليها ضباط من البوليس ومن الجيش، ويتلقون أوامرهم من الرئيس، ومن وزير داخليته (دونالدو الفاريز رويز) ومن مجموعة من الجنرالات ذوي الرتب العالية الذين يدعمهم الكولونيل (هيكتور مونتالفانا) رئيس هيئة الأركان، والكولونيل (جيرمان شوبينا) رئيس البوليس الوطني. وصرح رجل الأعمال الغواتيمالي (راؤول غارسيا غرانادوس) في مقابلة أجريت معه؛ بأنَّ (كتائب الموت) تحظى برعاية القوات المسلحة، وان هذه الكتائب « تحتفظ بقوائم أسماء أشخاص يشتبه بأنهم شيوعيون. وهم يقومون بقتل هؤلاء الأشخاص ».

وفي الحقيقة، إنَّ هناك عدة أدلة واثباتات تفيد بأن (كتائب الموت) تخضع لسيطرة الحكومة، وتعمل تحت اشرافها، وبتوجيه منها، حيث تأكد هذا الأمر في شهر ايلول عام ١٩٨٠ عندما أعلن ذلك (الياس باراهونا) الذي عمل كسكرتير صحفي لوزير الداخلية مدة أربع سنوات. وتحدث في بيان صحفي أذاعه على رجال الصحافة مبيناً بالتفصيل كيف أن (لوكاس غارسيا) وجنرالات جيشه يسيطرون تماماً على (كتائب الموت). كما قام (باراهونا) بتزويد الصحافيين بقوائم تحتوي على عناوين عدد من المنازل تستخدم كمراكز لاعتقال وتعذيب الناس الذين تقوم هذه الكتائب باختطافهم. وأعلن السكرتير العام للحزب الديمقراطي المسيحي (فينيسيو سيريزو) في مؤتمر صحفي أن زعماء حزبه هم على رأس قائمة الضحايا المطلوبين لدى (كتائب الموت) لان كل اولئك الذين يعارضون الحكومة يعتبرون شيوعيين حسب وجهة نظر رجال الكتائب.

وبقي الارهاب هو الوسيلة الوحيدة التي تستخدمها الطغمة الحاكمة في (غواتيمالا) في صراعها مع المعارضة، وتم خلال الفترة الواقعة بين آب ١٩٨٠ وأيار ١٩٨١ اغتيال (٧٦) عضواً من أعضاء الحزب الديمقراطي المسيحي، و (١٠) أعضاء اخرين من (الجبهة الثورية الديمقراطية الاشتراكية المتحدة) ذات الاتجاه اليساري.

وجاء في بيان أصدرته هذه الجبهة في آذار ١٩٨١ حول القمع والاضطهاد في (غواتيمالا) انه بسبب الخوف والذعر اللذين يسيطران على الطغمة العسكرية في (غواتيمالا) نتيجة المقاومة الشعبية، فان هذه الطغمة بدأت بتطبيق سياسة (الأرض المحروقة) في المناطق الريفية، وان فرق التأديب التي أنشئت خصيصاً لهذا الغرض تقوم بتدمير القرى تماماً، وبتعذيب وذبح المدنيين. وأورد البيان عدة حوادث قام خلالها

جنود السلطة باحراق عائلات باكملها من نساء وأطفال وهم على قيد الحياة.

وحدث بعد ذلك، وفي ربيع عام ١٩٨٢، ان وقع انقلاب عسكري في (غواتيمالا) أطاح بحكم الجنرال (لوكاس غارسيا)، وتم على إثره حل البرلمان، وإقالة الحكومة، وتعطيل الدستور. وشكل السفاحون الجدد من الجناح اليميني المتطرف في جيش (غواتيمالا) حكومة عسكرية برئاسة الجنرال (ريوس مونت). ان الخطوات الأولى التي قامت بها الطغمة العسكرية الجديدة دلّت على ان النظام الجديد لا ينوي التخلّي عن سياسة القمع والارهاب التي كان قد انتهجها النظام السابق، بل ان الجنرال (ريوس مونت) أعلن على الملأ بانه سوف يقضي على الوطنيين المناضلين في سبيل اعادة الحرية والديمقراطية إلى (غواتيمالا) إذا لم يلقوا أسلحتهم.

وبلا شك، فإن مثل هذا الاجراء الذي يوافق تماماً سياسة الولايات المتحدة الامريكية في امريكا اللاتينية، قد وجد ترحيباً حاراً من قبل زعماء (لانغلي) الحاليين ولا سيما أن ماكينة الارهاب الدولي التي تحركها وكالة المخابرات المركزية الامريكية دون أية رحمة أو شفقة تبحث عن مزيد من الضحايا الجدد لأن العنف هو الدعامة الرئيسية التي لا يمكن لأي نظام موال للامبريالية في امريكا اللاتينية، ان يبقى دونها يوماً واحداً. وأكبر مثال حي على ذلك هو المأساة المرعبة التي يشهدها هذه الايام الرأي العام العالمي في بلد آخر من بلدان امريكا اللاتينية، وهو (السلفادور).

يقول (فيليب آغي) الموظف السابق في وكالة المخابرات المركزية الامريكية في مؤتمر صحفي عقدته في شهر شباط ١٩٨١ (جبهة فارابوندو مارتي للتحرير الوطني في السلفادور): « الارهاب هو عندما

تقوم الولايات المتحدة الامريكية بايجاد ذيكتاتورية في أي مكان بحيث تعتمد هذه الديكتاتورية على القوة المسلحة، وتلجأ إلى ممارسة الارهاب ضد شعبها » وقد أدلى (آغي) بهذه الاجابة حينما طرح عليه سؤال حول موقفه من مزاعم الادارة الامريكية بان هناك ارتباطاً بين حركات التحرر وبين الارهاب. وحذّر من أن واشنطن يمكن أن تفعل أي شيء للحيلولة دون وصول أي من الاحزاب الديمقراطية إلى سدة الحكم في (السلفادور). واتهم الولايات المتحدة الامريكية بانها يمكن أن تقوم بشن غزو عسكري مباشر ضد ذلك البلد وأن تجوله إلى (فيتنام ثانية). ان هذا التحذير الذي وجهه (آغي) إلى الوطنيين السلفادوريين عززته جملة البيانات الصادرة عن المسؤولين الامريكيين وخاصة من (الكسندر هيغ) وزير الخارجية الاسبق و (ادوين ميس) مستشار الرئاسة الامريكية، والتي تحمل في جملتها التهديدات والتحذيرات الموجهة إلى الوطنيين السلفادوريين.

لقد كشف هذا المؤتمر الصحفي الذي عقده السلفادوريون الوطنيون الاساليب والطرق الوحشية الاجرامية التي تتبعها وكالة المخابرات المركزية الامريكية: فمن ناحية تعمل هذه الوكالة باستمرار على خلق العمليات التخريبية الموجهة ضد حركات التحرر الوطني وتنفيذها بما في ذلك السلفادور، وهي من ناحية ثانية تحاول تضليل الرأي العام في العديد من الدول. وقد أفاد (آغي) ان ما قاله مساعد وزير الخارجية الامريكي (لورنس ايغلبرغر) من أنه حمل معه إلى دول أوروبا الغربية حقائق ووثائق تثبت وجود ارتباطات بين الثوار السلفادوريين وبين الدول الاشتراكية، ان هذه الأقوال هي مزاعم باطلة، تمت صياغتها و (فبركتها) على أيدي الإستخبارات الامريكية. وعرضت على رجال الصحافة الذين حضروا هذا المؤتمر صور لوثائق تكشف أعمال أجهزة التضليل والتخريب في وكالة المخابرات المركزية الامريكية وهي تفضح وتفند مزاعم (لورنس ايغلبرغر).

وفي معرض حديثه عن (المعهد الامريكي لتنمية وتطوير النقابات الحرة) أشار (آغي) إلى: « أن الهدف الحقيقي لهذه المؤسسة (الثقافية) هو تدريب السلفادور على تشكيل نقابات جديدة أو السيطرة على الموجود منها سابقاً، حيث يمكن بهذه الطريقة السيطرة بشكل مباشر ــ أو غير مباشر ــ على هذه النقابات من قبل وكالة المركزية الامريكية ». وعرض (آغي) على الصحافيين وثيقة خاصة بالمعهد توصي ببذل أكبر قدر ممكن من الجهود من أجل التأثير على أعضاء الحزب الديمقراطي المسيحي للحصول على تأييدهم للسياسة الامريكية في (السلفادور).

وقد تأكدت أقوال (آغي) هذه حينما نشرت مجلة (ذنيشن) في عددها الصادر يوم ١١ نيسان ١٩٨١ مقالة بعنوان (وكالة المخابرات المركزية الامريكية والكتاب الأبيض حول السلفادور). يقول كاتب المقال (رالف ماك غي) الموظف سابقاً في قسم الشيوعية الدولية في مديرية العمليات التابعة لوكالة المخابرات المركزية الامريكية، والذي عمل لصالح الوكالة في (تايوان) و (تايلاند) و (فيتنام):

« ان ما تحاول الولايات المتحدة الامريكية القيام به الآن في السلفادور ما هو إلا صورة طبق الأصل لما قامت به في العديد من دول العالم الثالث. وفي حين تظهر امريكا نواياها الطيبة، وتشجب التهديدات والاخطار المزعومة المحدقة بأمنها القومي، نرى صنّاع السياسة الامريكية وهم يفرضون على شعوب العالم حكومات ترفضها هذه الشعوب، ويزودون هذه الأنظمة بالسلاح، ويدعمونها بواسطة الجيوش ورجال البوليس. واذ تخفي الولايات المتحدة الامريكية أهدافها الحقيقية وراء ستار مكافحة الشيوعية الدولية أو كما تعبر عن ذلك بمصطلح (الارهاب الدولي) نراها وهي تؤيد وتدعم الاقلية الاوتوقراطية من ملاك الأرض، وتساند من يدور في فلك هذه الاقلية من العسكريين، ضد مصالح

الجماهير... والولايات المتحدة الامريكية حينما تؤيد تلك الأنظمة الاوتوقراطية، فانها تبرر ذلك زاعمة أن تلك الأنظمة ضرورية من أجل تحقيق التحديث، وان ذلك سوف يوقف انتشار الشيوعية الدولية (أو الارهاب الدولي). وتزعم الولايات المتحدة أيضاً أن القمع الاوتوقراطي هو مؤقت، وأنه بعد فترة من التضحية والمعاناة، فان أحوال الناس سوف تتحسن بعد أن تتم عملية (التحديث). وقد أعلن السفير الامريكي السابق في السلفادور (روبرت وايت) بأنه أُقصي عن عمله في مجال الخدمة الخارجية لأنه اعترض على ما يمكن تسميته بالمبدأ المتبع الذي ينتهجه الرئيس ريغان وهو مبدأ التدخل العسكري في (السلفادور). وأضاف هذا السفير أن الخطر الأكبر الذي يحدق بهذا البلد انما يأتي من القوى اليمينية المتحالفة مع النظام العسكري المدعوم من قبل الولايات المتحدة الامريكية. وقد عارض السفير (وايت) المساعدات العسكرية المرسلة الى الحكومة السلفادورية، ولا سيما أن المعدات العسكرية التي كانت تزود الولايات المتحدة الطغمة الحاكمة في السلفادور بها كانت ستستخدم للقيام (بعمليات قتل واغتيال دون أن تخضع هذه العمليات لأية رقابة). أما الذين كانوا يقومون بعمليات القتل ضد المواطنين السلفادوريين فهم قوات الأمن الحكومية والتي يعتقد بأنها مسؤولة عن مقتل أربع راهبات أمريكيات، وعن ابادة ما لا يقل عن (٥٠٠٠) شخص من اليساريين أو ممن يشتبه بأنهم يساريون.

« ... وكانت بدايات الجهود التي بذلتها وكالة المخابرات المركزية الامريكية لتشويه الحقائق المتعلقة بالسلفادور، كانت تقتصر على تسريب معلومات واصدار تقارير مفادها أن اليساريين السلفادوريين يتلقون شحنات من السلاح من الاتحاد السوفييتي، وكوبا، وبلغاريا، وفيتنام، ومنظمة التحرير الفلسطينية، واثيوبيا، ونيكاراغوا.

« ... وزعم رجال وكالة المخابرات المركزية الامريكية أن هناك

مؤامرة دولية مشتركة ضد الولايات المتحدة، وأن المتآمرين حذرون جداً لدرجة أنهم لا يورّدون إلى السلفادوريين اليساريين الاّ الأسلحة المصنعة في الغرب... وتمت بعد ذلك الخطوة الثانية التي تهدف إلى خداع الرأي العام العالمي، وإرساء الارضية الاساسية لتنفيذ (المبدأ المتبع) للرئيس ريغان، وهو مبدأ التدخل العسكري. ففي ١٩ كانون الثاني ١٩٨١ نشرت الصحف الامريكية أنباء مفادها أن مجموعة مسلحة يتراوح عددها بين ١٠٠ ــ ١٠٠٠ رجل شنت هجوماً على السلفادور من أراضي نيكاراغوا. ورغم أن المعركة بين هؤلاء « الفدائيين » وبين قوات الأمن السلفادورية استمرت يوماً كاملاً، فإن القوات السلفادورية لم تتمكن من قتل أو أسر ولو « فدائي » واحد، كما أنها لم تتمكن من الاستيلاء على أية قطعة سلاح... ومرة ثانية اذيعت أنباء مفادها أن هجوماً بحرياً آخر وقع ضد السلفادور، دون وقوع أي قتيل، ودون تسجيل حادثة أسر واحدة، وزعم أن الهجوم الثاني كان يوم ٢٢ كانون الثاني. واعتبرت الولايات المتحدة أن الانباء المشار إليها أعلاه هي دلائل واثباتات كافية، حيث قامت يوم ٢٤ كانون الثاني باعتماد مبلغ (٦٥) مليون دولار كمساعدة لحكومة السلفادور. وبشكل أعجوبي وخارق، قدمت وكالة المخابرات المركزية الامريكية وثائق (كافية) تزعم فيها أن كوبا والاتحاد السوفييتي يورّدان السلاح إلى الثوار السلفادوريين. وقد شكّلت هذه الوثائق وهذه (البراهين) حوالي ٧٠٪ من الدلائل والاثباتات الملفقة التي تضمنها الكتاب الأبيض والتي أُريد منها أن تكون بمثابة وثائق تشهد على تزويد الاتحاد السوفييتي وكوبا السلفادوريين بالسلاح ».

والآن، سوف نلقي نظرة على ما يحدث حقيقة في (السلفادور) ولنتعرف على حقيقة من يقومون بعمليات الابادة الجماعية المنظمة ضد شعب (السلفادور).

على الرغم من محاولات ادارة ريغان لتحريف حقيقة التطورات المأساوية التي تدور حالياً في (السلفادور) وتشويه صورة المناضلين الوطنيين وايهام الرأي العام بأن النضال الوطني هو ارهاب تدعمه موسكو وليس نضالاً وطنياً ضد النظام الاستبدادي الموالي للامبريالية، على الرغم من ذلك، فانه ظهرت في أوساط الصحافة الامريكية عدة تقارير موضوعية تتحدث عن المواضيع في هذا البلد الواقع في قارة امريكا اللاتينية.

إن هناك حقيقة لا يمكن تجاوزها وهي أن (السلفادور) محكومة من قبل المنظمات الارهابية اليمينية المتطرفة، وليس من قبل الطغمة العسكرية. و (كتائب الموت) تعمل بتعاون وثيق مع الجيش، والحرس الوطني، ومع البوليس. وهذه الفئات جميعها تتحمل مسؤولية حوالي ٨٠٪ من عمليات الاغتيال السياسي التي وقعت في (السلفادور) وبخاصة ان عدد ضحايا هذه الأعمال يتجاوز الـ (١٧٠٠) قتيل.

وتعد (المنظمة الوطنية الديمقراطية ــ أوردن) واحدة من أكبر المنظمات الارهابية في (السلفادور). وأسسها عام ١٩٦٨ الجنرال (خوسيه ميردرانو) المعروف بصلاته الوثيقة مع وكالة المخابرات المركزية الامريكية، وهو أيضاً الرجل الذي كانت واشنطن تفضله وترغب به خلال انتخابات الرئاسة عام ١٩٧٢. وأعيدت تسميتها فيما بعد لتصبح (الجبهة الديمقراطية الوطنية). أما العمليات الوحشية التي نفذتها هذه المنظمة فهي كثيرة، ونذكر على سبيل المثال منها تلك المجزرة الوحشية التي قتلت خلالها (٣١) شخصاً من عائلة (موجيكا سانتوس). وكان من بين القتلى (١٥) طفلاً دون سن العاشرة من عمرهم، وذلك في قرية (موغوتيس) في المناطق « المحررة » يوم التاسع من تموز ١٩٨٠. وبالتعاون مع الحرس الوطني، قامت منظمة (أوردن) بذبح (٦٠٠) من الفلاحين بالقرب من نهر (سامبول)

على الحدود الهندوراسية. ويقول (ستيوارت كليبر) ان هناك منظمة ارهابية ثانية تعمل على نطاق واسع هي (اتحاد المقاتلين البيض) برئاسة (روبرتو دوبيسون) وهي « ذات طابع سياسي أكثر من بقية منظمات الموت الأخرى. لقد تلقى (دوبيسون) تدريباته في اكاديمية البوليس الدولي في واشنطن وخدم تحت امرة الجنرال (روميرو) بمنصب الرجل الثاني في جهاز الإستخبارات السلفادورية حيث أشرف على عمليات التعذيب. ويقال عنه انه قام بنفسه بتقطيع أجساد العشرات من المواطينن السلفادوريين بالسكين... وقد أعلن هو نفسه عن العلاقات القوية التي تربطه بوكالة المخابرات المركزية الامريكية، وانه اجتمع مع مدير وكالة استخبارات وزارة الدفاع الليفتنانت جنرال (دانييل غراهام) في ايار الماضي...

« كذلك هناك منظمة أخرى تدعى الكتائب (فالانج). وهي أيضاً منظمة ارهابية تضم بين صفوفها عدداً من رجال قوات الأمن الذين تقاعدوا من العمل وأيضاً ممن لا يزالون داخل صفوف الخدمة. ومن بين المهمات الموكلة إلى هذه المنظمة، مهمة اغتيال وإبادة الجنود الذين يشتبه بأنهم متعاطفون مع المنظمات والحركات الشعبية ... لقد ساد اتجاهان مختلفان في إدارة ريغان حول الكيفية التي يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تتعامل بموجبها مع السلفادور. فهناك اتجاه يرى ضرورة العمل على تمويل قوات عسكرية من غواتيمالا، وهندوراس، وتشيلي وتجهيزها وارسالها الى السلفادور تحت ستار قوات حفظ الأمن والسلام هناك أما البنتاغون فإنه يرى أن يتم التدخل العسكري الأمريكي بشكل مباشر ...

« لقد أفادت مصادر القوى الوطنية السلفادورية أن هناك ما يزيد على (٨٠٠) جندي امريكي في السلفادور، وهم على أهبة الاستعداد دائماً، ويمكن أن يقوموا بتأدية دور رئيسي في الاستراتيجية التي وضعها الرئيس

ريغان. ومن أجل تنفيذ هذه الأعمال القذرة، كان هناك اتجاه لاستخدام اللاجئين الكوبيين المنفيين إلى الولايات المتحدة، وكذلك أعضاء الحرس الوطني النيكاراغوي .. وأعلن ريغان اختياره لعدد من الرجال الذين سيتسلمون مسؤولية تنفيذ الأعمال القذرة في السلفادور، حيث تم اختيار (توماس اندرس) ليكون مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الدول الأمريكية، و (توماس) هذا هو صاحب خبرة طويلة اكتسبها في (كمبوديا) حيث كان بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٤ نائباً لرئيس البعثة الأمريكية هناك. أما رئيس مجموعة المساعدات العسكرية في السلفادور فهو الكولونيل (ايلدون كومينغز) الذي كان المستشار العسكري الرئيسي للجنرال (فانغ باو) وهو الرجل الرئيسي الذي تعتمد عليه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في عملياتها شبه العسكرية حتى اليوم ... كذلك، فإن ريغان أعلن أن سفيره إلى السلفادور سوف يكون (دين هينتون). و (هينتون) هذا خدم في (سانتياغو — تشيلي) من ١٩٦٩ — ١٩٧١، وهي الفترة التي شهدت ضراوة نشاط الحملة الدعائية البشعة التي شنتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ضد حكومة الليندي »[٧].

ويورد (كليبر) في مقالته المشار إليها دلائل تثبت أن عملية الاصلاح الزراعي التي تم تطبيقها في السلفادور بناء على تعليمات من الولايات المتحدة، هي عملية لها ارتباطاتها بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية لأن (المعهد الأمريكي لتنمية وتطوير النقابات الحرة) هو الذي أشرف على هذه العملية، وكان (مهندس) عملية الاصلاح البروفسور (روي بروسترمان) من كلية الحقوق في جامعة واشنطن، والذي عمل

(٧) كوفيرت اكشن انفورميشن بولليتن. عدد ١٢، نيسان ١٩٨١، ص ٥ — ١٤.

سابقاً على وضع خطة الاصلاح الزراعي في فيتنام الجنوبية. وما يجدر ذكره هنا، هو أن (المعهد الأمريكي لتنمية وتطوير النقابات الحرة) هو واحد من بين كثير من المؤسسات التي ترتبط مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وتلعب معها في الفريق نفسه ضمن ما يسمى بـ (اتحاد النقابات). وكان برنامج الاصلاح الزراعي الذي طبق في فيتنام الجنوبية جزءاً من برنامج (فينكس) الذي تم خلال تطبيقه قتل عشرات الآلاف من الفيتناميين الجنوبيين والذين كان يشتبه بتعاطفهم مع قوات التحرير الفيتنامية.

ويتابع (ستيوارت كليبر) حديثه فيقول : « إن كتائب الموت السلفادورية تستخدم وسائل غاية في الوحشية خلال عمليات ارهاب السكان، كأن تلجأ هذه الكتائب إلى تقطيع الضحايا إلى أجزاء عديدة مستخدمة السكاكين، كما تقوم بإراقة حامض الأسيد على وجوه المواطنين السلفادوريين ... لقد قتل خلال الشهور الثلاثة الأخيرة عدد كبير من الفلاحين وبخاصة في المناطق التي تم فيها تطبيق برنامج الاصلاح الزراعي. وفي حين أن (٨٠٠) شخص فقط استفادوا من برنامج الاصلاح الزراعي المشار إليه آنفاً، فإن حوالي (١٫٩٩٩٫٢٠٠) فلاح لم يحصلوا على أية قطعة أرض »[٨].

هذه هي حقيقة ما يحدث في السلفادور حيث نصبت الرجعية المحلية هناك وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في ١٥ تشرين الأول ١٩٧٩ طغمة حاكمة تتألف من عدد من المدنيين والعسكريين بهدف إبادة القوى التقدمية. أما الدور الحقيقي الذي لعبته الولايات المتحدة في ذلك البلد، فإنه يمكن وصفه بأنه إرهاب دولي صارخ.

(٨) المصدر السابق، ص ٧ ــ ٨.

وفي حديث نشرته مجلة (ليتراترنايا غازيتا) في عددها الصادر في ٢٦ آذار ١٩٨٠، قال كل من (فاكوندو غارسيا) و (البرت روموس) و (ماريو أغونيادا) وهم المتحدثون باسم (لجنة التنسيق الثوري السلفادورية) « إن الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد دوماً الأنظمة الأكثر رجعية في أمريكا الوسطى، وهذا ما ينطبق على بلادنا ... فحتى اليوم، تقوم الولايات المتحدة بتقديم الدعم والتأييد الواسع للرجعيين، كما أنها تعمل على التدخل في شؤون بلادنا الداخلية. إن أعمال القمع والاضطهاد التي تقوم بها الأجهزة المتخصصة إنما تتم بإشراف وتوجيه مباشر من قبل السفارة الأمريكية. ويقوم الأمريكيون بتسليح وتدريب الجيش ورجال البوليس ورجال المنظمات اليمينية المتطرفة، ولا سيما أن الولايات المتحدة تقوم بتزويدهم بكل شيء، بدءاً من الستر الواقية من الرصاص وانتهاء بالسيارات المصفحة المضادة للرصاص ... وقد تضاعف عدد الضباط السلفادوريين الذين فروا إلى الولايات المتحدة، وكذلك بالتخطيط لاستخدام القوات الهندوراسية والغواتيمالية لقمع الحركة الثورية ».

وظهرت في الصحف العالمية مؤخراً تقارير تفيد بوجود تطورات هامة في حركة النضال الشعبي في السلفادور ضد الحكم الاستبدادي هناك، حيث أصبح من الواضح تماماً هذه الأيام أن حكم الأقلية العسكرية قد وصل إلى حافة الافلاس وبخاصة أنه أصبح يلجأ إلى عمليات الإبادة الوحشية للجماهير في سبيل البقاء. وكتب (بيير بلانشيت) في مجلة (لونوفيل اوبزرفاتور ــ العدد الصادر في ١٨ تموز ١٩٨١، ص ٤٢) : « منذ وقوع الأعمال الوحشية في كمبوديا، فإن أحداً من الصحافيين ومن رجال الهيئات الطبية المتطوعين الموجودين هنا، والذين عملوا سابقاً في كمبوديا، لم ير مثل هذه الأعمال الوحشية والمرعبة التي تدور على أرض السلفادور الآن ».

وفي ٢٨ آذار ١٩٨٢ أجريت في السلفادور « انتخابات » في ظل البنادق والرشاشات، توخّى رعاتها الأمريكيون أن تكون بمثابة واجهة جديدة للطغمة العسكرية الحاكمة، بحيث يبدو هؤلاء الحكام وكأنهم أكثر وقاراً واحتراماً مما يعمل على تهدئة شجب وادانة القوى المحلية في السلفادور والرأي العام العالمي للتأييد السياسي والعسكري الواسع الذي تقدمه إدارة ريغان للنظام الدموي في السلفادور. لكن ما كانت تخطط له واشنطن فشل وأخفق، إذ أنه نتيجة النزاعات الداخلية في سبيل الوصول إلى سدة الحكم، قام اليمينيون المتطرفون بتشكيل ائتلاف فيما بينهم بزعامة « الليبرالي » رئيس الحكومة العسكرية السابق (خوسيه نابوليون) لاستلام السلطة. ونود أن نلفت الانتباه هنا إلى أن هذا « الليبرالي » مسؤول عن مصرع نحو (٤٠٫٠٠٠) سلفادوري خلال العامين ونصف العام اللذين قضاهما في الحكم. كذلك فإن الجناح الرجعي الذي كان يقوده علانية الفاشي الميجر (دوبيو سون) دعا إلى المزيد من الأرهاب والوحشية وحمامات الدماء.

وعلى جناح السرعة، وبعد الانتخابات وصل الجنرال المتقاعد (فرنون وولترز) المبعوث الخاص للبيت الأبيض، والمعروف بصلاته الحميمة مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وصل إلى (سان سلفادور). وأشارت الصحف إلى أن مهمته في (سان سلفادور) تقضي بممارسة الضغط على الفئات المتناحرة للوصل إلى السلطة من أجل انهاء خلافاتهم، ووضع حد لنزاعاتهم الداخلية.

في غضون ذلك، تابع رجال (القبعات الخضراء) الذين اكتسبوا خبرة طويلة خلال عملهم في فيتنام، تابع هؤلاء تدريب رجال قوات الأمن السلفادورية في قاعدتين إعسكريتين امريكيتين هما (فورت براغ) و (فورت بيتّنغ). وتواصلت شحنات الأسلحة ومعدات القتال إلى السلفادور، في حين كانت واشنطن تقوم بوضع الخطط التفصيلية لشن

عدوان مسلح ضد كل من (كوبا) و (نيكاراغوا) والتدخل في قارة امريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي.

وصادق مجلس الأمن القومي الأمريكي على هذه الخطط التي كان يتطلب تنفيذها اتخاذ عدد من الاجراءات السياسية والاقتصادية والدعائية ــ الاعلامية. وبناء على هذه الاستراتيجية الأمريكية الجديدة، فإنه كان يجب تقديم مساعدات عسكرية إضافة إلى السلفادور، ويتم تمويلها من ميزانية خاصة موضوعة تحت تصرف الرئيس الأمريكي. وحاولت الولايات المتحدة الأمريكية حث دول أخرى في أمريكا اللاتينية من أجل إرسال قوات للقتال ضد المتمردين في السلفادور. وقد أشارت صحيفة (الديلي تلغراف في عددها الصادر يوم ١٦ شباط ١٩٨٢، ص ٥) إلى أن هناك مبالغ مالية رصدت من أجل تشجيع بعض دول امريكا اللاتينية الأخرى من أجل العمل على قطع طرق الامداد والتموين بين كوبا ونيكاراغوا.

وما يجب الالتفات إليه في هذا المجال، هو أن البيت الأبيض الأمريكي وافق على خطة تستهدف تنشيط عمل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في قارة أمريكا الوسطى بشكل لا مثيل له من قبل. فقد عمل طاقم محطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في المنطقة على استمرار وتصعيد عمليات التخريب السياسية وشبه العسكرية. وتقول صحيفة (واشنطن بوست في عددها يوم ١٥ شباط ١٩٨٢، ص ١٤ /أ) ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قد خصصت مبلغاً سرياً يقدر بنحو ١٩ مليون دولار من أجل تنفيذ خطة ترمي إلى إقامة جبهة سياسية واسعة تعارض حكم الساندينيين في نيكاراغوا.

ولقد أثبتت كل الوقائع أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول أن تحقق في السلفادور كل ما كانت قد أخفقت في تحقيقه في نيكاراغوا حيث أطاحت القوى الديمقراطية التقدمية بديكتاتورية (سوموزا)

الموالية للامريكيين. وفي محاولة منها للحيلولة دون وقوع تغييرات مماثلة في دول امريكا اللاتينية الأخرى، لجأت إدارة البيت الأبيض إلى أعمال الارهاب الدولي التي تتضمن القيام بأعمال التخريب السرية بواسطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وإرسال الأسلحة والذخائر إلى الرجعيين المحليين الارهابيين وتقديم المساعدات إلى الأنظمة الاوتوقراطية والقمعية من أجل تقوية أجهزة القمع في بلدان تلك الأنظمة. وتقديم هذه المساعدات يتم وفق قاعدة مشروعة : ففي عام ١٩٥٥، وافق الرئيس الأمريكي (ايزنهاور) على إقامة ما يمكن تسميته بـ (مجموعات الأمن الاجتماعي) في أربع دول. وازداد عددها حتى أصبح ٣٤ مجموعة، ويصل عددها اليوم إلى ما يزيد عن (٤٠٠) مجموعة من « خبراء الأمن الاجتماعي » وتعمل في ٤٥ دولة.

في عام ١٩٦٤ أعدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لتنفيذ انقلاب يرمي إلى الاطاحة بحكومة (جواو غولارت) الديمقراطية في البرازيل، معتمدة على عدد من المنظمات البرازيلية والحركات المتخصصة في شؤون الإثارة والاستفزاز والارهاب الموجهة ضد القوى الديمقراطية.

أما الفضيحة المتعلقة بدور وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في انقلاب عام ١٩٦٤ العسكري، فقد اكتشفت عام ١٩٧٦ حينما نشرت الصحف البرازيلية العديد من الوثائق السرية المتعلقة بهذا الموضوع. والحقيقة الواضحة اليوم حول وقاحة التدخل الأمريكي في شؤون البرازيل الداخلية تتجلى في ذلك التعاون العميق بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبين المنظمات الارهابية اليمينية مثل (الحركة المناهضة للشيوعية) و (كتيبة الموت) و(سي سي سي C C C) ومع البوليس السياسي وغير ذلك من الحركات والتنظيمات والأجهزة.

« علاقات الصداقة » المشابهة للعلاقات المشار إليها أعلاه لا تزال

قائمة حتى الآن بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وبين الأنظمة الديكتاتورية في بعض دول امريكا اللاتينية الأخرى مثل : الاوروغواي، والباراغواي وهايتي. والتخوف من الحركات الديمقراطية، والمعارضة للامبريالية، ومن حركات التحرر عموماً، هذا التخوف حث الولايات المتحدة الأمريكية على تصعيد حربها السرية ضد قارة امريكا اللاتينية، وإقامة ودعم وتأييد الديكتاتوريات الارهابية علانية، تلك الديكتاتوريات التي هي الحليف الوحيد للامبريالية الأمريكية في النصف الغربي من الكرة الأرضية.

وأفادت آخر التقارير الواردة من قارة امريكا اللاتينية عن ازدياد عدد « الحوادث » التي وقعت لعدد من الزعماء السياسيين، ورؤساء الحكومات، وحتى للجنرالات العسكريين الكبار، الذين هم في نظر واشنطن غير مرغوب بهم. إن الحادث هو حادث يمكن أن يقع على أي إنسان، وهناك العديد من رؤساء الدول، ورؤساء الحكومات، والجنرالات، والأدميرالات، لقوا مصرعهم سابقاً في حوادث جوية، وبحرية وبرية : في السيارات أو في القطارات وغير ذلك كثير. لكن الظروف المحيطة بوفاة رئيس الحرس الوطني في بناما (عمر توريجوس) ورئيس جمهورية الاكوادور (هايمه رولدوس) وقائد القوات البرية في بيرو (الجنرال رافاييل هويوس ربيو) تقود جميعها إلى الاعتقاد بأن هذه الحوادث ليست مجرد حوادث طبيعية. فكل الضحايا الذين قتلوا في هذه الحوادث هم من الديمقراطيين الوطنيين المعروفين في أمريكا اللاتينية الذين عارضوا وبشدة سياسات النهب والاستغلال التي تتعرض لها الموارد الطبيعية في بلادهم على يد الاحتكارات الأمريكية، وسعوا في سبيل انتهاج سياسة خارجية مستقلة عن الولايات المتحدة الأمريكية وتوصلت اللجان المسؤولة التي شكلت للتحقيق في الحوادث الثلاثة المشار إليها قبل قليل، إلى أن الظروف التي أحاطت بتلك

الحوادث ووقعت خلالها حالات الوفاة لا يمكن تفسيرها بشكل دقيق. ويوماً فيوم، تتسع في قارة امريكا اللاتينية موجة التفسيرات التي ترى ان هذه الحوادث الثلاثة لم تكن قد وقعت مصادفة، بل نتيجة أعمال ارهابية.

ومما يلفت النظر أن وزراة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية سارعت في أعقاب موت (توريجوس) إلى الاعلان بأن الولايات المتحدة ليست لها أية علاقة بالحادث. وهذه السرعة التي أعلنت بها عدم مسؤوليتها عن الحادث تثير العديد من الشبهات التي تنبع أساساً من محاولات عديدة سابقة قامت بها الأوساط الأمريكية الحكومية بهدف التخلص من الجنرال غير المرغوب به، والذي قاد حملة عنيفة ضد الولايات المتحدة للمطالبة بإعادة قناة بناما، والمنطقة المحيطة بالقناة إلى شعب بناما، وهو مطلب مشروع تماماً.

وحسب رواية صحيفة (لابرنسا) التي تصدر في نيكاراغوا، فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أعطت تعليمات عام ١٩٧٣ إلى أحد قادة عملية خليج الخنازير الفاشلة من أجل العمل على تشكيل مجموعة خاصة لاغتيال الجنرال (توريجوس). وقد تلقى المجرمون التعليمات من (لانغلي ــ مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) بواسطة (هيوارد اي. هنت) الذي له علاقة مباشرة بفضيحة (ووترغيت).

كذلك، فإن هناك عدة تقارير في الصحف الأمريكية تشير إلى أن الخطة التي أعدت لاغتيال الجنرال (توريجوس) قد اكتشفت خلال التحقيق الذي أجري بخصوص قضية (ووترغيت).

ان التأييد الذي أعلنه (توريجوس) قبل وفاته للنضال العادل الذي تخوضه شعوب أمريكا اللاتينية وعلى رأسها شعوب نيكاراغوا

والسلفادور، هذا التأييد لم يرق لزعماء الولايات المتحدة الأمريكية. ويشير عدد من المسؤولين الأمريكيين المطلعين إلى أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية متورطة تماماً في عملية اغتيال الجنرال. وعلى سبيل المثال، فإن وزير العدل السابق (رامسي كلارك) قال أمام مجموعة من المحامين المكسيكيين في (مكسيكو سيتي) ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقف وراء حادث تحطم الطائرة البانامية التي كان يستقلها (توريجوس).

أيضاً، فإن حادث تحطم طائرة رئيس الاكوادور (هايمه رولدوس) لا يزال غامضاً. فخلال التحقيق قدمت وزراة الدفاع في الاكوادور وثيقة خاصة تبين الموقف السلبي المتطرف الذي تتخذه الأوساط الأمريكية الحاكمة وكذلك الاحتكارات النفطية تجاه الرئيس (رولدوس). فلقد كان البيت الأبيض يشعر بغيظ شديد تجاه رئيس الاكوادور نظراً لسعي هذا الأخير ونضاله في سبيل الحفاظ على (شركة النفط الحكومية الاكوادورية) وتقويتها. أيضاً فإن الإدارة الأمريكية لم تكن أبداً مسرورة من جعل (كيتو) المقر الرئيسي (لجمعية حقوق الإنسان الأمريكية اللاتينية) ومن تأييد (رولدوس) للنضال التحرري الوطني في نيكاراغوا والسلفادور، ومن موقفه الجريء خلال الزيارة الأخيرة التي قام بها إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وأشارت وثيقة وزارة الدفاع المشار إليها بوضوح تام إلى أن الغزو الذي شنته بعض العناصر ضد سفارة الاكوادور في كوبا هو عمل تمَّ تنظيمه من قبل الاستخبارات العسكرية، يضاف إلى ذلك تشجيع الولايات المتحدة الأمريكية وتأجيجها للنزاع الحدودي بين الاكوادور وبيرو حول المناطق النفطية، وهذا بمجمله يعطي صورة واضحة عن الضغوط التي كانت واشنطن تحاول ممارستها على الرئيس (رولدوس).

وتفيد شهادة أحد الكهنة في منطقة (زابوتيلو) التي تحطمت فيها طائرة الرئيس الاكوادوري، بأن الطائرة قد تحطمت بفعل انفجار قوي. وهذه الافادة التي نشرت في صحيفة (الأُنيفرسو) الاكوادورية، تشير إلى أن الطائرة انفجرت وهي في الجو قبل أن ترتطم بالجبل الموجود في تلك المنطقة. وبعد فترة قصيرة فُقِدَ شاهدان آخران كانا قد شاهدا حادث الطائرة.

هناك أيضاً دلائل أخرى غير مباشرة تشير إلى أن حادث تحطم الطائرة هو عمل تخريبي ارهابي تمَّ التخطيط له مسبقاً. فعشية وقوع الحادث أشار السفير التشيلي في الاكوادور خلال حفل استقبال كان قد أقيم في الاكوادور، إلى أن « شيئاً غير عادي سوف يحدث قريباً ». وتحققت النبوءة في اليوم التالي.

إن الاحتكارات النفطية الأمريكية جميعها كانت غير راضية عن القائد العام للقوات الأرضية في (بيرو) وهو الجنرال (رافاييل هويوس ريبو). فقد كان واحداً من أولئك الضباط الوطنيين في الجيش الذين تسلموا السلطة في شهر تشرين الأول ١٩٦٨، وعملوا مباشرة على تأميم فرع (شركة النفط الوطنية الأمريكية) في بيرو، وتحويلها إلى (شركة النفط الوطنية في بيرو)، وبذلوا الكثير من الجهود من أجل تنظيم عملية التنقيب عن النفط على طول امتداد نهر الأمازون، وتأمين استخراج النفط واستغلاله بشكل معقول على ضوء مصالح التطور الاقتصادي ـــ الاجتماعي في (بيرو).

لقد توصلت لجنة التحقيق الحكومية التي شكلت للكشف عن أسباب وملابسات الحادث الذي أدى إلى مقتل الجنرال (ربيو) إلى نتيجة مفادها أن الطيار الذي كان يقود طائرة الهيلوكوبتر التي كان يستقلها الجنرال لم تكن لديه أية خبرة بمثل هذا النوع من الطائرات، إضافة إلى

أن الطائرة كانت قد زودت بكمية من الوقود تزيد عن الحد المقرر لها، وهذا مخالف لقواعد السلامة العامة. ولذلك، فإن هذا « الاهمال » ليس مجرد صدفة.

إن الكثير من ملابسات هذه الحوادث الثلاثة لا تزال غامضة، لكن الرأي العام التقدمي في أمريكا اللاتينية لديه الكثير من الأسباب المعقولة والمنطقية للاعتقاد بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يمكن أن يكون لها الدور الأكبر في كل هذه المآسي، ولا سيما أن شعوب امريكا اللاتينية أصبحت تتمتع بخبرة تامة في التعرف على أسلوب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الدموي.

تصنيع المؤامرات بالجملة

ايغور تيموفييف

« إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تتدخل عادة بشكل مباشر في القضايا والأمور الداخلية للدول الأخرى، ولا تستخدم أسلوب التهديد أو الضغوط ... إن الولايات المتحدة يمكنها أن تستخدم أساليب سرية في بعض الحالات الخاصة وهي ــ امريكا ــ بعكس الاتحاد السوفييتي لا تستخدم مثل هذه التدخلات السرية ولا تستغلها على أساس أنها جزء من مسلكها الاعتيادي لعلاقاتها الخارجية »[1].

هذا ما قاله روبرت كوبال الخبير الأمريكي المعروف في شؤون التخطيط السياسي والعسكري. إلا أن أي شخص مهما كانت معرفته بالتاريخ هامشية، فإنه يعرف أن هذه الأقوال منافية للمنطق وللمعقول. وحتى الآن، فإن مثل هذه التصريحات والبيانات لا زالت تظهر بشكل متزايد في الصحافة الأمريكية. وأصبح ما يسمى « بمقاومة الارهاب الدولي » حجر الزاوية في سياسة الولايات المتحدة الخارجية، حيث لا زالت واشنطن تدأب على عمل كل ما يمكن عمله، من أجل تحويل أنظار الناس، وجعلهم ينسون مؤامرات المخابرات المركزية الأمريكية، واضفاء نوع من الضوء اللطيف والمحبب على التاريخ الحديث للبيت الأبيض، ومغامرات ساكنيه.

---

(١) النزاع والتعاون في الخليج « الفارسي ». محمد مغيث الدين ــ بريغز. لندن ــ نيويورك. ١٩٧٧، ص ١٧١.

لكن السياسة عادة تشبه موضة الأزياء. فالأشياء الجديدة تمحو من الذاكرة الأشياء القديمة. ومع ذلك، فإن نظرة عجلى يلقيها الإنسان على الماضي، تمكنه من التعرف تماماً على ما يدور هذه الأيام.

والآن، دعنا نستقرئ الحقائق والواقع، ونتذكر الوقت الذي خطت فيه المخابرات المركزية الأمريكية أولى خطواتها في طريق (الدبلوماسية السرية) في الشرق الأوسط.

مباشرة بعد انشائها عام ١٩٤٧، ركزت المخابرات المركزية الأمريكية اهتمامها على الشرق الأوسط، تلك المنطقة الغنية بالنفط، وذات الأهمية البالغة في المجال الاستراتيجي. وكان البيت الأبيض في نهاية سنوات الأربعين يتوق إلى الحصول على موطئ قدم آمن له في العراق، ذلك القطر الذي بدأت الاحتكارات النفطية الأمريكية تتهالك عليه بعد الحرب العالمية الثانية وكان (هيوارد بيج) الذي أوجد سياسة (دبلوماسية النفط) زائراً متردداً على بغداد، وكان المصدر الرئيسي لمعلومات الإدارة الأمريكية عن الأوضاع المحلية في دول الخليج العربي. أما مركز المخابرات الأمريكية في العراق، فقد كان جزءاً من بعثة الولايات المتحدة الدبلوماسية، وبه طاقم عمل صغير. وبدأ هذا المركز عمله في العراق بتجنيد العملاء المحليين، ودسّ اتباعه في المجالات الثقافية والاقتصادية. يقول ضابط المخابرات الأمريكية (ولبر كرين ايفلاند) : « إن ذلك المركز الخاص بالمخابرات المركزية الأمريكية في العراق، كان غير كاف وغير ملائم للعمل تحت غطاء دبلوماسي ... وكان السكرتيران الاثنان اللذان يعملان فيه يقومان بتأمين الاتصالات والاجتماعات السرية في البيوت مع العملاء »[٢]. ولكن ذلك

---

(٢) حبال من رمل : اخفاق امريكا في الشرق الأوسط. ولبر ايفلاند. نورتون. لندن. ١٩٨٠، ص ٤٦.

كان البداية فقط. ففي كتابه (حبال من رمل : قصة اخفاق أمريكا في الشرق الأوسط) يعرض (ايفلاند) صورة واسعة وواضحة عن نشاطات المخابرات المركزية الأمريكية التي نفذها عملاؤها الذين كانوا من الدبلوماسيين، وأساتذة الجامعات، وعلماء الآثار، والذين استخدموا أيضاً غطاء (جمعية أصدقاء أمريكا في الشرق الأوسط)(٣) على أساس أنها منظمة مدنية. وكانت المخابرات المركزية نشطة في عملية افساد الأوضاع ضد الحكومة العراقية. وقد احتفظ (ديك كيرين) رئيس مركز المخابرات الأمريكية في العراق، بملفات عن ضباط الجيش العراقي بهدف تجنيدهم فيما بعد، حيث يتم الحاقهم بحركات المعارضة وسط الطلاب والمثقفين.

ومع تطور المخابرات المركزية الأمريكية من وكالة مخابرات حكومية إلى أداة ارهاب دولي فعالة، كان محور (دبلوماسية القوة) الأمريكي يتطلع باهتمام إلى (رجل قوي) وقائد لا يستطيع فقط توسيع وتطوير المرتكزات لايجاد حالة من التخريب ذات امتداد عريض تقود إلى قلب الوضع بسرعة وبشكل شرعي، بل أيضاً إلى رجل يمكن أن يكون له تأثيره ونفوذه في أوساط السلطة من أجل جعل عمليات التخريب روتيناً يقوم به أي شخص.

وقد تم اشباع هذه الحاجة عن طريق (آلن دالاس) الجاسوس الخارق، و « ملك الدبلوماسية السرية ». وكان في عامي ١٩٥١ —

---

(٣) جمعية اصدقاء امريكا في الشرق الأوسط : هي جمعية امريكية تم تأسيسها عام ١٩٥١، وافتتحت لها فروعاً في تونس ومصر وسورية والمغرب وليبيا والأردن. أما أعضاؤها النشطاء فكانوا يقومون بالأعمال التخريبية وبالتجسس تحت شعار تعزيز العلاقات الثقافية بين الولايات المتحدة والدول العربية. أما (كيرميت روزفلت) عميل المخابرات الأمريكية فقد كان رئيس الجمعية.

١٩٥٣، مساعد مدير المخابرات المركزية، ثم رئيساً لها. وكانت ترقيته إلى منصب مدير وكالة المخابرات المركزية مرتبطة بتعيين شقيقه (جون فوستر دالاس) كنائب للرئيس الأمريكي عام ١٩٥٣. وبذلك أصبحت الإدارة الأمريكية والمخابرات المركزية الأمريكية (عائلة عمل) واحدة، (فالأخوان دالاس) المتحمّسان والمدافعان عن العنف والارهاب، لم يضيّعا أي وقت في وضع خطط الجرائم الجماعية موضع التنفيذ، والتي تعني عمليات التخريب، والتدمير، وقلب أنظمة الحكم، والاغتيالات السياسية.

أما مرض معاداة الشيوعية، فقد كان أيضاً خصلة أخرى جمعت بين الأخوين، وعليه فإن هذا المرض هو الذي حدد سياستهما الخارجية. ولذلك منذ البداية احتلت منطقة الشرق الأوسط مكانة هامة في البرامج الجيوغرافية ـــ السياسية للأخوين (دالاس). فقام (جون فوستر دالاس) في أيّار عام ١٩٥٣ بزيارة إلى منطقة الشرق الأوسط، وإلى جنوب آسيا. وكان هدف الزيارة ـــ على الصعيد الرسمي ـــ بحث المساعدات الأمريكية. أما على صعيد الواقع فإن الهدف كان معرفة آراء ومشاعر أقطار هاتين المنطقتين بهدف رسم سياسة استراتيجية امريكية ذات مدى طويل. وتوقع (جون فوستر دالاس) لهذه الاستراتيجية أن تقوم على قاعدة محور عسكري عدواني يقف في وجه الاتحاد السوفييتي، ويقول (ولبر ايفلاند) : « إن هدفه الرئيسي الآخر كان حض سكان تلك المناطق الشمالية في دول الشرق الأوسط على الدفاع عن أنفسهم ضد الشيوعية »[٤]. ومع عرضه للمساعدة الأمريكية على تركيا وايران وباكستان، لمّح دالاس إلى أن الهدف هو تقوية الدفاع المشترك من أجل الوقوف في وجه القوى التي تهدد « العالم الحر ».

---

(٤) حبال من رمل. ولبر ايفلاند. ص ٦٥.

وسرعان ما انضم (آلن دالاس) إلى جهود شقيقه في متابعة برنامجه : و (آلن) هذا له جذوره القديمة في الشرق الأوسط وعمل في سفارة الولايات المتحدة في برلين والقسطنطينية بعد الحرب العالمية الأولى، ثم رئيساً لقسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية. وحينما عين مديراً للمخابرات المركزية الأمريكية أعاد احياء علاقاته القديمة التي ستكون مفيدة الآن، باعتبار أن منطقة الشرق الأوسط هي ضمن الاهتمامات الرئيسية للمخابرات المركزية الأمريكية.

أما (كيرمت — كيم — روزفلت) يد (دالاس) اليمنى المسؤولة عن العديد من الجرائم التي ارتكبتها المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط، فقد اختير ليكون لورانس العرب الحديث. وجدُّ (كيرمت روزفلت) هو (ثيودور روزفلت) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من ١٩٠١ — ١٩٠٩، وصاحب سياسة (العصاب الغليظة) التي أعلنها عام ١٩٠٣. وكمستشرق في البلاد العربية، كان لدى (كيم روزفلت) ميل شديد لاستخدام غطاء البعثات الثقافية المتنوعة. وبسرعة أخذ على عاتقه كل شؤون المخابرات المركزية الأمريكية المتعلقة بالشرق الأوسط، وأصبح له دوره في تخطيط وتنفيذ عمليات التخريب. لقد شارك (كيم) في عمليات كثيرة كهذه، لكن أقذر عملية كانت تلك التي جعلت سيرة حياته براقة، والمقصود بها العملية (أجاكس) التي هدفت إلى الاطاحة بالحكومة الشرعية في ايران.

في بداية الخمسينات، كان الوضع في ايران بالغ التوتر، إذ احتلت الجبهة الوطنية بزعامة الدكتور محمد مصدق — بورجوازي وطني ليبرالي — مكانة الصدارة في الحياة السياسية. واستطاعت هذه الجبهة أن تضم بين صفوفها البورجوازية الوطنية، وطبقة ملاك الأرض التي كانت تعارض النفوذ البريطاني في ايران. وفي محاولة منه — في آذار ١٩٥٣ — لتحرير ايران من سيطرة الاحتكارات البريطانية، استطاع

مصدق أن يحصل على موافقة المجلس التشريعي الايراني بتأميم الشركة الايرانية ــ البريطانية للنفط. وقد نظرت واشنطن لسياسة رئيس الوزراء الايراني ــ التي كانت ضربة لمواقع الاستعمار البريطاني ــ بمثابة تهديد للنفوذ الأمريكي المتنامي في ايران. ومن أجل الحيلولة دون تكرار ذلك، حصلت المخابرات المركزية الأمريكية على مساعدة الرجعية الايرانية لتعد بالتنسيق مع المخابرات البريطانية عملية لقلب نظام الحكم في ايران. إن المحاولة الأولى لقلب نظام الحكم فشلت، واضطر الشاه محمد رضا بهلوي لمغادرة البلاد لفترة من الوقت، حيث توجه إلى بغداد، ومنها إلى روما، حيث أقام هناك في أحد الفنادق، وفي الوقت ذاته لينتظر ــ كما قال ــ أن يقول الشعب كلمته وخياره.

وهذه الكلمة، وهذا الخيار، لم يقلهما الشعب، وإنما الاحتكارات النفطية البريطانية والأمريكية، ليس بعد قرار شهر آذار القاضي بتأميم شركة النفط، ولكن قبل ذلك حينما تأكد الأخطبوط النفطي أن مصدق لن يسير معه، ولن يوافق على مخططاته.

قبل فترة قصيرة من الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ١٩٥٢، وجهت دعوة إلى (كيم روزفلت) للحضور إلى بريطانيا حيث انضم إلى ضباط المخابرات البريطانية للبحث في تفاصيل عملية اقصاء (مصدق) عن الحكم. وبعد عدة أيام التقى (روزفلت) بـ (آلن دالاس) ــ كما هو معتاد في ملعب التنس وأخبره أن الاستعدادات أصبحت كاملة، لكن (دالاس) نصحه بالتريث حتى يتم تنصيب الرئيس ايزنهاور لأنه ــ دالاس ــ خطط من أجل رفع وتيرة الحرب السرية للمخابرات المركزية الأمريكية بسرعة في الشرق الأوسط، تحت ادارة جديدة. وقد أثبتت أقوال (دالاس) هذه صحتها فيما بعد. وفي ٣ شباط ١٩٥٣ وصل إلى واشنطن ممثلو المخابرات البريطانية لحضور اجتماع سري مع نظرائهم من المسؤولين الأمريكيين (جون فوستر دالاس)

وشقيقه (آلن دالاس ـــ مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) والمدير السابق للوكالة الجنرال (وولتر بيديل سميث). وتم في هذا الاجتماع وضع اللمسات الأخيرة والموافقة النهائية على تعيين (كيم روزفلت) مديراً لعملية (أجاكس) وقرروا ارساله إلى طهران فوراً لدراسة الوضع هناك.

بعد عدة أيام، وصل (كيم روزفلت) إلى طهران، وأجرى اتصالات مع اثنين من الايرانيين المعروفين لدى المخابرات الأمريكية، تم على اثرها تسفيرهما إلى الولايات المتحدة من أجل تدريبهما واعدادهما للعملية. في الوقت نفسه كان السفير الأمريكي في ايران (لوي هندرسون) يقوم بالحديث عن (الخطر السوفييتي) المزعوم، ويبرق إلى واشنطن بأن « المتعاطفين والمتحمسين للاتحاد السوفييتي وللشيوعية الدولية هم فقط المسرورون بما يحدث الآن في ايران »[٥].

إن تأميم شركة النفط الايرانية ـــ البريطانية، وتقارير السفير الأمريكي في ايران إلى واشنطن، جعلت النهاية المأساوية تبدو أكثر اقتراباً. يقول المؤرخ الأمريكي (باري روبين) : « على ضوء هذا الوضع، اضافة إلى التأييد الشخصي لكل من ايدن وتشرشل للعمليات السرية، اتخذت الحكومة الأمريكية قرارها ... »[٦].

أما إشارة الاذن ببدء العملية (عملية اجاكس) فقد اعطيت في اجتماع سري عقد في مكتب (جون فوستر دالاس) في ٢٢ حزيران ١٩٥٣. وحضر هذا الاجتماع كل من (آلن دالاس) و (كيم

---

(٥) مرصوفة بالنوايا الطيبة : التجربة الأمريكية وايران. روبين ب. نيويورك. اكسفورد. ١٩٨٠. ص ٨٠.

(٦) المصدر السابق ص ٨١.

روزفلت) والسفير (هندرسون) ووزير الدفاع الأمريكي (شارلـز ولسون) ومسؤولون آخرون من الادارة الأمريكية.

في منتصف تموز ــ بعد أن استكملت كل الاستعدادت النهائية لتنفيذ عملية الانقلاب ــ غادر (كيم روزفلت) واشنطن إلى طهران حيث كان بانتظاره خمسة من العملاء لوضع الخطة موضع التنفيذ. وكان (كيم روزفلت) قد حصل على مبلغ مليون دولار أمريكي بالعملة الايرانية من أجل الانفاق على العملية، حيث توجّب على (روزفلت) أن يدفع مبالغ ضخمة من الأموال للاطاحة بحكومة (مصدق). وللحقيقة، فإن قيمة ١٠٪ فقط من أصل المبلغ قد تم انفاقها. وبعد أن تسلّم عملاء (كيم روزفلت) الايرانيون مبلغ ١٠٠٫٠٠٠ دولار توجهوا إلى الأحياء الفقيرة في الضاحية الجنوبية من العاصمة طهران لتجنيد عملاء آخرين لهم ليقوموا بدور التحريض بين أوساط المجرمين والرعاع. وطبقاً لخطة (روزفلت) فإنه يجب على هؤلاء الرعاع النزول إلى الشوارع في الوقت المحدد لتحريض الجماهير، وخلق الاضطرابات على أساس الايهام بأن هناك « تأييداً شعبياً » لنظام الشاه.

واقتضت خطة عملية اجاكس على الشاه بأن يتوجه إلى مدينة نائية على سواحل (بحر قزوين) تاركاً وراءه أمرين موقعين لدى المتآمرين : الأول لطرد مصدق، والثاني لتعيين الجنرال (فضل الله زاهدي) رئيساً للوزراء. و (زاهدي) هذا الذي كانت له علاقات قوية مع الإستخبارات النازية خلال الحرب العالمية الثانية، أصبح فيما بعد حجر الزاوية لدى المخابرات المركزية الأمريكية في حربها السرية ضد القوى الوطنية الايرانية. وكان هناك أيضاً بعض الضباط الرجعيين في حرس الشاه متورطين في هذه المؤامرة.

وكانت التطورات اللاحقة تشبه الرواية المثيرة التي تقشعر منها

النفس. ففي منتصف ليلة الأول من آب خرج (كيم روزفلت) وسار من منزله السري باتجاه سيارة كانت بانتظاره، ثم نظر حوله، ودلف إلى السيارة ليسترخي على المقعد الخلفي، وقد غطى نفسه تماماً بغطاء. واخترقت السيارة الليموزين الثقيلة الشوارع المظلمة لتقف بعد ذلك أمام بوابة مقر اقامة الشاه. وبعد أن عرَّف السائق حرس القصر هويته، فتحت البوابة، وتوجهت السيارة بمن فيها إلى الداخل. وفي حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل أطل الشاه من أحد الأبواب، ثم دلف إلى السيارة، وجلس في المقعد الخلفي إلى جانب روزفلت، حيث صافح الاثنان بعضهما البعض، وكانت يد الشاه ترتجف.

وباختصار، شرح ضابط المخابرات المركزية للشاه مهمته في طهران، وأكد له أن خطة العملية القادمة قد حظيت بالموافقة التامة من الرئيس (ايزنهاور) ورئيس الوزراء البريطاني (تشرشل). ورد الشاه بموافقته على المشاركة في عملية الانقلاب، ثم ودّع (روزفلت) وانسلّ عائداً إلى داخل القصر.

أما بداية المحاولة التي جرت ليلة ١٦ آب ١٩٥٣، فقد فشلت، حيث أن الجنرال زاهدي كان مختبئاً في منزل أحد أقاربه، وقد عهد إلى الكولونيل (نعمة الله ناصري) من حرس الشاه لقيادة المؤامرة. لكن الذي حصل، هو أنه في اللحظة الأخيرة أفشى أحد الضباط خطة العملية، وتمكن رجال البوليس الموالين لمصدق من اعتقال الكولونيل (ناصري) الذي أصبح فيما بعد ــ في السبعينات ــ رئيساً لحرس الشاه السري (السافاك)، ثم انتهت حياته عام ١٩٧٩، حيث حكمت عليه الثورة الايرانية بالاعدام نظراً لجرائمه التي ارتكبها بحق المواطنين.

لكن الاخفاق الأول للمحاولة لم يثن (كيم روزفلت) عن عزيمته. وفي غضون ذلك كان الجنرال (زاهدي) يتبع تعليمات اصدقائه

الأمريكيين (ابنه اردشير زاهدي أصبح فيما بعد سفير الشاه في الولايات المتحدة، ورجل الارتباط بينه وبين المخابرات المركزية الأمريكية) وأخذ بسرعة يقيم علاقاته مع الضباط الكبار من خلال رابطة الضباط المتقاعدين التي كان رئيساً لها، وذلك بهدف الحصول على تأييد الجيش.

وفي حين كانت الجماهير في الشوارع ترفع الشعارات والهتافات ضد الشاه والولايات المتحدة، كان عملاء روزفلت في الضاحية الجنوبية لطهران يقومون بتوزيع الأموال هناك.

وتمكنت وحدات الجيش يوم ١٨ آب بمساعدة عملاء (روزفلت) من النزول إلى الشوارع وهي تهتف (عاش الشاه) و (الموت لمصدق). وفي صباح اليوم التالي تمكّن أولئك الرعاع المرتشون من قبل المخابرات المركزية الأمريكية من التجمع في الضاحية الجنوبية، وسيطروا على وسط المدينة.

وعم الخراب والدمار في الشوارع، وبدت للعيان أكوام الحجارة التي كانت تتساقط على النوافذ وتكسرها، وأطلق سراح المجرمين من السجون، الذين قاموا بمهاجمة مكاتب المنظمات التقدمية، ومكاتب تحرير الصحف. ومع اقتراب الظهر، كانت المخابرات المركزية الأمريكية قد استطاعت تجنيد عدد من الرعاع الذين سيطروا على مبنى وزارة الخارجية، وعلى مباني العديد من دوائر الدولة الأخرى. وأخذت عصابات المرتزقة المسلحة بالسكاكين والسلاسل بالتجول في طهران، محاولة إجبار الناس على رفع الشعارات الموالية للشاه. ومن يرفض ذلك فقد كان يضرب بشكل جنوني. وكانوا يوقفون السيارات، ويجبرون السائقين على رفع صور الشاه الملونة على شبابيك السيارات، هذه الصور التي كانت قد طبعت منها كميات هائلة بتمويل من (كيم

روزفلت) في وقت سابق. وحينما نفذت الصور، قد استعمل المرتزقة الأوراق النقدية التي تحمل صورة الشاه.

ولما أدرك (كيم روزفلت) أن اللحظة الحاسمة قد أتت، غادر المكان الذي كان يختبئ فيه واتجه إلى صومعة أحد الجوامع حيث كان (زاهدي) يختبئ ليقدم له التهاني بالانتصار باعتباره رئيس الحكومة الجديد. وفي الوقت ذاته، وصلت مجموعة من الضباط الموالين (لزاهدي) حيث حملوه على الاكتاف إلى دبابة كانت تنتظره في الخارج، وشق طريقه نحو مبنى رئاسة الأركان. في غضون ذلك، كانت دبابة أخرى يقودها خبير عسكري امريكي (كان هناك منهم في ايران حوالي ٣٠٠٠ عنصر عام ١٩٥٣) تشق طريقها نحو مقر اقامة رئيس الوزراء (مصدق) حيث فتحت نيرانها على المبنى. وقفز (مصدق) من النافذة لكنه اعتقل.

وأرسلت سفارة الولايات المتحدة الأمريكية برقيات الفرح والسرور إلى واشنطن. وفي مساء ذلك اليوم، وصل إلى السفارة الأمريكية (أردشير زاهدي) ابن رئيس الوزراء الجديد، وأفاد بأنه قدم إلى السفارة بناء على طلب والده من أجل الحصول على تعليمات. وكان أول سؤال طرحه هو ما الذي يجب فعله (بمصدق).

وكما هو متوقع، فإن مصير (مصدق) كان مأساوياً، حيث سجن ثم قتل فيما بعد. لكن يوم ١٩ آب ١٩٥٣، كان بداية أشد الأيام ظلاماً في تاريخ ايران. فقد شن الشاه أقسى انتقام وحشي ضد كل أولئك الذين أبدوا معارضة ضده. وقد وجهت أول وأعنف ضربة بالطبع إلى حزب (توده) اليساري. وكانت أداة نظام الشاه الأولى في عمليات الابادة الجسدية للمعارضة هي (السافاك).

لقد تم تأسيس السافاك عام ١٩٥٧ بمشاركة مباشرة من قبل

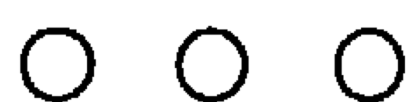
المخابرات المركزية الأمريكية والإستخبارات الصهيونية (الموساد) التي يثق الشاه بها على وجه الخصوص (فيما بعد اتخذت الإستخبارات الصهيونية طهران مركزها الرئيسي في الشرق الأوسط). وبناء على الحاح المخابرات المركزية الأمريكية أصدر الشاه أمراً بإنشاء السافاك رسمياً عام ١٩٥٨، أي قبل سنة من توقيع ما يسمى بمعاهدة الدفاع المشترك بين طهران والولايات المتحدة، تلك المعاهدة التي جعلت طهران أداة بيد سيدتها.

وبفضل كادر عدده ٣٠٫٠٠٠ شخصاً وعدد آخر كبير (حوالي ٣ ملايين مخبر) من المخبرين السريين، استطاعت السافاك ــ كما الاخطبوط ــ أن تمد وتنشر عملاءها بين كافة أوساط المجتمع الايراني. ووصل إلى ايران خبراء أمريكيون من المخابرات المركزية الأمريكية لتعليم ضباط السافاك على تقنيات الاستجواب التي كانت لدى النازيين. ويمكن القول أن السافاك كانت دولة ضمن دولة. وقد كان لرعاية الشاه لهذا الجهاز أنّه أصبح فوق كل الاعتبارات القانونية والأخلاقية، وأعفي من أية مسؤولية عن أية جريمة. وبذلك امتلك رجال السافاك حرية وسلطة اعتقال أي شخص لأية تهمة مهما كانت تافهة والبحث والتفتيش دون أي إذن. وأصبح شائعاً اختفاء الناس، ولم تكن هناك أية قيود على مدة الاعتقال أو على الاحكام التي كانت تصدرها المحاكم العسكرية خلف الأبواب المغلقة.

وهكذا أصبح يحق لرجال المخابرات المركزية الأمريكية الافتخار والاعتزاز بتلاميذهم، فقد أثبتت السافاك سرعة في تعلم فنون بتر الأعضاء من الجسم، وقلع الأظافر والأسنان، وتكسير وتقطيع الأصابع، وسكب الماء الحار على الوجوه، وقلع العيون. وكان « الأطباء السود » كما يلقب الجلادون أنفسهم، يقومون بتعذيب ضحاياهم في الطابق الثالث من سجن (كوميتيه). وعلى مدى ساعات النهار، كانت الصرخات تبتلعها

أصوات الشوارع. أما في الليل، فإن صراخ المساجين كان يسمع آتياً من خلف النوافذ المغلقة، وكان أي عابر سبيل يفضل الابتعاد عن ذلك المبنى.

واليوم فإن العديد من الوثائق السرية عن نظام الشاه قد أعلنت على الملأ، وأصبح معروفاً أن حوالي ٣٦٠ر٠٠٠ من السجناء السياسيين ــ من خيرة أفراد الشعب الايراني ــ قد تم قتلهم أو تعذيبهم حتى الموت على أيدي رجال السافاك. ولقد كانت المخابرات المركزية الأمريكية شريكاً في هذه الجرائم الوحشية.



لكن دعنا نرجع إلى الوراء ــ إلى منتصف الخمسينات ــ حينما اشتدت حدة الحروب السرية التي تشنها المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط. إن مقر الادارة الذي يتم فيه التخطيط للعمليات السرية يقع في بناء بني ابان الحرب العالمية الثانية في الشارع رقم ١٧ في واشنطن. وفي هذا المقر توجد الملفات التي هي غاية في السرية، وتحتوي على أسماء العملاء من كافة أنحاء العالم، حيث يتم هنا اختيار الأسماء المستعارة عبر استخدام دليل هاتف استرالي قديم، ويقوم شخص مغمض العينين باختيار الاسم بشكل عشوائي. وفي هذا المقر، أسس (ك. وينغ) المركز الرئيسي لادارة شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وافريقيا. وقد أدار هذا المركز (روجر غويران) وهو ضابط استخبارات محترف، فرنسي الأصل، وله سجل حافل بالعمليات التخريبية في ايران. ثم تلاه بعد ذلك (نورمان بول) وهو خريج كلية الحقوق في جامعة يال. أما (أرشيبالد روزفلت) وهو ابن عم (كيم روزفلت) فقد كان النائب الأول لرئيس هذه الدائرة. وهناك أيضاً من طاقم هذه الدائرة (تشارلز كريمينز) وهو استاذ محاضر سابق في جامعة القاهرة، والمحلل الرئيسي لمنطقة الشرق الأوسط لدى المخابرات المركزية الأمريكية.

لم تكن التحليلات الخاصة بالوضع في الشرق الأوسط في بداية سنوات الخمسين لترضي المخابرات المركزية الأمريكية. فبعد الحرب العالمية الثانية، ومع سوء الوضع الذي خلفه الصراع الرأسمالي، ومع ظهور المجتمع الاشتراكي فإن الوعي الوطني في تلك المنطقة أخذ ينمو ويتطور، وأخذت حركة التحرر الوطني تنمو، وتمتد بقوة. ومن الأمور البارزة في تلك الفترة وفي تلك المنطقة: نضال شعوب الشرق الأوسط ضد سيطرة الاحتكارات النفطية من أجل تأميم النفط، واقامة صناعاتهم النفطية الوطنية الخاصة بهم.

وبرغم أن الأحداث أثبتت أنه من الصعب قمع الاتجاهات التحررية في ايران، فإن ما حدث في ذلك البلد كان له تأثيره الثوري على الأقطار المجاورة، وبذلك خشيت المخابرات المركزية الأمريكية من تكرار الأعمال المناهضة للامبريالية في تلك المنطقة. كذلك كانت هذه المخابرات تشعر بقلق بالغ وهي ترى ذلك الدور الذي لعبه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، والتقدم الواضح للنشاطات اليسارية في سورية. وقد أثبتت العديد من الوثائق والحقائق هذه الأيام، أن المخابرات المركزية الأمريكية حاولت بجدية متناهية عبر عدة محاولات تصفية الرئيس عبد الناصر جسدياً.

ومن أجل أن يقرر المرء فيما إذا كانت هذه الأعمال هي مجرد (مغامرة خاصة) من قبل المخابرات الأمريكية، أو كانت تجري بمعرفة الادارة الأمريكية أو بناء على تعليماتها، فإن على المرء أن يتذكر دائماً حقيقة هامة توضح أبعاد ثنائية السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. إن واشنطن كانت تسعى دوماً من أجل تحقيق هدفين مشتركين معاً في المنطقة : الأول، وهو عدم ابقاء الدول العربية في فلك الاتحاد السوفييتي، محاولة ضمها إلى معسكر عدواني تحت الرعاية الأمريكية، والثاني اكمال تطوير العلاقات الشاملة مع اسرائيل عبر مساعدتها لبناء

قدرتها العسكرية، مما يخلق حالة من الاستياء والشبهات وسط جيرانها العرب. إن هاتين المهمتين لا يمكن انجازهما الّا عن طريق سعي مشترك لخطين مختلفين للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وهذا ما فعلته ادارة إيزنهاور : التعامل وفق الأصول الدبلوماسية، بينما تعمل المخابرات المركزية الأمريكية على تحقيق أهداف واشنطن غير المعلنة.

كتبت مجلة (ايت ديز) حول ذلك : « بينما يحاول محللو الادارة الأمريكية وضع نظرية ذات مدى طويل، فإن عمليات المخابرات المركزية الأمريكية ترتكز على عمليات مأساوية ذات حلول قصيرة الأمد ».

وكانت إحدى هذه العمليات : خطة (آلن دالاس) للقيام بمحاولة انقلاب في سورية ضد المجموعة الديمقراطية التي أطاحت بالديكتاتور أديب الشيشكلي عام ١٩٥٤. ففي صيف عام ١٩٥٦، استدعي العميل (ولبر ايفلاند) الذي كان قد أكمل دورة تعليمية في الدراسات العربية إلى مقر إدارة المخابرات المركزية الأمريكية، وطلب إليه التوجه إلى سورية في مهمة سرية. وكانت مهمته الرسمية « مساعدة السفير في تأسيس قنصلية جديدة في حلب، وكذلك مساعدة مسؤولي السفارة في التنظيم الاداري للسفارة في دمشق ». أما المهمة غير الرسمية فكانت الاتصال مع مسؤولين سوريين على مستوى عال، واستغلال الرشاوى (حيث خصصت المخابرات المركزية الأمريكية مبالغ ضخمة لهذا الغرض) لتنظيم عملية الانقلاب والتي يمكن أن يساهم بها ضباط عسكريون على مستوى عال.

وقد أنشأت هيئة تخطيط السياسة الشرق أوسطية في الادارة الأمريكية مجموعة خاصة اسمها الحركي (اوميغا) برئاسة (ريموند هار) وهو خبير دبلوماسي وسفير الولايات المتحدة السابق في لبنان. كما أن (كيم

وأرشيبالد روزفلت ــ أبناء العم) اللذين تورطا في عمليات المخابرات الأمريكية الدموية في ايران، كانا من أعضاء مجموعة اوميغا منذ بداياتها المبكرة.

وكتب (ايفلاند) : « ان مخطِّطي البنتاغون يرون أن كون سورية مستقرة يعني ــ بالنسبة إليهم ــ خطوط اتصال آمنة مع حقول النفط ومع الحدود السوفييتية .. وعلى ما يبدو فإن العسكريين الأمريكيين لن يرتاحوا حتى تصبح هذه الطرق تحت سيطرتنا ».

وهكذا، فإن فكرة الاطاحة بالحكومة الشرعية في سورية لم تكن من أفكار المتطرفين في المخابرات الأمريكية كما حاولت وسائل الاعلام الأمريكية تصوير ذلك فيما بعد، ولكن نتيجة منطقية للتفكير الامبريالي الرئيسي للادارة الأمريكية، والذي يحظى بالتأييد الكامل من قبل البنتاغون.

وبالرغم من اصرار وسائل الدعاية الأمريكية المتكرر، فإن المخابرات المركزية الأمريكية ليست دولة داخل دولة، مع انها لديها ادواتها السرية الخاصة بها، والتي تتابع من خلالها طموحاتها العدوانية الواسعة.

ومن أجل تكوين صورة واضحة عن نشاطات المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط في الخمسينات، فإنه يتوجب على المرء أن يلاحظ أنها تعمل ضمن تعاون وثيق مع المخابرات البريطانية. ولقد كانت بداية هذا التعاون التقليدي في العراق، ثم ازداد متانة خلال التخطيط لعملية الاطاحة بحكومة مصدق في ايران. ففي ذلك الوقت كان (جورج سنكلير) مسؤولاً عن المخابرات البريطانية، وكان مساعده (جورج كيندي يونغ) الذي أعلن عام ١٩٧٦ أن عملاء الإستخبارات السوفييتية (ك. ج. ب). قد اخترقوا حكومة ادوارد هيث رئيس الوزراء البريطاني.

في ربيع عام ١٩٥٦ أمر (دالاس) كلا من (ايفلاند) و (جيمس

ايشلبرغر) من مركز المخابرات المركزية الأمريكية في القاهرة بالتوجه إلى لندن حيث سيعقدان مباحثات سرية مع (يونغ). وقد أخبرهم (يونغ) في ذلك الاجتماع ــ وبشكل جنوني ــ ان كلا من مصر وسورية والمملكة العربية السعودية تشكل تهديداً مميتاً للمصالح البريطانية الحيوية، وانه يجب الاطاحة بحكومات هذه الدول مهما كان الثمن. وكانت فكرة (يونغ) للتعاون مع المخابرات المركزية الأمريكية للتدخل في هذه الدول على أساس : « اعادة النظام » إلى سورية بيد من حديد، واسقاط الملك سعود، واغتيال عبد الناصر.

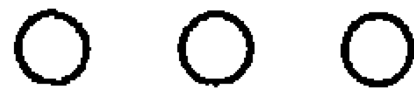
في منتصف حزيران ١٩٥٦، شكلت في سورية حكومة اتحاد وطني، ضمت ممثلين عن الأحزاب والتنظيمات اليسارية التقدمية بما فيها حزب البعث. وكان الرد الأمريكي على ذلك فورياً : فقد وصل في الأول من تموز إلى دمشق (أبناء العم روزفلت) وكانت مهمتهم دراسة وتقدير الوضع عشية اجتماع مجموعة اوميغا. والكلمات التالية التي كتبها (ايفلاند) تعد وثيقة توضح السبب الذي دعا الولايات المتحدة إلى وضع خطة الانقلاب ضد سورية : « إن السبب في ذلك هو اقامة حكومة وطنية متعصبة لا يبدو من الظاهر انها اداة بيد الغرب، وفي الوقت نفسه تكون مستعدة لاتباع سياسة معتدلة موالية للغرب ومناهضة للشيوعية»[٧].

والآن، تم زرع الألغام في سورية، وأصبح التفجير جاهزاً. وكان اللغم الذي تنوي المخابرات المركزية استخدامه هو : الأموال، تماماً كما فعلت في ايران. فقد استطاع (ايفلاند) تهريب هذه الأموال إلى سورية، وقام بتسليمها إلى واحد من عملائه المحليين.

---

(٧) حبال من رمل، ص ١٩٣.

باستلامهم هذه الأموال، رسم المتآمرون من الوسط العسكري خطتهم للسيطرة على دمشق، وحلب، وحمص، وحماه، ولاحتلال محطة الاذاعة، والاعلان عن أن البلاد أصبحت تحت سيطرة حكومة جديدة بقيادة الكولونيل قباني، واغلاق الحدود. لكن الذي حدث بعد ذلك، انه أدخلت تعديلات جديدة على الخطة، حين قررت واشنطن أن يكون اديب الشيشكلي الديكتاتور السابق، والذي أطيح به على يد الضباط الديمقراطيين في شباط ١٩٥٤، زعيماً للحكومة الجديدة. وأحضرت المخابرات المركزية الأمريكية الكولونيل ابراهيم الحسيني إلى بيروت بواسطة جواز سفر مزور وقد كان يعمل رئيساً للمخابرات في عهد الشيشكلي. ورسم (آرثر كلوز) خطته لتهريب الحسيني عبر الحدود السورية ــ اللبنانية في صندوق سيارته إلى دمشق، حيث يمكن للحسيني أن يلتقي بالعملاء المحليين، وأن يبحث معهم خطة إعادة الشيشكلي إلى السلطة. ومع ذلك، فإن الديكتاتور الشيشكلي تخلّى عن آماله في أن يصبح رئيس وزراء مرة ثانية. لكن يقظة ضباط الجيش السوري الوطنيين ساعدت على تجنب حدوث هذه المأساة. ففي ٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ اكتشفت قوات الأمن السورية المؤامرة المعادية للحكومة، والتي كان يدبرها البورجوازيون. والقي القبض على المتآمرين الرئيسيين، وطرد الآخرون من المراكز السياسية. وعلى اثر ذلك، تم تشكيل حكومة جديدة في سورية طهرت من بين صفوفها كل الذين كانوا مشاركين في هذه المؤامرة.



والآن، أخفقت خطة المخابرات الأمريكية المناهضة لسورية تماماً. لكن هذا لم يوقف مساعي الولايات المتحدة لاكمال حربها غير المعلنة ضد شعوب الشرق الأوسط، وأصبح الدور الآن على لبنان. ويصف (ايفلاند) المشاهد المأساوية التي رآها في لبنان عام ١٩٧٥ اثر اندلاع

الحرب الاهلية هناك، مقارناً الوضع بما كان عليه سابقاً حينما بدأ مهمته (الدبلوماسية السرية) قبل ٢٥ عاماً : « لقد كان الميناء الذي شاهدته وهو يحترق الآن، كان ميناء سِلْمٍ حينما دخلته أول مرة قبل ٢٥ عاماً .. ففي الماضي كنت أحد المشاركين في التدخل الأمريكي غير المعلن في شؤون لبنان الداخلية. إن دمار لبنان الذي يبدو الآن شبه حتمي، هو على الأقل نتيجة لتدخلاتنا »[٨]. وتقول مجلة (ايت ديز) الأمريكية أيضاً : « إن المخابرات المركزية الأمريكية هي التي زرعت بذور تدمير النظام البرلماني، ووحدة الشعب اللبناني »[٩].

إن تآمر المخابرات المركزية الأمريكية على لبنان كان وثيق الصلة بمبدأ ايزنهاور الذي صادق عليه الكونغرس الأمريكي عام ١٩٥٧. وقد كانت تلك أول مرة تعلن فيها الولايات المتحدة الأمريكية بشكل مكشوف عن استعدادها لاستخدام القوة العسكرية من أجل حماية الشرق الأوسط من « العدوان الشيوعي » وأدخلت إلى مسرح السياسة عبارة « المصالح الحيوية للولايات المتحدة ». وفي رسالة خاصة عن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط أكد الرئيس ايزنهاور على ضرورة أن تكون الولايات المتحدة قادرة على استخدام قواتها في المنطقة، وطالب بمبلغ (٢٠٠ مليون) دولار من أجل ما سمي ببرنامج المساعدات والتعاون العسكري.

في لبنان أعلن كل من (كميل شمعون) الزعيم اللبناني الموالي للغرب، ووزير الخارجية آنذاك (شارل مالك) عن تأييدهما الكامل لمبدأ ايزنهاور، ولا سيما ان (شمعون) كان يرى ان استعداده للسير في ركاب الاستراتيجية الأمريكية سوف يؤمن له الدعم الأمريكي الكامل.

---

(٨) حبال من رمل، ص ١٥.

(٩) مجلة (ايت ديز) مجلد ٣، العدد ٢٥، ٢٧ حزيران ١٩٨١.

وقد كان هذا الأمر ضرورياً بالنسبة إليه عشية الانتخابات النيابية التي كانت ستعقد في لبنان في حزيران ١٩٥٧. وحول ذلك يقول الباحث الأمريكي ايغوين. م. فيشر : « إن دالاس أراد لشمعون أن يبقى في منصبه لأنه ليس هناك أي زعيم في الوطن العربي على استعداد للاستجابة إلى طموحات الولايات المتحدة غير شمعون نفسه »[١٠]. ومن أجل هذا، كان لا بد من القيام بعمل ما من أجل ابقاء شمعون في منصبه. وأصبحت بيروت منذ عام ١٩٥٧ مركزاً للمخابرات المركزية الأمريكية، تدار من خلاله كافة عمليات التخريب في الشرق الأوسط. وكان عملاء الإستخبارات العسكرية الأمريكية في لبنان تحت إمرة رئيس مركز بيروت للمخابرات المركزية الأمريكية (غصن الزغبي). وبناء على طلب (آلن دالاس) أصبح (كيم روزفلت) شخصياً مسؤولاً عن العمليات في لبنان التي تستهدف تأمين فوز (شمعون) و (مالك) في هذه الانتخابات ومستخدماً كل الوسائل الممكنة.

وكان تحقيق مثل هذا البرنامج يتطلب الأموال، فكانت المخابرات المركزية الأمريكية سخية وكريمة في هباتها لتمويل انتخاب وفوز أداتها المقبلة. وكتب ايفلاند فيما بعد يقول : « طوال فترة الانتخابات هذه كنت اتردد بانتظام على قصر الرئاسة ومعي حقيبة جلدية مليئة بالأوراق النقدية اللبنانية، وبعد ذلك كنت أعود في المساء إلى السفارة، لأسلم الحقيبة إلى هارفي أرمادا المسؤول المالي ليعيد حشوها بالأموال من جديد ... وسرعان ما أصبحت سيارتي الديزوتو الذهبية ذات السطح الأبيض معروفة وشائعة خارج القصر »[١١].

---

(١٠) عاصفة على العالم العربي. فيشر اي وبسيوني م. شيكاغو ١٩٧٢ ص ١٣٨.

(١١) حبال من رمل. ص ٢٥٢.

وقد لعبت أموال المخابرات الأمريكية دورها الخبيث، حيث استطاعت تأمين أغلبية جيدة من الأصوات. وسرعان ما ظهر صدع وانشقاق عميق في النظام البرلماني اللبناني. وأعقب ذلك بفترة قصيرة موجة من عدم الاستقرار في لبنان، واندلع في ربيع عام ١٩٥٨ عصيان مسلح ضد نظام حكم شمعون، بدأ في طرابلس، وتطور إلى حرب أهلية. وعلقت مجلة (ايت ديز) في عددها رقم ٢٥ عام ١٩٨١ تقول : « ان ما حدث في تلك الفترة كان بمثابة مقدمة لما سيحدث بعد ١٧ عاماً من حرب أهلية دموية طويلة الأمد ».

ان الربط بين التطورين المأساويين في تاريخ لبنان واضح، حيث التدخل السري للمخابرات الأمريكية عبر اثارة الحرب الأهلية الثانية في لبنان عام ١٩٧٥ — ١٩٧٦. ويؤيد هذا ما كتبه (روجر موريس) مساعد هنري كيسنجر سابقاً في مجلس الأمن الدولي : « حينما غرق لبنان في حرب أهلية دموية، اتهم بعض المسؤولين المخابرات المركزية الأمريكية بتأييدها غير المعلن لهذه الحرب »[١٢].

وهناك خلفيات متعددة لمثل هذه الاتهامات. فقد كشف النقاب هذه الأيام عن أن هناك فرعاً للمخابرات الأمريكية في اسرائيل، وكان هذا الفرع يعمل بنشاط على تصعيد الأزمة اللبنانية. وهناك فرع آخر في أثينا كان يقوم بعمليات تمويل وتدريب مجموعات الكتائب اليمينية، حيث كانت المخابرات الأمريكية قد عملت على اعادة علاقاتها الحميمة مع زعماء الكتائب اللبنانية بعد الحرب الأهلية ابان حكم ادارة (كارتر). وقد قويت هذه العلاقات وتوسعت بعد تولي الرئيس (ريغان) الحكم عام ١٩٨١. وتقول مجلة (ايت ديز) حول ذلك : « بعد أن قرر

(١٢) مجلة (ايت ديز) المجلد ٣، العدد ٢٥، ٢٧ حزيران ١٩٨١.

الأمريكيون اعطاء أصواتهم في انتخابات نوفمبر ١٩٨٠ إلى رونالد ريغان الذي كرر وصفه واتهامه لمنظمة التحرير الفلسطينية بأنها منظمة « ارهابية » قدمت المخابرات الأمريكية إلى حزب الكتائب خطة من أجل (تحرير) لبنان من القوات السورية (قوات الردع) ومن الفدائيين الفلسطينيين، وذلك بالتعاون مع اسرائيل. عدد رقم ٢٥ لعام ١٩٨١ ». وكانت الخطة السرية هذه تتمثل باستئناف الحرب الأهلية لاخراج الفلسطينيين من بيروت الغربية بينما تقوم اسرائيل والمجموعات الانعزالية المسلحة بتوجيه ضربة ضد القوات السورية المتواجدة في سهل البقاع.

وفي شباط ١٩٨١، نشرت مجلة (ميدل ايست) فضيحة جديدة عن النشاطات السرية للمخابرات الأمريكية في لبنان، وكاشفة تفاصيل عملية تدعى (ساندويتش). وكانت عبارة عن خطة امريكية مرسلة إلى (اسرائيل) لتقوم هذه الأخيرة باشغال القوات السورية في لبنان، ثم توجيه ضربة إلى المنطقة الشمالية لدعم الهجوم المسيحي اليميني الذي يستهدف تدمير مخيمات اللاجئين الفلسطينيين حول بيروت. وقد اعتقدت المخابرات الأمريكية أن هذا سيؤدي إلى سيطرة الجناح اليميني على كل لبنان، ومن ثم حل المشكلة الفلسطينية بعد تدمير منظمة التحرير، مما يجعل الأمور ممكنة من أجل اجبار الأردن على الانضمام إلى اتفاقيات كامب ديفيد، والمشاركة فيما يسمى (بالحكم الذاتي للفلسطينيين) الذي يرفضه الفلسطينيون والعرب تماماً.

ومن جديد يصبح الوضع في الشرق الأوسط بالغ التوتر والخطورة وذلك في صيف ١٩٨٢. وبمشاركة كاملة من البيت الأبيض، شن العسكريون الاسرائيليون عدواناً جديداً وواسعاً ضد لبنان، واحتلوا القسم الأكبر من أراضيه، واتبعوا بشكل مكشوف وواضح سياسة الابادة ضد الفلسطينيين واللبنانيين. واستخدم الجيش الاسرائيلي كل الأساليب والأسلحة الوحشية : القنابل العنقودية والفسفورية والفراغية والنابالم.

ودمر العديد من المدن كصيدا والنبطية والطيرة، وأحرقت مخيمات الفلسطينيين في الأراضي اللبنانية. أما المنطقة السكنية في بيروت الغربية، والتي أصبحت آخر معقل للقوات الوطنية وللمقاومة الفلسطينية، فإنها قد حوصرت تماماً على يد المعتدين وأحيلت كلها تقريباً إلى أطلال.



ومؤخراً، أصبحت جمهورية افغانستان الديمقراطية، أحد الأهداف الرئيسية للمخابرات المركزية الأمريكية في آسيا. ففي ربيع عام ١٩٧٨، قفزت افغانستان ــ وكانت دولة متخلفة ــ من القرون الوسطى إلى القرن العشرين. فقد فتحت ثورة نيسان آفاق التحرر من السيطرة الاقطاعية، ومن التبعية الامبريالية، نحو التقدم والتطور والديمقراطية. وكانت مهمة التغلب على التخلف المزمن، والسيطرة الاقطاعية مهمة صعبة وتحتاج لعمل طويل. لكن المراسيم الأولى التي أصدرتها الحكومة الجمهورية وضعت الأسس من أجل عملية التحويل الاقتصادي الاجتماعي وكان الغاء الديون المستحقة لملّاك الأرض وللمرابين، وتحرير المرأة، والتشريع الجديد فيما يتعلق بالزواج، وكذلك المرسوم رقم ٨ حول استصلاح الأراضي، كانت جملة هذه القوانين هي التي أيقظت ملايين المضطَهَدين.

ومنذ الأيام الأولى لقيام الثورة، تمكن حكام افغانستان السابقون من الهرب نحو الشرق. وبدأت الثورة المضادة التي يقودها هؤلاء الحكام الفارون برفع شعارات الجهاد المقدس للدفاع عن الاسلام، وأخذوا يقومون بإرسال عصابات صغيرة إلى داخل افغانستان لغزو القرى النائية، واغتيال أعضاء حزب الشعب الذيمقراطي الأفغاني، وأساتذة القرى، وأعضاء الجمعيات التعاونية، وكل هؤلاء مؤيدون للحكومة الجديدة.

ورغم أن عمليات التخريب والارهاب ساهمت في زعزعة استقرار الوضع في افغانستان، فإن تلك العصابات أيقنت انه دون أن يكون لها

قواعدها ومعسكراتها المعدة بشكل جيد، ودون حصولها على التمويل والسلاح، والتعليمات من الخارج فإن كل جهودها سوف تذروها الرياح. وتأكد للامبرياليين أيضاً الأمر نفسه، فأخذوا بشن حرب غير معلنة ضد النظام الجديد فور قيام الثورة، عن طريق استخدام الرجعية المحلية كسلاح رئيسي. وفي ابريل ١٩٧٨، أعلنت وسائل الدعاية الغربية ان العصابات المسلحة هذه، أصبحت وبمساعدة الاقطاعيين « منظمات سياسية ».

وحينما عقد المؤتمر الاسلامي في باكستان في كانون الثاني ١٩٨٠، فإن الرجعية الأفغانية شاركت في هذا المؤتمر بتكتل يمثل ستة أحزاب وتنظيمات، تتخذ من باكستان مقراً لها. وكل هؤلاء كانوا منظمات وطنية ذات اتجاه يميني متطرف، وكان شعار (الجهاد) الذي رفعه هؤلاء بمثابة واجهة يخفون خلفها جهود البورجوازية الأفغانية، وجهود طبقة ملّاك الأرض الاقطاعيين من أجل الحفاظ على النظام القديم، واستعادة الأراضي التي فقدوها في افغانستان.

وكان يترأس حزب الاسلام ــ وهو أكبر الأحزاب والتنظيمات المعادية للثورة ــ (قلب الدين حكمت يار) الذي يمتلك اقطاعية ضخمة في اقليم كندز قبل الثورة. وقد تبنى هذا الحزب في برنامجه السياسي قضية الاطاحة بالنظام التقدمي الديمقراطي في افغانستان. وتستّر من أجل تحقيق هذا الهدف خلف مطالب تقليدية متعددة كالمطالبة بتطبيق الحجاب بشكل اجباري، وعدم الاختلاط في المدارس، واللباس الموحد بالنسبة للعاملين المدنيين بدلاً من الثياب الأوروبية، ومنع المشروبات الروحية والقمار. ولكن « النضال ضد التأثير والنفوذ الغربي » لم يمنع (حكمت يار) من التعاون الوثيق مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والإستخبارات الصهيونية (الموساد).

كذلك، فإن (سعيد غيلاني) رئيس الجبهة الاسلامية الوطنية، و (مجاديدي صبغة الله) رئيس حزب آخر معارض، قد استخدما ـــ مثل حكمت يار ـــ التعبيرات الدينية لتغطية برنامجهما المضاد. وهذان الزعيمان هما من الطبقة الاقطاعية المالكة الاقطاعيات هائلة في مختلف المناطق الأفغانية. أما (برهان الدين ربّاني) زعيم التجمع الاسلامي الأفغاني فله هو الآخر أرضيته الاقطاعية. وقبل الثورة كان يمتلك اقطاعية في مقاطعتي كابول وباداخشان. وكان يتاجر بالفرو مع بريطانيا والولايات المتحدة. ومثل (حكمت يار) كان (لربّاني) علاقاته الوثيقة مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي كان يتلقى منها الأموال والتعليمات.

بعد قيام الثورة مباشرة في شهر نيسان، وصل إلى افغانستان (لويس دوبريه) عميل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وذلك للاتصال مع القوى المضادة للثورة الأفغانية. لكنه أخفق في مهمته هذه، وطرد من أفغانستان في شهر تشرين الثاني ١٩٧٨، حيث توجه إلى الباكستان لقيادة مجموعة من رجال وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وأصبحت مجموعته بمثابة مركز تنسيق لعملاء المخابرات الأمريكية.

وتم في عام ١٩٧٧ تعيين (جون ريغان) رئيساً لمركز وكالة المخابرات الأمريكية في (اسلام آباد) وكان مساعده (روبرت ليسارد) وهو دبلوماسي امريكي. بعد ثورة نيسان، تم تعيين كل من (لي روبنسون) و (روجرز بروك) و (فان ديفيد) الخبراء في شؤون الانقلابات وعمليات التخريب، تم تعيين هؤلاء الثلاثة مساعدين (لريغان) و (ليسارد). وقد وصل هؤلاء الثلاثة من العربية السعودية، ليقوموا بتنسيق أعمالهم مع (آغاشاه) مساعد الرئيس الباكستاني للشؤون الخارجية، ومع (نواز شاهي) سكرتير وزير الخارجية الباكستاني. وبواسطة شقيقه (آغا خليلي ـــ السفير الباكستاني في

الولايات المتحدة) كان لـ (آغا شاهي) علاقاته الوطيدة والوثيقة مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، بينما كانت لـ (نواز شاهي) علاقاته مع العائلة المالكة سابقاً في افغانستان.

ومن أجل تبرير مساعداتهم المادية إلى أعداء الثورة في افغانستان، وتبرير ارسال الأسلحة وغير ذلك، كان المسؤولون الأمريكيون يبحثون باستمرار عن الذرائع التي تتهم زعماء الثورة الأفغانية بالقيام بأعمال معادية للولايات المتحدة. لذلك قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتقديم مساعداتها إلى البيت الأبيض بالتخطيط لعملية اجرامية وحشية تمثلت باغتيال (ادولف ديبس) السفير الأمريكي في كابول، والذي سقط ضحية اصرار المخابرات الأمريكية على الوصول إلى خط اللاعودة بين واشنطن وكابول.

كذلك صعّدت المخابرات الأمريكية عمليات التخريب ضد افغانستان عشية اغتيال (نور محمد طراقي) واستيلاء (حافظ الله أمين) على السلطة. وفي آب ١٩٧٩ اجتمع (جون ريغان) مع كل من (رادهور) و (علام) رئيسي دوائر الأمن في باكستان، واتفقوا على التعاون الوثيق فيما يتعلق بالتغييرات القادمة في افغانستان، والتي كان ريغان على ما يبدو قد علم بها مسبقاً، حيث تم الاتفاق على برنامج عمل مشترك بين المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الباكستانية ضد افغانستان.

وبعد أن أقر رؤساء المخابرات المركزية الأمريكية هذا البرنامج، التقى (ريغان) مع مجموعة من الجنرالات الباكستانيين، والذين تم تعيينهم في تلك الفترة كقواد لمناطق الحدود مع افغانستان. كما التقى (ريغان) و (ليسارد) مع وزير الاعلام الباكستاني للبحث في الحملة الاعلامية المضادة لأفغانستان. وبعد ذلك، بدأ (ليسارد) بالتعاون مع العسكريين

الباكستانيين لانشاء ما يسمى بالتحالف الاسلامي لتحرير افغانستان بزعامة (برهان الدين ربّاني). ورغم كل ذلك، فقد رغب البيت الأبيض بتجاهل الحقائق والوقائع، وحاولت وسائل الدعاية الأمريكية تضليل الرأي العام على أساس أن مساعدات المخابرات المركزية الأمريكية لأعداء الثورة الأفغانية هي مساعدات « للمقاتلين من أجل الحرية »، وهو الأمر نفسه الذي كررته تلك الوسائل الدعائية، حينما صورت عمليات التخريب التي جرت في ايران على أنها « نضال من أجل الحرية ». وقد ظهر هذا واضحاً من خلال العديد من تقارير الصحف الأمريكية عن تورط المخابرات المركزية الأمريكية في الاستعدادات الكبيرة التي تمت من أجل انقلاب عسكري في ايران.

وفي مؤتمر صحفي عقده في واشنطن ــ صيف عام ١٩٨١ ــ الصحافي الأمريكي (كلارك كيسنجر) كشف بعض الوثائق التي استطاع الحصول عليها من المهاجرين الايرانيين إلى امريكا، والتي تفيد وتثبت الاستعدادات الغربية والأمريكية المباشرة للقيام بانقلاب عسكري في ايران. وأشارت هذه الوثائق إلى أن المؤامرة ضد الثورة الايرانية قد ضمّت رئيس حرس الشاه السابق، اضافة إلى مؤيدين آخرين لعملية الانقلاب. وكان هدفهم الاطاحة بالحكومة الايرانية، واقامة نظام مُوَالٍ لأمريكا في ايران. وكان مقر اقامة هؤلاء المتآمرين الايرانيين في واشنطن بالقرب من البيت الأبيض، وتحت ستار (شركة لويس كرامبتون ــ شركة خاصة). وقد ارتكزت هذه المؤامرة على كل من (أسد زومايون) قنصل الشاه السابق في واشنطن، و (جون مامفورد) خريج احدى الجامعات الغربية. وكشف هذا الصحافي النقاب عن أن الجنرال (بهرام اريانا) والموجود حالياً في باريس، قد اختير ليكون رئيس وزراء الحكومة الايرانية الموالية لأمريكا. وانه اودعت في حسابات المتآمرين في البنوك مبالغ مالية ضخمة لتمويل المؤامرة. كذلك اعطيت التعليمات

لتخصيص مبلغ (٥٠٠,٠٠٠) ألف دولار شهرياً لاستمالة الرأي العام الغربي.

وفي ربيع عام ١٩٨٢، أعلنت طهران عن اكتشاف مؤامرة حاكها (صادق قطب زاده) وزير خارجية ايران السابق لاغتيال (الامام آية الله خميني).

ان المزيد من أعمال التخريب التي تقوم بها المخابرات المركزية الأمريكية لا زالت تحدث كل يوم بشكل روتيني. ومن بين هذه الأعمال التقارير التي نشرت عن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وأفادت أنه في شهر آذار ١٩٨٢ تمكنت دوائر الأمن في اليمن من إلقاء القبض على مجموعة ارهابية مدربة على يد خبراء المخابرات المركزية الأمريكية تسللت إلى البلاد للقيام بسلسلة واسعة من عمليات التخريب والاغتيالات. وقد كشفت المحاكمات العلنية التي جرت في عدن، عن أن المخابرات المركزية الأمريكية والإستخبارات البريطانية قد جنّدت ودرّبت هؤلاء المتآمرين. وكانت خطة المؤامرة تتألف من قسمين : **الأول** : تدمير خزانات الوقود، ومحطات توليد الطاقة الكهربائية، وعدد من المشاريع الصناعية الأخرى، والتي من شأنها أن تخلق حالة من الذعر في البلاد. ويتم بعد ذلك تنفيذ **القسم الثاني** : وهو القيام بسلسلة من عمليات الاغتيال ضد رجال الدولة، وأعضاء الحزب الاشتراكي اليمني. وقد فشلت هذه المؤامرة كما حدث للعديد من الخطط والمؤامرات الأخرى.

ولكن يجب القول أن وكالة الارهاب الدولي هذه قد نجحت مزات عديدة في أماكن متفرقة. واليوم، تعلن الولايات المتحدة الأمريكية ان هذه المنطقة الشرق اوسطية هي منطقة (مصالح حيوية) خاصة بها، وقد وصل التوتر في هذه المنطقة إلى أقصى درجاته حتى أنه أصبح من الممكن تشبيه هذه المنطقة ببرميل بارود كبير تحاول واشنطن تفجيره عبر تشجيعها للأعمال الاجرامية والارهابية الدولية.

فضائح في افريقيا

بوريس آسويان

« ربما يقول انه يحبك، ولكن انتظر، وسترى ما الذي سيفعله بك ».
ان هذا المثل الشعبي السنغالي يقفز إلى الأذهان كل مرة يَعِد فيها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في خطابه الذي يلقيه حين تسلمه لسلطاته، بأن الولايات المتحدة سوف تؤيد وتدعم النضال العادل للشعوب المضطَهَدة، وستعمل على تقوية الديمقراطية، وستناضل ضد العنصرية، وسياسة التمييز العنصري.

وحينما استلم الرئيس (رونالد ريغان) مهام عمله، قرر أن يخرج عن هذا الاطار المألوف، وعن هذا التقليد. فقد تعهد خلال حملته الانتخابية بانتهاج مسلك صلب تجاه افريقيا، وتعديل السياسة الأمريكية تجاه جنوب افريقيا، وتجاه الدول التي رفضت الخضوع للإملاءات الامبريالية، وبدأت في عمليات التحويل الاقتصادي ــ الاجتماعي. وأدخل استعمالاً جديداً إلى رطانة واشنطن السياسية : فاليوم ساوى البيت الأبيض بين الارهاب الدولي وبين حركات التحرر الافريقي بما فيها منظمة سوابو والمجلس الوطني الافريقي لجنوب افريقيا (آنس) والتي تناضل ضد العنصرية وسياسة التمييز العنصري. وجاءت بعد ذلك الاشارة الرسمية من الرئيس (ريغان) إلى جنوب افريقيا على انها حليف الولايات المتحدة دون أن تفاجئ أحداً.

وكانت مجاهرة الرئيس الأمريكي هذه دلالة أخرى على الأهداف الحقيقية للسياسة الأمريكية في افريقيا : ضرب حركات التحرر الوطني،

وزعزعة استقرار الأقطار التقدمية، والتأييد المطلق للأنظمة الرجعية والارهابية، والتواجد العسكري والسياسي الأمريكي في المناطق الافريقية الاستراتيجية الهامة.

أما المخابرات المركزية الأمريكية فكان لها دورها الخاص الذي عليها أن تقوم به ضمن خطط التوسع الأمريكي في افريقيا. ففي شهر آب ١٩٨١ قررت لجنة خاصة من الكونغرس الأمريكي أن هناك حاجة ماسة لتمويل العمليات السرية التي تقوم بها المخابرات المركزية الأمريكية في افريقيا. وطبقاً لما ترويه تقارير الصحف، فإن ادارة (ريغان) قد منحت وكالة المخابرات الأمريكية حرية التصرف في افريقيا، وتكلفت بالسرية التامة المتعلقة بكافة عملياتها القذرة. وكانت الأهداف الرئيسية للمخابرات الأمريكية هي : اثيوبيا، انغولا، موزامبيق، زيمبابوي، تانزانيا، زامبيا، جمهورية الكونغو الشعبية، بينين، ليبيا، موريشيوس، مدغشقر، غينيا بيساو، غينيا، زائير، وكينيا، مع وجود أهداف خاصة تتعلق بكل بلد. وتقتضي مهمة المخابرات الأمريكية أن تعمل هذه الوكالة على تكثيف جهودها من أجل دعم الأنظمة التي توافق على التعاون مع المستعمرين الجدد، وتمتنع عن السعي إلى التحويل الاقتصادي ـ الاجتماعي الذي يمكن أن يهدد مصالح الاحتكارات الأمريكية. من ناحية ثانية، فإنه منذ أن أعلن عن أن افريقيا هي منطقة « مصالح امريكية حيوية » فإن المخابرات المركزية الأمريكية أعطيت الحرية التامة للقيام بعمليات التخريب ضد كل اولئك الذين تجرأوا على الوقوف في طريق سياسة واشنطن.

ان سجلات تورط المخابرات المركزية الأمريكية في افريقيا كثيرة جداً، وخاصة فيما يتعلق بالجرائم الوحشية التي ارتكبتها ضد المقاتلين الافريقيين الأحرار. وقد كتب (جون ستوك ويل) العميل السابق للمخابرات الأمريكية في كتابه (البحث عن أعداء) ان نشاطات

التخريب التي قامت بها هذه المخابرات قد شملت فعلياً كل أقطار القارة الافريقية. ومن العمليات المعروفة جيداً، والتي نفذتها هذه المخابرات : اغتيال (باتريس لومومبا) و (كوامو نكروما) اضافة إلى تقديم مساعدات إلى عصابات (سافيمبي) في انغولا ومحاولة الانقلاب في (بينين).

وكان أسلوب الاغتيال السياسي هو الأسلوب المفضل لدى المخابرات المركزية الأمريكية في افريقيا. ومن أجل اضعاف حركات التحرر الوطني، وارهاب الأقطار الافريقية التي تنزع نحو الاشتراكية والمعسكر الشرقي، فإن خبراء المخابرات الأمريكية بذلوا جهودهم من أجل « التخلص من » القادة الافارقة الشعبيين والاطاحة بالحكومات الشرعية التي ترفض الانحناء أمام واشنطن. ويكفي أن يستذكر المرء أن الكثير جداً من بين أكثر من أربعين انقلاباً وقعت في افريقيا خلال العشرين السنة الماضية قد تم التخطيط لها وتنفيذها بواسطة المخابرات المركزية الأمريكية.

يقول (كيستر. أ. كروكر) السكرتير الثاني للشؤون الافريقية في الادارة الأمريكية في حزيران ١٩٨١ : « ان اهتماماتنا بجنوب افريقيا، من زائير وحتى الرأس الافريقي نابعة من اعترافنا بالأهمية الاقتصادية، والسياسية، والاستراتيجية، لهذه المنطقة بالنسبة للولايات المتحدة وللعالم الغربي ... ان المجازفات والمخاطر قد تكون كبيرة، لكن أيضاً التهديدات الموجهة نحو مصالحنا المشتركة كبيرة أيضاً ... والثمن الذي يجب على مواطني جنوب افريقيا أن يدفعوه لنا كبير جداً، وذلك من أجل ابتعاد هذه التهديدات عن هذه المنطقة »[1].

---

(١) افريكا ريبورت. المجلد ٢٦. العدد رقم ٥. ايلول ــ تشرين الأول ١٩٨١، ص ٧.

وحقيقة، فإن الولايات المتحدة خطت في طريق « مواجهة التحديات » في جنوب افريقيا خطوات كبيرة، وأصبحت هذه الخطوات ظاهرة وواضحة، وخاصة تجاه دول المواجهة وحركات التحرر الافريقية التي تقاتل ضد سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا.

وقد تعهدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بالقيام بعدة عمليات من أجل اضعاف الاتجاهات التقدمية في الدول الأفريقية، ودعم القوى الرجعية والعنصرية. وقد تم مؤخراً كشف النقاب عن بعض هذه العمليات.

في عام ١٩٧٥ بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تنفيذ أكبر عملية تقوم بها منذ الحرب العالمية الثانية، وهي كذلك الثانية بعد العدوان الأمريكي على فيتنام. وكان مسرح العملية (أنغولا).

لقد استطاع الشعب الانغولي أن يحقق استقلاله بعد سنوات طويلة من النضال العنيف، وتحت قيادة (الحركة الشعبية لتحرير انغولا ــ ميلا) وذلك حين أعلن قيام جمهورية انغولا الشعبية في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٥، واعترفت أغلب الدول باستقلالها.

أما (واشنطن) و (بريتوريا) فقد اعتبرتا هذا الانتصار الذي حققته القوى التقدمية في انغولا بعد صراعها العنيف مع المستعمرين، والغزاة العنصريين في جنوب افريقيا والامبرياليين، بمثابة تحدٍّ لهما. ولذلك اتخذت الولايات المتحدة فوراً موقفاً عدائياً مكشوفاً تجاه انغولا، وحاولت اسقاط الحكومة الشعبية الجديدة بالقوة، عبر تنسيق جهودها مع جنوب افريقيا. واستلمت المخابرات المركزية الأمريكية عدة ملايين من الدولارات لمساعدة كل من : (الاتحاد الوطني من أجل انغولا المستقلة ــ يونيتا) و (الجبهة الوطنية لتحرير انغولا ــ فنلا)

والحركات المضادة للثورة والتي يقودها عميلا المخابرات الأمريكية (جوناس سافيمبي) و (هولدن روبرتو).

وقامت طائرات سلاح الجو الأمريكي بنقل الأسلحة والذخائر إلى مراكز (يونيتا) و (فنلا) في زائير. وظهر الخبراء العسكريون الأمريكيون في وحدات القوى المضادة للثورة. وكان للمرتزقة الأميركيين دورهم في العمليات العسكرية ضد انغولا.

في عام ١٩٨١ نشر (غوردون وينتر) العميل السابق لمكتب أمن الدولة في جنوب افريقيا (بوس) كتاباً قدم فيه وصفاً مفصلاً للتعاون بين المخابرات المركزية الأمريكية و (بوس) في انغولا. وقد أشار إلى أن الوكالتين : الأمريكية والجنوب افريقية كانتا تنسقان كل عملياتهما بهدف الاطاحة بحكومة (مبلا). وكان ممثلوهما يلتقون بصورة منظمة في زائير خلال مراحل التدخل الأمريكي ــ الجنوب افريقي في انغولا. كذلك فإن مدير (بوس) زار واشنطن مرتين لعقد سلسلة مشاورات مع مسؤولين على مستوى عال في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ... هذه الوكالة التي قامت بتقديم الأموال الطائلة لكل من (سافيمبي) و (روبرتو) الذي كان يتسلم سنوياً حوالي (١٠٠,٠٠٠) دولار من أسياده الأمريكيين.

وبالرغم من الدعم الذي كانت تقدمه الولايات المتحدة، فإن (يونيتا) و (فنلا) كانتا تخسران الحرب وبسرعة كبيرة، مما حدا بجيش جنوب افريقيا إلى التدخل والاشتراك في القتال.

ولأنها كانت دون جيش، ولأنها كانت لا تمتلك بشكل كاف وسائل الدفاع لصد المعتدين الجنوب افريقيين، والتصدي لعمليات التخريب التي يقوم بها أفراد القوى المضادة، فإن الجمهورية ذات المولد الجديد طلبت من الدول الاشتراكية الحصول على المساعدة. وطبقاً لتعهداتها والتزاماتها

الدولية، قامت هذه الدول الاشتراكية بإرسال الأسلحة، والذخائر، والمواد الطبية والغذائية إلى انغولا. إضافة إلى ذلك، فإن جنوداً كوبيين وصلوا إلى انغولا. وقد تمكنت انغولا بواسطة هذه المساعدات من ابعاد هذا التهديد الموجه للحكومة الشعبية، وبدأت العمل في جو يسوده السلام. وطلبت حكومة انغولا من كوبا أن يقوم الخبراء الكوبيون بتدريب جنودها ضمن أراضيها (انغولا) بينما لا زال العدوان الجنوب افريقي قائماً. وهذا حق وطلب مشروع تماماً : فإن ميثاق الأمم المتحدة يعترف بحق الدول المستقلة في طلب مساعدة أي بلد آخر.

يقول (لوسيو لارا) عضو المكتب السياسي وسكرتير (مبلا) : « ان الجنود الكوبيين حضروا إلى انغولا بناء على طلب حكومة انغولا نظراً لكون البلاد أصبحت ضحية للتدخل يستند على الحق المشروع للدفاع، والذي أقره ميثاق الأمم المتحدة ».

وقد تسببت نشاطات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في انغولا بارتفاع حدة موجة الاحتجاج العالمي ضد هذه النشاطات، ولا سيما أن ذكرى المغامرة الأمريكية في فييتنام لا زالت حية وماثلة في الأذهان، وطالب الأمريكيون واشنطن بالتوقف عن الحرب السرية التي تخوضها حكومتهم في افريقيا. وتحت ضغط الرأي العام اضطر الكونغرس إلى المصادقة على قانون يحظر تقديم المساعدات العلنية أو السرية إلى كل من (يونيتا) و (فنلا). وقد سمي هذا القانون باسم (تعديل كلارك) ومع ذلك، فإن (تعديل كلارك) أخفق بإيقاف التدخل والنشاط الامبريالي الأمريكي في انغولا، حيث استمرت الاتصالات بين واشنطن وبين القوى المضادة للثورة في انغولا، ولم يتوقف البيت الأبيض عن محاولاته الرامية إلى زعزعة استقرار انغولا، ومساعدة جنوب افريقيا العنصرية.

وفي عام ١٩٧٩ استدعت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية

وبصورة سرية (جوناس سافيمبي) زعيم (يونيتا) إلى واشنطن، حيث التقى هناك مع عدة مسؤولين أمريكيين على مستوى عال، من ضمنهم (هنري كيسنجر) مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي سابقاً.

أما بالنسبة (لرونالد ريغان) فإنه أعلن صراحة وعلانية عن تأييده المطلق لـ (يونيتا) ابان حملته الانتخابية قائلاً : « ان سافيمبي يسيطر على أكثر من نصف انغولا ... ولا أدري لماذا لا نقوم بتزويده بالسلاح »[٢].

وعشية تنصيب (ريغان) اجتمع (وليم كاسي) الذي أصبح فيما بعد مديراً لوكالة المخابرات الأمريكية و (ريتشارد آلن) مستشار ريغان لشؤون الأمن القومي، مع ممثلي (يونيتا) وأكدا لهم دعم الولايات المتحدة. وطالب (ريغان) الكونغرس بعد تسلمه مهامه الرئاسية بالغاء (تعديل كلارك). وبناء على ذلك، وجهت الدعوة رسمياً في شهر آذار ١٩٨١ إلى (سافيمبي) لزيارة واشنطن وخلال الشهر نفسه، بحث (الكسندر هيغ) وزير الخارجية الأمريكي السابق مع ممثلي (يونيتا) في لندن المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة. وفي شهر كانون الأول من العام ذاته (١٩٨١) استقبل المسؤولون في الادارة الأمريكية (سافيمبي) واعتبروه زعيم تحرر وطني. وصادف خلال زيارة (سافيمبي) للولايات المتحدة، وقوع انفجار عنيف في محطة تكرير النفط في (لواندا). وكشفت التحقيقات النقاب عن أن هذا العمل التخريبي قد تم التخطيط له في الولايات المتحدة وجنوب افريقيا، وتم تنفيذه على يد عصابات (يونيتا).

وكتبت مجلة (بلاتر فور دويتش أند انترناشيونال بوليتيك) الألمانية الغربية في شهر تشرين الثاني ١٩٨١ ان التهديدات الموجهة ضد انغولا

(٢) افريكا ريبورت. المجلد ٢٥. العدد ٤، تموز ــ آب ١٩٨٠، ص ٦.

أخذت تزداد وقد توضح هذا الأمر أكثر من خلال الهجمات المكثفة والمتكررة التي شنت ضد انغولا خلال عام ١٩٨١، وبداية ١٩٨٢. وقد تمكن العنصريون من احتلال حوالي (٥٠٠٠٠) كيلومتراً مربعاً من أراضي انغولا إلى الجنوب من (نهر كونين). وبلغت الخسائر الاقتصادية التي منيت بها انغولا نتيجة هذا العدوان الجنوب افريقي سبعة بلايين دولار.

ولم يخف الزعماء الحاليون للولايات المتحدة الأمريكية « رضاهم » عن غارات جنوب افريقيا على انغولا، تلك الغارات التي دمرت القرى النائية وقتلت المئات من المدنيين. وفي شهر ايلول من عام ١٩٨١ استخدمت الولايات المتحدة للمرة الثانية حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي ضد مسودة قرار يشجب جنوب افريقيا ويطالبها بسحب قواتها فوراً من انغولا.

وأصبح من الواضح الآن أن الوضع المتفجر في جنوب القارة الافريقية، والذي هو نتيجة العدوان الجنوب افريقي المسلح ضد انغولا والدول المستقلة الافريقية الأخرى، انما هو نتيجة مباشرة للسياسة الافريقية « الجديدة » التي تسعى إليها الادارة الأمريكية الحالية.

لكن جنوب افريقيا تحاول تبرير جرائمها هذه بزعمها أن انغولا تساعد الوطنيين (الناميبيين) الذين تصفهم واشنطن و (بريتوريا) بأنهم (حركة ارهابية). وللحقيقة، فإن انغولا أقامت مستشفيات ومدارس للاجئين الناميبيين، الذين يزحفون إلى انغولا يومياً. وبناء على قرار الأمم المتحدة الذي ينص على الاعتراف بمنظمة (سوابو) كممثل شرعي ووحيد للشعب الناميبي وبناء على مقررات (منظمة الوحدة الافريقية) بدعم قضية شعب ناميبيا العادلة، قدمت انغولا مساعدات شاملة إلى (سوابو) وأخيراً تأييدها ودعمها لنضال منظمة (سوابو) ضد الاحتلال

العنصري لناميبيا، معتبرة ذلك دوراً رئيسياً في مجال مساعيها التي تهدف إلى انهاء السيطرة الاستعمارية، والعنصرية في افريقيا.

ان بحث قضية ناميبيا في الغرب يتضمن عادة الاشارة إلى ما سمى (بمجموعة الاتصال للدول الخمس) وهـي : الولايـات المتحـدة، وبريطانيا، وفرنسا، وكندا، وألمانيا الاتحادية، حيث قدمت هذه الدول في عام ١٩٧٨ مشروعاً لاستقلال ناميبيا عبر قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٤٣٥، وأعلنت انها ستسعى إلى الحصول على تأييد جنوب افريقيا لهذا المشروع. لكن الواقع هو أن مجموعة الاتصال هذه، لا زالت مشغولة مع جنوب افريقيا من أجل تطوير مشاريع تهدف إلى إبقاء وحماية الاقتصاد الغربي والمواقع الاستراتيجية الغربية في ناميبيا.

وكل دولة من دول مجموعة الاتصال هذه تقوم وبشكل سافر بامتصاص الموارد الطبيعية لناميبيا عبر خرق فاضح ومكشوف لقرارات الأمم المتحدة المتعددة. ومن بين الشركات العاملة في ناميبيا والبالغ عددها (٨٨) تتوزع ٢٥ شركة في بريطانيا، ١٥ في امريكا، ٨ في المانيا الغربية، ٣٨ في فرنسا، و ٢ في كندا، وقد ساعدت سياسة جنوب افريقيا على تسهيل عملية نهب الموارد الطبيعية الوطنية في ناميبيا على يد الشركات الأجنبية عبر السماح لهذه الشركات بالتنقيب عن المعادن واستخراجها دون أية قيود، والعمل على جعل الضرائب أقل قيمة (أقل من جنوب افريقيا نفسها). انه مبدأ (أحك لك ظهرك، وحك لي ظهري) تسهيلات للغرب، مقابل دعم جنوب افريقيا بتأييدها في احتلالها لناميبيا.

لقد أصبحت ناميبيا موضع اهتمام الشركات الغربية بعد اكتشاف ذلك المخزون الضخم من مادة الاورانيوم هناك. ويقدر الخبراء أنه يمكن استخراج حوالي (١٥ر٠٠٠) طنا من هذه المادة الهامة سنوياً مع نهاية

هذا القرن. وهذا ما سيجعل ناميبيا تحتل المكانة الرابعة بين الدول المنتجة للاورانيوم بعد استراليا، والولايات المتحدة وكندا، وبذلك، فإن الاحتلال غير الشرعي لناميبيا سوف يمكن العنصريين، واسيادهم الغربيين من التحكم والمشاركة بكميات هائلة من احتياطي العالم من الاورانيوم، وكذلك التحكم في الأسواق، وأوقات المبيع، وكذلك الأسعار. وكل هذه الأمور تحقق لهم عائدات ضخمة.

وفعالية الجهود المبذولة من أجل حماية المصالح الغربية في ناميبيا تعتمد على استعداد بريتوريا المباشر لقمع أية مقاومة ومناهضة للسياسة العنصرية. وهذا ما يفسر لنا لماذا ترى واشنطن في نضال منظمة (سوابو) المسلح انه التهديد الرئيسي للمواقع والمصالح الاقتصادية والامبريالية في جنوب القارة الافريقية. ولذلك لم تترك الولايات المتحدة وأعضاء دول مجموعة الاتصال الأخرى أية فرصة دون ان تحاول الحد والوقوف بوجه هذا التهديد. وعلى امتداد عدة سنوات، قامت هذه الدول بخرق القرارات التي تفرض حظراً على بيع السلاح إلى جنوب افريقيا، بموجب قرار الأمم المتحدة رقم ٤١٨ الصادر في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٧.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية على رأس قائمة الدول التي عملت باستمرار على خرق قرارات الحظر تلك .. وكانت عملية مبيع قذائف المدافع المعدلة من طراز ١٥٥ ملم إلى جنوب افريقيا من قبل شركة الأبحاث الفضائية أكبر فضيحة تتعلق بخرق قرارات الحظر تلك. وقد مكّنت هذه الصفقة جنوب افريقيا من اقامة نظام مدفعي خاص بها قادر على تسديد حمولة نووية تقدر بما بين ٢ ـــ ٣ كيلو طن (كيلو طن = ألف طن) للقذيفة الواحدة.

وعلاوة على الأسلحة، فإن الولايات المتحدة، والدول الغربية

الأخرى، عملت وبسخاء على تزويد جنوبي افريقيا بمعدات « مدنية » يمكن استعمالها في الأغراض العسكرية. وتشمل هذه المعدات طائرات النقل المدنية والتجارية، والمعدات الالكترونية، وكذلك المحركات.

وبالطبع، فإن أحداً من السياسيين الغربيين لا يجرؤ على الاعتراف بأن المساعدات العسكرية المقدمة إلى العنصريين هي من أجل محاربة حركة التحرر الوطني، والأنظمة التقدمية في افريقيا. لكن الحقيقة الواضحة والثابتة هي أن المدنيين في ناميبيا، وجنوب افريقيا، وموزامبيق، وأنغولا، وفي البلدان الافريقية الأخرى، يقتلون بواسطة تلك الأسلحة التي صنعت في الغرب، وأرسلت بعد ذلك إلى جنوب افريقيا بموافقة الحكومات الغربية ورضاها.

واليوم، تسارع واشنطن إلى نفي رضاها وتغاضيها عن سياسة بريتوريا العنصرية. ونشرت عدة صحف امريكية ـــ منها نيويورك تايمز وواشنطن بوست ـــ في شهري أيار وحزيران ١٩٨١، وثائق سرية صادرة عن الادارة الامريكية حول محادثات جرت بين الولايات المتحدة الامريكية ومسؤولين من جنوب افريقيا. وكان أمر افتضاح هذه الوثائق حول المحادثات التي جرت بين مساعد الادارة الامريكية (كيستر كروكر) مع وزير خارجية جنوب افريقيا (رولوف بوثا) ووزير دفاعها (ماغنوس مالان) بمثابة قنبلة. أما وجهات نظر الادارة الامريكية السرية، ومواقفها غير المعلنة فانها متناقضة تماماً مع بيانات المسؤولين الامريكيين حول تأييدهم ودعمهم لحقوق الانسان، ورفضهم للارهاب الدولي، ومعارضتهم للعنصرية ولسياسة التمييز العنصري، مما دفع بالصحافة حتى ذات الاتجاه اليميني في الغرب إلى اتهام الولايات المتحدة بالنفاق.

وأظهرت محاضر المحادثات ان الجانبين أظهرا اتفاقاً تاماً حول تقديراتهما للوضع السياسي في جنوب القارة الافريقية، وحول أهدافهما، وموقفهما تجاه حركة التحرر الوطني.

وقد حدد وزير دفاع جنوب افريقيا نتائج المحادثات حينما رفض بشكل بات وقاطع أية فرصة للتسوية مع منظمة (سوابو). وقدّم توصية إلى الولايات المتحدة لتأييد ودعم منظمة (يونيتا) التي تحارب الحكومة الشرعية في انغولا.

وأوضح وزير خارجية جنوب افريقيا (رولوف بوثا) ل (كروكر) « ان الاحزاب المحلية (عملاء بريتوريا وأدواتها في ناميبيا) يريدون منا مغادرة بلادهم حتى يتمكنوا من اقامة سلطة قوية تتيح لهم السيطرة على الموقف. اننا نريد حكومة سوداء معادية للسوفييت » وبمعنى آخر حكومة سلسة تكون تابعة للولايات المتحدة، ولجنوب افريقيا، ومعادية للتحرر الوطني الافريقي.

بعد مرور بضعة أشهر على محادثات (كروكر) في بريتوريا، بدأت الولايات المتحدة تنفيذ مشروع مناوراتها البحرية في جنوب المحيط الاطلسي. وبعد ثلاثة أسابيع قامت قوات من جنوب افريقيا بغزو أنغولا. وكانت هذه القوات تضم وحدات من المرتزقة تم تشكيلها على يد المخابرات المركزية الامريكية ومخابرات جنوب افريقيا للقيام بعمليات ارهابية في (انغولا).

وطبقاً لما ترويه مجلة (افريكا كونفيدنشال) التي تصدر في لندن، فان المخابرات المركزية الأمريكية ومخابرات جنوب افريقيا قد توصلتا إلى برنامج يقضي بممارسة الضغوط على الدول الافريقية المؤيدة لمنظمة (سوابو) وفي مقدمتها (انغولا) في مطلع عام ١٩٧٦. وكان على الولايات المتحدة أن تعمل على إحداث انقسام في صفوف منظمة (سوابو) وتشويه سمعة زعمائها الأساسيين لاضعاف الثقة بهم، والمساعدة على اقامة نظام موالٍ للغرب في ناميبيا. وكان هناك هدف آخر هو زعزعة الوضع السياسي الداخلي في انغولا. وفي عام ١٩٧٦ نشرت مجلة (كاونتر سباي) وثيقة بعنوان (عمليات سرية مكشوفة

ضد ناميبيا) تستشهد باقتباسات من استراتيجية سرية وضعتها واشنطن مع بريتوريا تهدف إلى « اقصاء منظمة سوابو، والتأكد من أن السلطة والقوة سوف تكون بيد هؤلاء الذين سيحلون مكان منظمة سوابو ». وأعد واضعو هذه الاستراتيجية برنامجاً لتمويل تلك الحكومة ــ الأداة، وتأمين الاعتراف الدولي بها. لكن الهدف الرئيسي هو تصعيد الضغط العسكري على منظمة (سوابو) و (انغولا) من أجل اضعاف الفدائيين الناميبيين بأكبر قدر ممكن وإجبارهم على الموافقة على حل تسوية لصالح الولايات المتحدة وجنوب افريقيا، أو ابعادهم نهائياً عن التسوية إذا كان ذلك ممكناً.

وعلق رئيس منظمة (سوابو) (سام نوجاما) على سياسة ادارة ريغان قائلاً: « ان سياسة السيد ريغان تجاه جنوب افريقيا لم تفاجئنا ابداً، وحتى قبل انتخابه، فان الرئيس ريغان أوضح أن هدفه في افريقيا سوف يكون مساعدة الأنظمة الرجعية العنصرية في قتالها ضد حركة التحرر. وحينما أصبح رئيساً بدأ بتنفيذ سياسته. ان الرئيس ريغان قال قبل انتخابه أنه ينظر إلى جنوب افريقيا باعتبارها حليفاً للولايات المتحدة، وهو الآن يفعل كل شيء لتقوية علاقات الولايات المتحدة مع بريتوريا. وقال قبل الانتخابات أن جوناس سافيمبي يجب أن يحصل على المساعدات لأن منظمته (يونيتا) كانت قوة يمكن للولايات المتحدة الاعتماد عليها، واليوم فان الرئيس يدعو سافيمبي إلى واشنطن، ويمنحه الأموال والأسلحة التي تمكنه من قتل المواطنين في انغولا وسلبهم، ومن جعل التوتر في هذه المنطقة دائماً... لكن مثل هذه التصرفات والأعمال الامبريالية ليست جديدة. اننا نعرف من هو عدونا، ولن نتوقف عن النضال والقتال ضد القوى الامبريالية. وإذا ما دعت الحاجة، فان شعب ناميبيا سوف يكثِّف الكفاح المسلَّح لأن القضية بالنسبة لهذا الشعب قضية حياة أو موت. واننا منذ وقت طويل، توصلنا إلى قناعة مفادها ان الامبرياليين والعنصريين لا

يفهمون أية لغة أخرى... وان الأوقات التي كان يرتكب فيها أعداء ناميبيا جرائمهم بأمان قد ولّى عهدها... فالوقت الآن هو وقت العمل والكفاح ضد واشنطن».

وبينما لا تزال المخابرات المركزية الامريكية تبذل جهودها لاحداث انشقاق في منظمة (سوابو) وايجاد نظام يكون بمثابة الاداة الامَريكية في ناميبيا، يمكن للمرء أن يتذكر الدور الخبيث الذي لعبته الولايات المتحدة في زيمبابوي خلال حرب الاستقلال الوطنية الافريقية.

لقد انتهجت الولايات المتحدة، وسعت إلى نوع من السياسة المعتدلة والاستثنائية تجاه روديسيا العنصرية. وقد دأبت الشركات الامريكية على القيام بعمليات التبادل التجاري مع هذا البلد الغني بموارده الاستراتيجية رغم قرار المقاطعة الذي اتخذته الأمم المتحدة ضد هذا النظام غير الشرعي. وقامت الولايات المتحدة ودول أخرى غربية بتزويد حكومة (سميث) بكل ما هو ضروري بما في ذلك النفط والأسلحة الحديثة. كذلك فان المخابرات المركزية الامريكية كانت على علاقة تعاون وطيدة مع هيئة الاستخبارات المركزية الروديسية (سيو). وقد أعلن مدير المخابرات المركزية الامريكية السابق (ريتشارد هلمس) ان وكالته قد متّنت علاقاتها مع نظيرتها في (سالزبوري) بواسطة مسؤولين امريكيين في القنصلية الامريكية، وهذا يفسر السبب الذي دفع المخابرات المركزية الامريكية للعمل بجدية تامة لاحباط قرار اغلاق القنصلية.

ان الولايات المتحدة الامريكية اضطرت تحت ضغط الرأي العام العالمي إلى اغلاق مركز التجسس ذاك. لكن المخابرات المركزية الامريكية سرعان ما وجدت طريقة أخرى للاستمرار في عملياتها ضد الثوار الافريقيين، وذلك عبر استخدام المرتزقة.

فقد كان في جيش روديسيا من المرتزقة ما لا يقل عن (٢٠٠٠)

مرتزق قدموا من الولايات المتحدة، وبريطانيا، وجنوب افريقيا، واستراليا، ونيوزيلنده وفرنسا. كما قامت وكالة المخابرات المركزية الامريكية بتجنيد (٥٠٠) من الامريكيين لصالح (سالزبري) بما فيهم عملاء سابقين كانوا يعملون لصالح هذه الوكالة، وكانت مهمتهم جمع المعلومات عن الوضع في روديسيا، وتجنيد عملاء افريقيين ينتمون إلى حركات التحرز، والقيام بعمليات اغتيال القادة التقدميين. وكان لهؤلاء المرتزقة الامريكيين دور الرئيس في عمليات الانتقام الوحشية التي قام بها الجيش الروديسي ضد (زيمبابوي) والدول الوطنية المجاورة مثل (موزامبيق) و (زامبيا) و (بوتسوانا). فقد قام بعض هؤلاء المرتزقة بقيادة الطائرات الروديسية التي قصفت مخيمات اللاجئين من (زيمبابوي) في (موزامبيق).

وكشفت مجلة (نيو أفريكان) ان المخابرات المركزية الامريكية قدمت مساعدات إلى روديسيا منها الأسلحة المتطورة مثل الطائرات وطائرات الهيلوكوبتر التي استخدمت في عمليات الاغارة على (زامبيا) و (موزامبيق).

ولما تحققت الدول الغربية من أن العنصريين الافريقيين سوف يتخلون عن السلطة إلى الأغلبية الافريقية، أوكلت إلى المخابرات المركزية الامريكية مهمة جديدة للحيلولة دون انتقال السلطة إلى القوى التقدمية التي تتزعمها (الجبهة الوطنية لزيمبابوي). وتوقعت الولايات المتحدة وبريطانيا أن يفوز عميلها وأداتها (بيشوب ابل مازوريوا) في أول انتخابات عامة تجري في (زيمبابوي) وبأن يصبح رئيس الحكومة هناك. وقد كلفت حملة انتخاب (مازوريوا) عدة ملايين من الدولارات، وشنت الصحافة الغربية ــ وخاصة الامريكية ــ حملاتها الاعلامية المعادية لمرشحي الجبهة الوطنية. كما جرت عدة محاولات لاغتيال قادة الجبهة ومؤيديهم. وكانت كل من بريطانيا والولايات

المتحدة مقتنعتين وواثقتين من نجاح أداتهما (مازوريوا) حيث قدمت وعوداً سخية بتقديم مساعدات مالية ضخمة إلى (زيمبابوي مستقلة). وفي كتابهما الذي يحمل عنوان (الصراع على زيمبابوي) كتب الصحافي البريطاني (دافيد مارتين) والصحافي الكندي (فيليبس جونسون) ان الاعتمادات المالية المخصصة لزيمبابوي قد تم الاعداد لها من قبل كل من الادارة الامريكية ووكالة المخابرات المركزية الامريكية، والبنتاغون في عام ١٩٧٦ « لتوجيه زيمبابوي مستقلة وجهة معتدلة، وعلى غرار كينيا ».(٣)

لكن خطط الامبرياليين منيت بالفشل، وذلك حين قامت الأغلبية الافريقية بالادلاء باصواتها لصالح القوى الوطنية في (زيمبابوي) وحصل (مازوريوا) على ثلاثة مقاعد فقط في البرلمان.

وكان على الغرب أن يغير من أساليبه وتكتيكاته بسرعة: فتحولت حملات الغطرسة والازدراء والعدوانية التي كانت موجهة إلى زعماء الجبهة الوطنية إلى ما يشبه المديح والمداهنة والتملق. وهذا التغيير في موقف الغرب ليس مستغرباً: فان شركاء العنصريين سابقاً بدأوا يبذلون أقصى جهودهم لانقاذ ما يمكن انقاذه ــ وكما قال أحد الدبلوماسيين الغربيين في سالزبري ــ للحيلولة دون تحول (زيمبابوي) إلى (انغولا) و (اثيوبيا) أخرى.

والآن، بقيت هناك قضية الوعود المتعلقة بالمساعدات المالية، لكن زعماء الغرب كانوا مترددين في ذلك، ولم تستلم (زيمبابوي) مساعدات التنمية إلا في شهر آذار من عام ١٩٨١ ملحقة بتحذير، مفاده

(٣) الصراع على زيمبابوي. دافيد مارتين وفيليس جونسون. فير آندفيبر. لندن ١٩٨١، ص ٢٥٥.

بأن الغربيين يأملون بان ينتهج زعماء (زيمبابوي) سياسة « واقعية » في سياستهم المحلية والخارجية على وجه الخصوص.

لكن زعماء (زيمبابوي) رفضوا وبحزم أية شروط سياسية. وقال (روبرت موغابي) ان هذه الشروط تقيد بلاده سياسياً واقتصادياً، كما أنها تنتقص من استقلالها. وكان هذا الأمر يشكل أرضية مناسبة لتحقيق أهداف الامبريالية الامريكية بأن ترى الحكومة الافريقية الوطنية تنهار.

وبالرغم من المساعدات الكاذبة التي تقدمها واشنطن للوقوف بوجه النظام العنصري في جنوب افريقيا، فان التعاون بين الولايات المتحدة والنظام العنصري المجرم كان ينمو وباضطراد كل سنة. فقد واصلت أكثر من (٦٠٠) شركة امريكية استغلال المواطنين في تلك البلاد. ووصلت الاستثمارات الامريكية في الصناعات الاستراتيجية الجنوب افريقية في عام ١٩٨١ إلى (٢ بليون دولار) وبالمقارنة مع عام ١٩٧٩، فان معدل التجارة قفز بنسبة ٢٤٪ حيث وصل إلى ٤,٢ بليون دولار. وتجاوزت الشركات الامريكية القرارات التي اتخذتها الأمم المتحدة والحكومة الامريكية نفسها، حين قامت هذه الشركات بتزويد العنصريين بالمواد والادوات العسكرية والنفط، إضافة إلى مساعدتها في تصنيع الأسلحة النووية.

ولطالما كررت هيئة الأمم المتحدة قضية المقاطعة الاقتصادية والتجارية المفروضة على جنوب افريقيا التي تقوم باستمرار بخرق حقوق الانسان، والقانون الدولي، وتسعى دائماً باتجاه سياسة ارهابية علنية ضد الدول المجاورة. ولكن كانت الولايات المتحدة الامريكية ودول حلف الناتو تقوم وفي كل الأوقات بفعل كل ما يمكنها من أجل إحباط مثل هذه المقترحات.

وكانت واشنطن تبرر احجامها عن القيام بأي عمل ضد العنصريين

الافارقة « بتأكيدها » على أنها ليس لديها أي حق معنوي وأخلاقي للتدخل في الشؤون الداخلية لجنوب افريقيا. لكن هذا (الحق الاخلاقي) سرعان ما وضع موضع التنفيذ عبر سلسلة (العمليات السرية) التي شنتها الولايات المتحدة ضد دول (انغولا وموزامبيق وزامبيا وزائير وضد دول افريقية أخرى).

وهذا يوضح ويفسر ذلك التعاون الوثيق بين المخابرات الامريكية ومخابرات جنوب افريقيا الذي ــ كما تقول مجلة (افريكا ريبورت) ــ ظل قائماً في كافة عهود الادارات الامريكية ومنذ انشاء مكتب أمن الدولة في جنوب افريقيا (بوس ــ وقد أعيدت تسميته ثانية باسم مكتب الأمن القومي ــ نيس) فان هذا الجهاز دأب وبشكل مستمر على عملية تبادل المعلومات مع المخابرات الامريكية. وكان أحد أهداف المخابرات المركزية الامريكية في جنوب افريقيا هو اختراق الحركات الوطنية الافريقية، وتجنيد العملاء الذين يمكن أن يتبعوا تعليمات واشنطن وذلك في حال استلام الاغلبية السوداء السلطة وتشكيل حكومة خاصة بها.

يقول (غوردون وينتر) العميل السابق ل (بوس) ان وكالة المخابرات الامريكية ساهمت في إحداث انشقاق عام ١٩٥٩ في المجلس الوطني الافريقي الذي شهد ولادة المجلس الافريقي العام (باك). وينقل عن رئيسه الجنرال (هـ. ج. فان دين برغ) قوله « ان هذا الأمر يمكن اثباته من خلال أشرطة سرية تثبت ان فكرة انشاء المجلس الافريقي العام (باك) قد تمت ولادتها خلال اجتماع بين عملاء المخابرات المركزية الامريكية، وثلاثة أعضاء آخرين سابقين في المجلس الوطني الافريقي ــ أحدهم كان بوتلاكو ليباللو ــ وذلك في مكتب المعلومات الامريكي في جوهانسبرغ ».

وحسب ما يروي (غوردون وينتر) فان المخابرات المركزية الامريكية قامت بتمويل العديد من المنظمات الافريقية في جنوب افريقيا

بهدف ترجيح كفة المجلس الوطني الافريقي (آنس) وتأثيره الذي يتمتع بتأييد كافة الطبقات الشعبية. ويقول (وينتر) ان المخابرات الامريكية استغلت العديد من التنظيمات والحركات ــ التي تتوضع في الولايات المتحدة ــ بما فيها (هيئة المحامين الامريكيين للحقوق المدنية) وذلك لايصال الأموال إلى جنوب افريقيا: (عام ١٩٧٧ تم تحويل ما يقارب مليون دولار بواسطة هذه الهيئة). وقد قال الجنرال (فان دين برغ) بان المخابرات المركزية الامريكية كانت تبحث بشدة عن عملاء جدد.

وفي عهد الرئيس (ريغان) أصبح التعاون ــ وهذا هو المتوقع ــ بين المخابرات الامريكية ومخابرات جنوب افريقيا أكبر. وبالرغم من مظاهر الاحتجاج والاستنكار في الولايات المتحدة وفي كل مكان، وصل في شهر آذار ١٩٨١ إلى واشنطن خمسة ضباط على مستوى عال من المخابرات العسكرية في جنوب افريقيا، وعقدوا سلسلة من المشاورات مع مجلس الأمن القومي والمخابرات العسكرية الامريكية. واستقبلت (جين كيركباتريك) مندوبة الولايات المتحدة الامريكية في الأمم المتحدة الجنرال (ب. و. فان دير وسترهيزن) رئيس المخابرات العسكرية الجنوب افريقية. وأعلن البيت الأبيض ــ بصورة كاذبة ــ بأنه ليس لدى البيت الأبيض اية معلومات بأن هؤلاء الزائرين الجنوب افريقيين هم ضباط مخابرات.

وكانت المخابرات المركزية الامريكية قد بدأت منذ وقت مبكر ــ وقبل أن تنال موزامبيق استقلالها ــ بارسال جواسيسها إلى هذا البلد الافريقي. وكان على هؤلاء العملاء الجواسيس ــ الذين كانوا يعملون هناك بصفة رجال أعمال وصحافيين وعلماء أو دبلوماسيين ــ ان يقوموا بجمع أية معلومات يمكن أن تكون مفيدة، وذلك في حال انهيار الامبراطورية الاستعمارية البرتغالية.

لقد صعّدت المخابرات المركزية الامريكية ــ بعد انتصار جبهة تحرير موزامبيق (فريليمو) واعلان الاستقلال ــ تعاونها مع مخابرات جنوب افريقيا وكذلك مخابرات روديسيا لزعزعة النظام التقدمي الموزامبيقي، واضعاف حركة التحرر الوطني في روديسيا وجنوب افريقيا. وعلى سبيل المثال، فان عملاء المخابرات المركزية الامريكية قاموا بتزويد مخابرات نظام (إيان سميث) بالمعلومات المتعلقة بمواقع مخيمات اللاجئين من زيمبابوي في موزامبيق. وبناء على هذه المعلومات، قامت عناصر الجيش الروديسي بتدمير كافة القرى، وذبحت بوحشية المدنيين في موزامبيق.

وقد جعلت اتهامات واشنطن لحركات التحرر في جنوب القارة الافريقية بأنها (ارهابية) جعلت العنصريين في جنوب افريقيا أشد وقاحة، وأصبحت غزواتهم ضد الدول الافريقية أكثر غطرسة وعجرفة. وفي الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٨١، حطّت قوات مظلية جنوب افريقية بالقرب من (موبوتو ــ عاصمة موزامبيق) متظاهرة بانها تريد تدمير معسكر تابع للمجلس الوطني الافريقي (آنس) لكن الهدف الحقيقي كان القيام بعملية تأديبية ضد اللاجئين الجنوب افريقيين بما فيهم النساء والأطفال والشيوخ.

وتبين فيما بعد أن العنصريين قد قاموا بالتنسيق لهذه العملية مع المخابرات المركزية الامريكية، والتي كان فرعها في (موبوتو) يقوم بتزويد بريتوريا بالمعلومات الضرورية. وبعد مرور شهرين على تنفيذ هذه الغارة، أعلنت حكومة موزامبيق عن اكتشاف شبكة واسعة من العملاء الامريكيين في صفوف القوات المسلحة الموزامبيقية، وفي أجهزة الدولة. ونشرت الصحف في موزامبيق أسماء عملاء المخابرات الامريكية الذين كانوا يعملون تحت غطاء دبلوماسي. واتهم بيان حكومي رسمي المخابرات المركزية الامريكية ومخابرات جنوب افريقيا بالتحضير للقيام

بسلسلة من عمليات التخريب ضد موزامبيق بما في ذلك اغتيال الرئيس (ساموراً ميشل) وعدد آخر من رجال الدولة.

كذلك، فان الصحافة الموزامبيقية نشرت عدداً من الوثائق التي تفضح عمليات التخريب التي تقوم بها المخابرات الامريكية. وقد كتبت صحيفة (نوتيسياس) ان المخابرات المركزية الامريكية ركزت اهتمامها بشكل خاص على خدمات النقل وخاصة فيما يتعلق بالطيران، وان الجواسيس الامريكيين حاولوا بكل الوسائل الحصول على المعلومات المتعلقة بأمن المطار، وبالطيارين الذين يقودون طائرة الرئيس (ميشل) الخاصة.

كما أن الجواسيس الامريكيين حاولوا اختراق المجلس الوطني الافريقي (آنس) في موزامبيق. وأرسلت المخابرات المركزية الامريكية المعلومات الضرورية إلى مخابرات جنوب افريقيا المتعلقة بنشاطات الوطنيين في جنوب افريقيا، واستغلت (بريتوريا) هذه المعلومات في التخطيط للقيام باعمال استفزازية مسلحة ضد المجلس الوطني الافريقي.

وفي مؤتمر صحفي عقدته الحكومة الموزامبيقية تم عرض هؤلاء الجواسيس والعملاء على رجال الصحافة. وكان أحد هؤلاء العملاء ويدعى (جوسي. ش. ماسينغا) يعمل رئيس دائرة في وزارة خارجية موزامبيق. وكان أول اتصال للمخابرات المركزية الامريكية مع (ماسينغا) عام ١٩٦٦ حينما كان لا يزال طالباً يدرس في امريكا وذلك عبر شخص يعمل مع هذه المخابرات ويدعى (ويلي). وبعد تسع سنوات من هذا التاريخ وصل (ماسينغا) إلى نيويورك كعضو في بعثة موزامبيق في الجمعية العامة للأمم المتحدة. ومرة ثانية، اتصل (ويلي) بـ (ماسينغا) وقدم له الأموال، ووافق هذا الأخير على التعاون. وقد اعترف (ماسينغا) فيما بعد بانه كان يزود عملاء المخابرات المركزية الامريكية في (موبوتو) بالمعلومات الدقيقة والصحيحة.

هناك أيضاً عميل آخر للمخابرات الامريكية هو (السيد شيفيت) والذي كان يعمل رئيساً لدائرة التموين في هيئة الأركان الموزامبيقية وبعد تجنيده في عام ١٩٧٨ لصالح المخابرات الامريكية، كانت مهمته اعداد قوائم تتعلق بنماذج الأسلحة التي يستخدمها الجيش الموزامبيقي، وجمع المعلومات المتعلقة بمستوى وبتدريب الوحدات العسكرية، وكذلك المعلومات المتعلقة بعمليات قوات حركة تحرير جنوب افريقيا وزيمبابوي الموجودة في موزامبيق.

أما أسماء ضباط المخابرات المركزية الامريكية الذين كانوا يعملون تحت غطاء دبلوماسي في موزامبيق فهم: (ف. لندال) سكرتير السفارة و (ل. اوليفر) سكرتير السفارة و (أ. رسل) و (ب. رسل) كموظفين في السفارة.

وفي ١٦ آذار ١٩٨١، عقد وزير الاعلام في موزامبيق (جوسي لويس كاباكو) مؤتمراً صحفياً قدّم فيه الكابتن (جواو كارنيرو غونزالفس) الذي تعامل مع عملاء المخابرات المركزية الامريكية من السفارة الامريكية في (موبوتو) لمدة ثلاث سنوات، وبناء على تعليمات من الجهات الامنية في موزامبيق. ونقل (غونزالفس) عن أحد هؤلاء العملاء قوله ان باستطاعة المخابرات المركزية الامريكية تنفيذ عملية انقلاب في موزامبيق بمساعدة جنوب افريقيا.

وباستمرار كانت الولايات المتحدة الامريكية، ومخابرات جنوب افريقيا تعملان على تقديم المساعدة إلى العصابات المضادة للثورة والتي تعمل بسرية في موزامبيق، والتي تدعى المقاومة الوطنية الموزامبيقية (منر) وأعلن الرئيس (سامورا) ان الحكومة تملك دلائل صحيحة حول أن هذه الحركة (منر) هي على اتصال بالنظام العنصري وبالمخابرات المركزية الامريكية. ويقول وزير الاعلام الموزامبيقي ان

المقاومة الوطنية الموزامبيقية (منر) ــ منظمة تضم الخونة والمرتزقة الأجانب ــ هي في الواقع فرع ارهابي تابع لمخابرات جنوب افريقيا.

وكانت العصابات المناوئة للحكومة الشعبية في موزامبيق تعمل سابقاً من أراضي روديسيا، لكن بعد الانتصار الذي حققته القوات الوطنية، هربت هذه العصابات إلى (زيمبابوي). وطبقاً لما ترويه مجلة (نيو افريكان) الصادرة في لندن، فان هذه العصابات وجدت ملجأ لها في جنوب افريقيا. وقام الروديسيون والافارقة الجنوبيون الذين يوجهون هذه العصابات بتدريبها في معسكرات خاصة.

لقد لعبت المقاومة الوطنية الموزامبيقية (منر) دوراً هاماً في مخططات المخابرات المركزية الامريكية بسبب تقديمها التسهيلات لعمليات التخريب الامريكية في موزامبيق. اضافة لذلك، فان المخابرات المركزية الامريكية عملت على تنسيق الاتصالات بين هذه العصابات المضادة للثورة وبين الرجعيين البرتغاليين الذين كانوا يودون استعادة مواقعهم القديمة في موزامبيق. وفي عام ١٩٨٠ قام الجنرال (آرياج) القائد السابق للقوات المحمولة البرتغالية ــ وهو رجل معروف بارتباطاته بالمخابرات المركزية الامريكية ــ قام بزيارة إلى جنوب افريقيا للاجتماع بالزعماء المناوئين للحكومة الموزامبيقية. وهنا تجدر الاشارة إلى ان العمليات الاستفزازية التي كانت تشنها المقاومة الوطنية الموزامبيقية (منر) ضد حكومة موزامبيق قد تصاعدت بشكل خطير.

ان المخابرات المركزية الامريكية استخدمت جنوب افريقيا كمقر رئيسي للعصابات من أجل زعزعة استقلال الدول الافريقية، وهذا يعني ان جنوب افريقيا أصبحت الاداة الرئيسية للامبريالية في استراتيجيتها التخريبية في جنوب القارة الافريقية.

وقد أثار أمر اكتشاف شبكة تجسس المخابرات المركزية الامريكية

في موزامبيق حنق واشنطن التي سارعت إلى نفي هذه التهم، ومن أجل معاقبة موزامبيق، أعلنت عن تعليق المساعدات التي كانت قد وعدت موزامبيق بها، بما فيها ارسال الاغذية.

ووصف وزير خارجية موزامبيق (جواكيم شيسانو) هذا الأمر بأنه دور متمم للحرب الاقتصادية التي تشنها الولايات المتحدة ضد افريقيا الحرة. وقد أقرت ادارة ريغان هذه العقوبة الشائنة خلال ايام قليلة والموجهة ضد جمهورية موزامبيق الشعبية، هذا البلد الذي تجرأ وتحدى المخابرات المركزية الامريكية. وفي الوقت ذاته واصلت الولايات المتحدة الامريكية جهودها للحيلولة دون فرض أية عقوبة اقتصادية ضد جنوب افريقيا العنصرية.

بعد مضي شهور قليلة على انكشاف أمر المخابرات المركزية الامريكية في موزامبيق حدثت فضيحة جديدة. ففي حزيران ١٩٨١ طردت حكومة زامبيا اثنين من الدبلوماسيين الامريكيين بتهمة التجسس وكذلك أربعة امريكيين آخرين وصفوا بأنهم غير مرغوب فيهم.

وأوردت الصحافة الزامبية ان قوات الأمن في زامبيا اكتشفت مؤامرة تستهدف الاطاحة بحكومة (كينيث كاوندا). وكان من المفروض ان يتم الانقلاب ــ بعد أن هيأت له المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مع مخابرات جنوب افريقيا ــ على يد المرتزقة الذين تم تجنيدهم في جنوب افريقيا. وكانت الخطة تقضي باغتيال الرئيس (كاوندا) وزعماء آخرين. لكن تم تعديل الخطة بعد ذلك، لتتم عملية الاطاحة بالرئيس (كاوندا) خلال سفره إلى (نيروبي) لحضور الاجتماع الثامن والعشرين لمنظمة الوحدة الافريقية. ووضعت المخابرات المركزية خطتها لتسليم السلطة إلى حكومة تكون أداة بيد عملائها الذين قامت بتجنيدهم وسط صفوف الجيش وأجهزة الدولة.

في شهر آب ١٩٨١ ذكرت مجلة (وول ستريت جورنال) ان المخابرات المركزية الامريكية وضعت خطة لاغتيال السكرتير العام لحركة موريشيوس المسلحة (بول بيرنغر). وكان سبب ذلك ــ كما ذكرت مجلة (افريقيا ــ آسيا) ــ هو ان كلا من ادارة ريغان والعنصريين البريتوريين لم يتقبلوا حقيقة أن موريشيوس يمكن أن تشرع بالسير في طريق الاشتراكية والسعي إلى سياسة عدم الانحياز ولا سيما ان جزيرة (دييغو غارسيا) التي هي قاعدة عسكرية امريكية في المحيط الهندي، تعود إلى موريشيوس، وان القوى التقدمية هناك تطالب باصرار بضرورة انهاء الاحتلال العسكري الامريكي غير المشروع ل (دييغو غارسيا).

وهنا يمكن ايراد حقائق عديدة تبين أهمية (دييغو غارسيا) بالنسبة للبنتاغون الامريكي. وفي عام ١٩٧٥ حينما وافقت بريطانيا على « تأجير » جزيرة (دييغو غارسيا) إلى الولايات المتحدة الامريكية قامت واشنطن بانفاق حوالي (٣٢) مليون دولار على بناء قاعدة عسكرية هناك. وفي عام ١٩٨١ طلب البنتاغون من الكونغرس مبلغ (١٥٨,٩) مليون دولار من أجل « تجديد » هذه القاعدة. ان جزيرة (دييغو غارسيا) يمكن اعتبارها قاعدة بحرية رئيسية من أجل تنسيق كافة عمليات (قوات التدخل السريع الامريكي) في منطقة المحيط الهادئ الغربية، وجنوب آسيا، والخليج العربي والمنطقة الواسعة الممتدة من شرق آسيا وحتى جنوب المحيط الاطلسي. كما انه يمكن استخدام هذه الجزيرة كقاعدة للغواصات النووية، وكذلك الغواصات التي يمكنها ان تصبح كذلك. وكل هذا يفسر لماذا يعتبر البنتاغون الامريكي اي مطلب يتقدم به شعب موريشيوس لاستعادة جزيرتهم بمثابة تهديد (للامن القومي للولايات المتحدة الامريكية) ويفسر كذلك لماذا يعتبر (بول بيرنغر) العدو رقم واحد في الملفات السرية للمخابرات المركزية الامريكية.

واندلعت موجة من السخط والنقمة بعد انكشاف أمر المخابرات المركزية الامريكية في موريشيوس لم تخمد إلا بشق النفس. وبعد طول وقت، بينما أعلن عن اكتشاف خطة سرية جديدة، وكانت هذه المرة تقضي باغتيال الرئيس الليبي العقيد (معمر القذافي).

ان العقيد (معمر القذافي) ـــ شأنه شأن بول بيرنغر ـــ هو أحد الشخصيات الرئيسية التي تنظر إليها الادارة الامريكية في افريقيا بعين العداء بسبب مساعدة ليبيا لحركات التحرر الوطني والدول المستقلة التي تعارض باستمرار التدخل الامبريالي في شؤون القارة الافريقية وفي الشرق الأوسط، وتقاوم عمليات التخريب الامريكية. وهذا هو السبب ـــ كتبت نيوزويك في عددها الصادر يوم ٣ آب ١٩٨١ ـــ الذي دفع المخابرات المركزية الامريكية لرسم مؤامرة تستهدف اقصاء العقيد القذافي « نهائياً » عن السلطة.

وقد أوكلت مهمة اغتيال الزعيم الليبي إلى عميل المخابرات المركزية الامريكية السابق (ادوين ويلسون). وكانت الخطة مشابهة لمغامرات سرية أخرى قامت بها المخابرات الامريكية. وحسب رواية صحيفة (واشنطن بوست) فان الاداة التي كان من المنوي استخدامها هي عبارة عن نوع من السم القاتل، يتم حقن العقيد القذافي به بواسطة شوكة صغيرة تموه بذبابة من الذباب الأسود كتلك التي يكثر انتشارها في ليبيا.

لكن تسرب هذه الخطة إلى الصحافة العالمية حال دون تنفيذ خطط المخابرات المركزية الامريكية، إلا أن هذا لا يعني أن واشنطن توقفت عن اعداد برامج ارهابية جديدة ضد ليبيا. وقد اطلع الرأي العام الامريكي على تقرير نشرته لجنة الابحاث التابعة للكونغرس الامريكي في ١٥ أيار ١٩٨١ حول تصعيد (المقاومة ضد ليبيا) من أجل توسيع وتقوية النفوذ الامريكي في افريقيا. وقد كشف التقرير أهداف واشنطن الحقيقية في

شمال افريقيا، ومنها:

ــ تشجيع وتقوية بلدان هذه المنطقة التي تشارك الولايات المتحدة مصالحها واهتماماتها لاستغلال منظمة الوحدة الافريقية من أجل ايجاد « اجماع مناهض لليبيا ».

ــ زيادة المساعدات العسكرية لدول هذه المنطقة.

ــ خلق تواجد عسكري امريكي فعّال في المنطقة يكون بمثابة رادع للعقيد (القذافي).

ومن هنا يبدو ان اغتيال العقيد (القذافي) من المفروض أن يكون جزءاً من هذه الخطة. لذلك، فان سلسلة من العمليات الجديدة الموجهة ضد ليبيا من قبل الادارة الامريكية هي في حكم المتوقع، ولن يكون بعيداً موعد تنفيذها.

وفي حديث أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي في حزيران ١٩٨١ قال (كيستر كروكر) مساعد وزير الخارجية لشؤون افريقيا، ان الولايات المتحدة الامريكية على استعداد لزيادة المساعدات لكل دولة افريقية تقاوم « سياسة ليبيا التخريبية، ودعمها للارهاب الدولي ». وتبع هذا التصريح زيادة مفاجئة في المساعدات العسكرية الامريكية الممنوحة إلى تونس، فقد ارتفعت هذه المساعدة من (٥٠) مليون دولار إلى (٩٥) مليون دولار، وإلى السودان من (٣٠) إلى (١٠٠) مليون دولار. وفي ١٩ آب، اعترضت الطائرات الامريكية التابعة للاسطول الامريكي السادس طائرتين ليبيتين كانتا تقومان بأعمال الدورية الاعتيادية فوق خليج سدره، وأسقطت الطائرتين الليبيتين. وعمت موجة من السخط والغضب أرجاء الوطن العربي وأوروبا الغربية، وذلك احتجاجاً على هذا الحادث الإستفزازي. ووصفت الصحافة التقدمية هذا العمل الامريكي بأنه قرصنة تثبت نوايا الولايات المتحدة

الامريكية العدوانية ضد ليبيا. ونفت الولايات المتحدة ــ وبشكل يبعث على السخرية ــ أن تكون هي البادئة في هذا الحادث، وحذرت أن خطوات مشابهة يمكن أن تتخذ ضد ليبيا.

وكان هناك جزء من الخطة الرامية إلى زعزعة استقرار ليبيا يرتكز على شن حملة واسعة النطاق ضد ليبيا بسبب قضية تشاد. ومن المعروف انه في شهر كانون الأول ١٩٨٠ دخلت القوات الليبية إلى تشاد بناء على طلب الحكومة الشرعية الشعبية. فقد طلب الزعيم التشادي (غوكوني عويدي) من الحكومة الليبية مساعدته على دحر العصابات المعادية للحكومة التشادية والتي كانت تعمل من السودان بتأييد مباشر من مصر والولايات المتحدة الامريكية. وأوضح (عويدي) أكثر من مرة أن القوات الليبية الموجودة في تشاد هي هناك على أسس مشروعة منسجمة تماماً مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وان أولئك الجنود سوف ينسحبون من تشاد، حينما ترى الحكومة التشادية أن ذلك الأمر ضروري.

ورغم ذلك، فان الادارة الامريكية واصلت تحديها للاجماع الدولي، واستمرت باصرارها على أن ليبيا قد غزت تشاد بشكل غير مشروع لأن (ليبيا) تريد ضم تشاد إليها، وتخطط لاقامة امبراطورية في شمال افريقيا. ومن هنا أخذ المسؤولون الامريكيون يقومون بشن حملات اعلامية شرسة في منظمة الوحدة الافريقية محاولين تجميع أكبر قدر ممكن من الدول المعادية لليبيا. وبشكل أكثر، خططت الولايات المتحدة لاستغلال قضية تشاد من أجل احباط وتعطيل انعقاد مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية في العاصمة الليبية (طرابلس) عام ١٩٨٣. وحينما اقترحت منظمة الوحدة الافريقية استبدال القوات الليبية بقوات حفظ سلام افريقية في تشاد، صرحت الولايات المتحدة ان ليبيا لن توافق أبداً على مغادرة تشاد.

لكنها كانت صفعة لواشنطن، حينما أعلنت الحكومة الليبية عن

استجابتها التامة لتوصيات منظمة الوحدة الافريقية، وسحبت قواتها من تشاد خلال اسبوع. وللحقيقة، فان الولايات المتحدة حاولت أن تراوغ وأن تحفظ ماء وجهها من جراء وضعها المحرج، وذلك حين ادعت ان هناك « أهدافاً خبيثة » وراء الانسحاب الليبي من تشاد.

في شهر كانون الأول ١٩٨١، قدمت المخابرات المركزية الامريكية فصلاً جديداً من برنامجها المعادي لليبيا. فقد نظمت المخابرات الامريكية عملية « تسريب صحفي » « لمعلومات سرية جداً » حول وجود مؤامرة ليبية لاغتيال الرئيس (ريغان). ودارت شائعات صبيانية تتحدث عن مجموعتين ليبيتين زعم انهما ارسلتا إلى الولايات المتحدة بهدف التخلص من الرئيس ومساعديه. وأخذ الشعب الامريكي يتلقى يومياً حكايات طريفة وممتعة عن « المؤامرة » التي اختلقتها المخابرات المركزية الامريكية. وكتبت صحيفة (الاوبزرفر) حول ذلك قائلة: « ان ما يمكن التفكير به هو أن هناك عملية تهيئة للشعب الامريكي حول وجود عمل مأساوي يمكن أن يكون ضربة عسكرية ضد ليبيا... ان مستوى اللهجة والكلام الموجهين ضد ليبيا هذه السنة، تذكر ببعض التعليقات اللاذعة التي وجهت ضد فيديل كاسترو حينما كان الرئيس كيندي يضع خطة عملية خليج الخنازير ».

وفي الشهر ذاته (كانون الأول ١٩٨١) أجرت شبكة تلفزيون (A.B.C) مقابلة مع العقيد (القذافي) جاء فيها:

س: تقول الحكومة الامريكية ان لديها دلائل تشير إلى انك أرسلت فرق اغتيال بهدف قتل الرئيس (ريغان) ومسؤولين امريكيين مهمين آخرين. فهل هناك تعليق على ذلك ؟

ج: لم يعد لنا أي صبر لسماع هذا ثانية... اننا نرفض اغتيال أي شخص... وليس من أخلاقنا ومن مسلكنا ان نغتال أي شخص.

س: إذا كانت التقارير الامريكية عن وجود مؤامرة ليبية ضد الرئيس غير صحيحة، فلماذا ــ باعتقادك ــ توجه الولايات المتحدة الامريكية هذه الاتهامات ضدك ؟

ج: لأننا نرفض أن نحني رؤوسنا أمام أمريكا، ولأننا نرفض ان نكون تحت السيطرة الامريكية، ولأننا رفضنا أن نكون عبيد امريكا. اننا شعب يريد أن يكون حراً... امريكا تريد أن تسيطر على كافة أنحاء العالم، وأن تقسم العالم إلى: أعداء امريكا وعبيد أمريكا، ونحن نرفض أن نكون عبيداً.

س: ان المناوءة بين بلادك وبين الولايات المتحدة أنتجت بشكل فعلي العنف.. فطائرتان من طائراتك أسقطتا من قبل طائرات الاسطول الامريكي السادس. هل تخطط لأي انتقام من الولايات المتحدة ؟

ج: القضية ليست قضية انتقام، انها قضية الدفاع عن بلادنا من أجل كرامتنا.

وهكذا أخفقت حيل وخدع المخابرات الامريكية. لكن الادارة الامريكية واصلت حملتها اللاذعة المعادية لليبيا، وكانت هذه المرة عن طريق العقوبات الاقتصادية. فقد اوعزت الولايات المتحدة الامريكية إلى رعاياها العاملين في ليبيا بالعودة إلى بلادهم زاعمة ان حياتهم مهددة بالخطر. وأعلن الرئيس (ريغان) صراحة عن نيته فرض مقاطعة على مشتريات الولايات المتحدة للنفط الليبي. وفي بداية عام ١٩٨٢ أصبحت هذه التهديدات حقيقة واقعة، فقد وضعت الولايات المتحدة هذه العقوبات الاقتصادية الموجهة ضد ليبيا موضع التنفيذ.

وبذلك، غدا هناك اثبات واقعي وواضح ان واشنطن تلوح بالحرب غير المعلنة ليس ضد ليبيا فقط، وانما ضد الدول الافريقية الأخرى التي تنتهج سياسة معادية للامبريالية. ففي الوقت الذي وصلت فيه الحملة

المعادية لليبيا من قبل المخابرات الامريكية إلى أوجها، قامت هذه المخابرات بالتعاون مع مخابرات جنوب افريقيا بمحاولة للاطاحة بالحكومة التقدمية في (سيشل) التي طالبت بانهاء الوجود العسكري الامريكي في المحيط الهندي، وبازالة القاعدة البحرية الامريكية من جزيرة (دييغو غارسيا).

ففي صباح يوم ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨١ وصل إلى مطار (مانزيني) الواقع بالقرب من عاصمة (سوازيلاند) باص يقل (٤٠) مسافراً. واعتقد موظفو المطار ان هؤلاء الاربعين رجلا هم فريق رياضي. وبعد ان أنهى هؤلاء المسافرون الاجراءات الجمركية والأمنية اتجهوا إلى طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية الوطنية السوازيلاندية الملكية.

بعد بضع ساعات، هبطت الطائرة في مطار (بوينت لاري) في (سيشل). وعندما بدأ أعضاء الفريق الرياضي بالاستعداد لركوب الباص الذي سيقلهم إلى الفندق الذي سيقيمون فيه، شاهد أحد رجال الجمارك فوهة مدفع رشاش وقد برزت من إحدى الحقائب التي كان يحملها أحد أفراد الفريق الرياضي. وتم تفتيش الحقيبة، وتبين انها تحتوي على مخبأ سري. وكانت بقية الأمتعة قطعاً من السلاح مخبأة تحت مجموعة من الألعاب والسكاكر، وتم تسجيلها في الجمارك على أنها هدايا لمستشفى الأطفال المعوقين في (سيشل).

لكن أعضاء الفريق الرياضي حينما أدركوا أن لعبتهم قد اكتشفت، سارعوا إلى أسلحتهم، واشتبكوا مع قوات الأمن السيشلية التي تمكنت من قتل عدد منهم، وأسر سبعة آخرين بينما تمكّن الباقون من الفرار إلى جنوب افريقيا بعد أن قاموا باختطاف طائرة هندية.

لقد أصبح هؤلاء الرجال مرتزقة، بعد أن تم تجنيدهم من قبل مخابرات جنوب افريقيا والمخابرات الامريكية للاطاحة بحكومة (سيشل) تحت قيادة العقيد (ميشيل هور) من الكونغو، الذي يلقب

بـ (مايك المجنون) بسبب مرض التعطش للدماء المصاب به. وكانت عصاباته تضم مرتزقة امريكيين وبريطانيين وفرنسيين ونيوزيلانديين، لكن العدد الأكبر من هؤلاء كان من ضباط الأمن الروديسيين السابقين الذين هربوا إلى جنوب افريقيا بعد انتصار القوات الوطنية في زيمبابوي.

وكان قد حصل هؤلاء المرتزقة على مبلغ (١٠٠٠) دولار لكل فرد منهم، فإذا ما نجحت العملية، فان كل واحد سيحصل على عشرة آلاف دولار أخرى.

وقد اعترف كل من (روجر انغلاند) و (اوبري بروكس) وهما من المرتزقة الذين تم أسرهم بأنه كان لهم دورهم في محاولة الانقلاب، وانه كان عليهم تسليم السلطة ــ بعد نجاح الانقلاب ــ إلى حكومة محلية ثم الاختفاء.

وقال (اوبري بروكس) انه كان عليه أن يذيع من محطة اذاعة (سيشل) شريطين مسجلين جلبهما معه، الأول وبه تعليمات للمواطنين حول ما يجب عليهم عمله بعد الانقلاب، والثاني يعلن عودة الرئيس المخلوع إلى السلطة ثانية.

وأثبتت التحقيقات التي جرت فيما بعد أن المؤامرة تم تنظيمها بدقة، وانه تم اختيار « اخصائيين مهرة » لتنفيذها. وكان يفترض أن يكون (جيمس مانشام) هو الرئيس الجديد بعد ان كان قد تم خلعه عن السلطة عام ١٩٧٧. كما كان هناك برنامج معد سلفاً للحكومة الانقلابية المنتظرة أساسه سياسة خارجية موالية للغرب، وتأييد كامل لمغامرات الولايات المتحدة في افريقيا، وعلاقات صداقة مع جنوب افريقيا العنصرية.

أما (جيمس مانشام) فقد نفى تماماً أن يكون قد تورط في هذه المؤامرة، وكذلك فعلت حكومة جنوب افريقيا التي أعلنت بسرعة انها

« لا علم لها » بمحاولة الانقلاب. والشيء نفسه أعلنته الادارة الامريكية حينما غسلت يديها من القضية معلنة أنها ضد مثل أعمال العنف هذه من حيث المبدأ. وبكلمات أخرى فان هؤلاء الذين تكمن مصلحتهم في تغيير النظام في (سيشل) أعلنوا انه ليس لديهم أية علاقة بتلك المحاولة.

لكن هؤلاء الذين كانوا يقفون خلف هذه المؤامرة قد أخفقوا بإزالة آثارهم بشكل تام. ففي عددها الصادر يوم ٧ كانون الثاني ١٩٨٢ قالت صحيفة (الديلي تلغراف): « ان دلائل جديدة ظهرت من خلال التحقيقات تشير إلى ان عملاء المخابرات الغربية ـــ وبشكل خاص المخابرات المركزية الامريكية ـــ كان لديها علم مسبق بما جرى، ويمكن أن تكون قد قدمت التأييد والدعم بشكل سري ». وهناك أسباب قوية جداً للاعتقاد بأن كلا من مخابرات جنوب افريقيا والمخابرات المركزية الامريكية قد قامت برعاية العملية الموجهة ضد (سيشل). فعلاوة على ما سبق ذكره، فانه من المعروف لدى الجميع ان الولايات المتحدة الامريكية كانت ناقمة جداً على السياسة التي كان ينتهجها رئيس سيشل (فرانس البرت ريني) والذي كان يعارض مخططات الولايات المتحدة الرامية إلى زيادة (عَسْكَرة) المحيط الهندي. وصرح نائب وزير خارجية (سيشل) السيد (جرمييه بوننيلام) ان محاولة الانقلاب هي جزء من استراتيجية الولايات المتحدة التي تستهدف تأمين سيطرتها على المحيط الهندي. وأكد أن جنوب افريقيا العنصرية والمخابرات المركزية الامريكية هما اللتان قامتا بتنظيم المؤامرة بشكل مباشر.

في يوم ٢٧ آذار ١٩٨٢ نشرت الصحيفة الامريكية (بيبلز وورلد) ان المخابرات المركزية الامريكية كانت تعد مؤامرة للاطاحة بحكومة (جيري راولنغر) في (غانا) التي أعلنت ـــ بعد تسلمها السلطة أواخر عام ١٩٨١ ـــ عن تعهدها بمواصلة السير للوقوف في وجه النهج

الامبريالي. وأضافت الصحيفة ان محاولة الانقلاب هذه كانت نسخة طبق الأصل عن مشروع محاولة الانقلاب في (سيشل).

لقد قامت المخابرات المركزية الامريكية بتوزيع مبالغ كبيرة من الأموال من أجل تنفيذ العملية، كما قامت بتجنيد المرتزقة لحسابها في بريطانيا ودول أخرى. لكن العملية اكتشفت قبل وقوعها وذلك حينما قام (نك هول) وهو أحد أفراد الجيش البريطاني سابقاً بكشف بعض تفاصيل الخطة إلى الصحافيين. وحسب ما قال (هول) فان الاستعدادات لتنفيذ العملية قد اكتملت تقريباً، وان (كويزي اوفوري ـــ من غانا وهو رجل الارتباط التابع له هول) وصل إلى لندن قادماً من واشنطن ومعه (١٨٠,٠٠٠) دولار من المخابرات المركزية الامريكية لتنفيذ العملية، اضافة إلى (٩٠,٠٠٠) دولار للتخلص من (راولنغز). وخطط المرتزقة لشراء السلاح من جنوب افريقيا، والقيام بعمليات عسكرية ضد عدد من المدن الواقعة في غانا دفعة واحدة، واثارة حالة من القلق والاضطراب ضد الحكومة.

ولا بد من القول انه لا أحد يستطيع القول كم من العمليات الارهابية المشابهة لهذه تقوم المخابرات المركزية الامريكية بالتخطيط لها الآن في افريقيا. ان سياسة الارهاب الدولي التي تنتهجها الولايات المتحدة الامريكية في افريقيا تستخدم عدة أساليب وطرق من الصعوبة بمكان ـــ وعلى الغالب ـــ معرفتها. وسواء أطال الوقت أم قصر، فان الحقائق سوف تظهر، ومرة ثانية سيصعق العالم بهذه الأساليب الامبريالية الملتوية والقذرة.

واليوم، اعتاد الافارقة ان يروا ـــ من خلال الاقنعة التي ترتديها واشنطن ـــ تغييرات من وقت لآخر. والولايات المتحدة الامريكية سوف تلجأ إلى أية نشاطات ارهابية ـــ كما تقول مجلة (افريكا ـــ آسيا) ـــ إذا ما رأت أن مصالحها مهددة. ان واشنطن تعتبر أية محاولة يقوم بها

أي بلد لتحرير نفسه من أوضاع الاستعمار الجديد بمثابة تهديد لـ (المصالح الحيوية) للولايات المتحدة الامريكية، فهل يمكن للمرء أن يتخيل ارهاباً أسوأ من هذا الارهاب كما تتساءل مجلة (افريكا — آسيا) ؟.

ان الادارة الامريكية، وكذلك أولئك القائمين على جهاز المخابرات المركزية الامريكية لن يستطيعوا الاجابة عن هذا السؤال، لأن الارهاب كان دائماً وأبداً — ولا زال — سلاحهم الرئيسي في صراعهم من أجل سيطرتهم على العالم، والتحكم به.

الحرب ضد الحلفاء

لوللي زامويسكي

في شهر كانون الثاني عام ١٩٨١، صرح الرئيس (رونالد ريغان) إلى مجلة (الستيمانال) الايطالية بانه ينوي توجيه ضربة إلى تلك المراكز التي تقود الارهاب الدولي. وهكذا ـــ حتى قبل تسلمه لمنصبه كرئيس للولايات المتحدة ـــ بدأ الرئيس الامريكي حملة قُرر لها أن تلعب الدور نفسه الذي لعبته حملة « حقوق الانسان » التي قادها الرئيس (كارتر) كما يقول (الكسندر هيغ). ومنذ الأيام الأولى التي بدأت خلالها الادارة الامريكية الجديدة ـــ ادارة ريغان ـــ عملها، وجه (الكسندر هيغ) وزير الخارجية الامريكية السابق اتهاماته ضد الاتحاد السوفييتي بالعمل على « تدريب وتمويل وتسليح الارهابيين الدوليين ».[1]

وكانت حصة الأسد من حملة الافتراء هذه، والمعادية للاتحاد السوفييتي، موجهة إلى دول أوروبا الغربية التي كانت تعاني كثيراً من الارهاب ولكي تشارك الولايات المتحدة في حملتها هذه. فقد زعمت الولايات المتحدة الامريكية لحلفائها بان الاتحاد السوفييتي يلجأ إلى الارهاب من أجل اضعاف استقرار أنظمة الحكم في دول حلف الناتو وزعزعتها. وقاد هذه الحملة الاعلامية ـــ من بين مَن قادها ـــ الصحافي البريطاني (روبرت موس) صاحب الخبرة الطويلة في عمليات الاعلام

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز ـــ ٣ أيار ١٩٨١ ـــ ص ١.

المضلّل. ويكفي للمرء أن يتذكر ان هذا الصحافي كان ينتمي إلى مجموعة « دبابة التفكير » التي أنشأتها المخابرات المركزية الامريكية لزعزعة استقرار حكومة (الليندي) في (تشيلي). وانضمت الصحافية الامريكية (كلير سترلنغ) المقيمة في روما إلى زميلها البريطاني، وألفت بسرعة مذهلة كتاباً أسمته (شبكة الارهاب)، علّق عليه (الكسندر هيغ) مبتهجاً وملوحاً به بين يديه: « كل شيء هنا في هذا الكتاب ». لكن رجال الصحافة ــ مع ذلك ــ أصيبوا بخيبة حين وجدوا ان مقالات (موس) وكتاب (سترلنغ) لا أساس لهما من الصحة، وان تحامل وافتراء هذين الصحافيين واضح ومكشوف، ولا سيما أن المبادئ الأساسية التي استندت عليها هذه الحملة، والتي وصفتها الولايات المتحدة بأنها هامة، كانت حقيقتها هزيلة بشكل مثير للتعجب.

ثمة شيء ما أكثر أهمية من ذلك كان واضحاً. وهو انه جرت هناك محاولات لدعم افتراءات الكاذب المحترف (موس) وتلفيقات (سترلنغ). وتوقع الرأي العام أن تقوم المخابرات المركزية الامريكية ــ وهي مصدر المعلومات الرئيسي ــ بتقديم مساهمتها في هذه الحملة، لكن الذي حدث فجأة هو أن هذه المخابرات رفضت ذلك. والمطالب التي تقدم بها البيت الأبيض حول أن تلك الدلائل والاثباتات الواردة من قبل (موس) و (وسترلنغ) يجب أن تضاف إلى الحملة المعادية للسوفييت قد أصابت عملاء المخابرات بالدهشة على حد قول صحيفة (نيويورك تايمز). واعترفت المخابرات الامريكية ومكتب المباحث الفيدرالي، والاستخبارات العسكرية الامريكية بأنه ليست هناك أية معلومات عن تورط سوفييتي في عمليات الارهاب. وبناء على الحاح الادارة الامريكية، تقدمت المخابرات المركزية بثلاثة تقارير حول هذه القضية، وكانت نتيجتها دائماً « ليست هناك أدلة ».

وأوردت وكالة الاسيوشيتدبرس في أواخر عام ١٩٨١ نقلاً عن لسان

ناطق باسم المخابرات المركزية الامريكية، ان هذه المخابرات لن تنشر على المدى القريب أية معلومات ــ ولن تواصل كذلك البحث ــ حول قضية الارهاب الدولي. وكان السبب الذي تذرع به أولئك، هو ان مثل هذه المعلومات سوف تزيد من حدة النزاع، وتلفت الأنظار بشكل غير لائق إلى المخابرات المركزية الامريكية.

إن هذا التصريح يمكن اعتباره ــ على أقل تقدير ــ بمثابة اعتراف صريح: فان ادارة المخابرات المركزية قررت اعتبار أن البحث في قضية (العقل) المخطط للارهاب الدولي يمكن أن يقود إلى الحديث عنها، لأن الارهاب أصبح الاداة الرئيسية للسياسة الخارجية الامريكية، بما فيها الحرب السرية التي تشنها الولايات المتحدة ضد حلفائها منذ سنين عديدة. والآن، دعونا ننظر في بعض فصول هذه الحرب.

حقيبة يد السنيورة دونيّني

بعد ظهر يوم ٣ تموز عام ١٩٨١، هبطت في مطار (فيوميشينو ــ في روما) طائرة قادمة من مدينة (نيس) وعلى متنها عدد قليل من الركاب. وكان ضباط وموظفو الجمارك في المطار يستلقون باسترخاء تحت أشعة الشمس، حينما تقدمت منهم سيدة جميلة شقراء، وأبرزت لهم جواز سفرها الذي يحمل اسم (ماريا غراتسيا دونيني). وفجأة دبت الحياة بين ضباط المطار، فتم تفتيش أمتعة السيدة (دونيني) بدقة. وقام رجال الأمن بتمزيق أطراف حقيبة يد السيدة، ووجدوا ثمة أوراقاً مخبأة تحت ثنايا الحقيبة. تمت مصادرة الاوراق، واقتيدت السيدة (دونيني) إلى السجن.

كانت هذه الاوراق تحتوي على وثائق سرية حول البوليس الايطالي، وأسماء عدة سياسيين معروفين متورطين بعمليات وصفقات تجارية غير مشروعة. كما وجدت هناك عدة رسائل إلى أعضاء في المحفل

الماسوني الايطالي P-2 ، وصورة عن احدى الوثائق الامريكية السرية.

هكذا القى البوليس الايطالي القبض على ابنة (ليشيو غيللي) الرئيس الفخري الماسوني الايطالي P-2 ، والذي تمكن من الفرار إلى امريكا اللاتينية هرباً من تقديمه أمام المحكمة. وكانت مهمة (ماريا غراتسيا دونيني) في ايطاليا تقضي بان تزود شركاء (غيللي) بالوثائق التي يمكن استخدامها لابتزاز المسؤولين الايطاليين، وبعض المسؤولين في واشنطن، وفي مقر حلف الناتو.

لقد عمل (غيللي) طويلاً لصالح المخابرات المركزية الامريكية ولصالح الناتو، كما قام بتأسيس P-2 ، وهو محفل على درجة عالية من السرية في الحركة الماسونية الايطالية، وكان يهيء نفسه لاستلام السلطة في ايطاليا. ومن بين سلسلة المؤامرات التي أرهقت ايطاليا وقضت مضجعها خلال السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، كانت هذه المؤامرة التي وصلت إلى حدود التنفيذ، ولا سيما ان المتآمرين كانوا عديدين. ونورد هنا مقتطفات من المقابلة التي أجرتها مجلة (الاسبريسو) في عددها الصادر يوم ١٥ آذار ١٩٨١ مع الجنرال (غيان ادليو ماليتي) رئيس الاستخبارات الايطالية المضادة:

س: كم هو عدد الانقلابات التي دُبِّرَتْ خلال فترة عملك مع (سيد)[٢] ؟

ج: على الأقل خمسة، ولكنها لم تكن جميعها على مستوى واحد من الخطورة.

س: ان أول انقلاب حاول الأمير (بورغس) القيام به كان في كانون

(٢) سيد هي المخابرات الايطالية وأعيد تنظيمها لتضم عدة فروع، وكان اسمها قبل ذلك (سيفار).

الأول ١٩٧٠. بصراحة: هل وجه هذا تهديداً خطيراً للديمقراطية في ايطاليا ؟

ج: لا. ان (بورغس) ما كان لينجح بالاستيلاء على روما. لكن سفك الدماء كان محتملاً.

س: وهل كانت مؤامرة (وردة الرياح) أكثر خطراً ؟

ج: ان المحاولة أخفقت في أن تصبح حقيقة. لكن المتآمرين استطاعوا ايجاد مشاكل خطيرة جداً.

س: كانت محاولة (ادغاردو سوغنو) هي الثالثة، فكيف تنظر إليها ؟

ج: انها أيضاً تسمى بـ (التمرد الأبيض) لانها لم تكن تستهدف أن تتطور إلى انقلاب فعلي. إن (سوغنو) كان يحاول الحصول على تأييد لبرنامجه من أجل تغيير الدستور، وهو لم يكن ينوي استخدام القوة.

س: والمحاولتان الأخريان ؟

ج: يمكن القول انهما كانتا الأكثر خطورة. فقد وقعت الأولى عام ١٩٧٤، حينما تآمر بعض ضباط الدبابات الصغار مع بعض العسكريين الكبار وكانوا على استعداد للسيطرة على روما. وكانت الخطة تقضي باعتقال الرئيس (ليوني) لاجباره على تأييد المتآمرين. وقد تم احباطها في اللحظات الأخيرة. أما الثانية فقد حدثت بعد تلك الأولى بحوالي شهر، وكان أتباع (بورغس) متورطين فيها، وقد استطعنا تجنبها أيضاً ».

خمس مؤامرات في غضون خمس سنوات... ويمكن للمرء أن يضيف إليها مؤامرات أخرى. فخلال سنوات الستين حاول الجنرال (دي لورنزو) الذي كان رئيساً لـ (سيفار ـ المخابرات الايطالية) الاستيلاء على السلطة، وكان اسم هذه العملية (عملية سولو) وتقضي بفرض

حظر على الاحزاب اليسارية، وعلى الاتحادات، واعتقال زعمائها. وبعد انكشاف هذه المؤامرة أعيد تنظيم (سيفار) وأصبحت تعرف اختصاراً باسم (سيد). لكن تغيير الاسم لم يكن يعني تغييراً في طبيعة هذه المنظمة: فقد قدمت مساعدتها إلى إستخبارات الناتو من أجل التحضير لعملية (انتاركتيس) التي كانت موازية لتفاصيل عملية (بروميثيوس) التي نقلت السلطة في اليونان إلى أيدي (الكولونيلات السود). وحقيقة، فان ايطاليا على امتداد سنوات ما بعد الحرب، كانت تعيش في ظل مؤامرة معادية لحكومة شاملة. لقد تغير المشاركون، وكذلك الجماعات التي كانت تنفذ المؤامرات، لكن الهدف الرئيسي بقي ولم يتغير، وهو ضرب القوى الديمقراطية، وجر الحركة العمالية إلى سفك الدماء، واقامة ديكتاتورية رجعية.

ان الجنرال (ماليتي) حاول ان يقلل من الخطر الفعلي لهذه المؤامرات. وكما وجدت في حقيبة (السنيورة دونيني) أسرار، كذلك هناك شيء سري في المقابلة التي اجريت معه، ولم يكشف النقاب عنه. ان الأمير الفاشي (فالريو بورغس) قام بتسليح عصاباته بأسلحة من مستودع أسلحة وزارة الداخلية، وكان على وشك احتلال البنايات الحكومية ومحطة التلفزيون.

لقد رسم المتآمرون خطة تستهدف الاعلان ان (بورغس) هو (موسوليني) اليوم، وكذلك تحريك المتعاطفين معهم في الجيش: لواء الدبابات بقيادة الجنرال (هوغو ركسي) واللواء المدرع الثالث والموضوعات بالقرب من القواعد الامريكية. وباشراف مباشر من الكولونيل (آموس سبيازي) تقوم الوحدات المتمردة بعزل روما عن الشمال الايطالي.

وبعكس ما حاول (ماليتي) تأكيده خلال المقابلة، فان « التمرد الأبيض » الذي حاول (سوغنو) القيام به — وهو عضو في المحفل

P-2 ، و « مقاتل » في حركة المقاومة كما كان عميلا للاستخبارات الامريكية ضمن حركة المقاومة ـــ كان من المفروض أن يكون هذا الانقلاب سريعاً، ومفاجئاً وعنيفاً، وبلا رحمة، حسب تعبير الذين خططوا لهذه العملية. وكان هدف الانقلابيين الحقيقي تعيين الديكتاتور (راندولفو باكسياردي) وزير الدفاع السابق رئيساً للبلاد.

ان اخفاق (ماليتي) وعدم مقدرته على كشف هذه الأمور يعبر عن نفسه: فالاستخبارات الايطالية كان لها الدور الرئيسي في قيادة كل هذه المؤامرات. و (ماليتي) والجنرال (ميسلي ـــ رئيس سيد) كانا عضوين نشيطين في المحفل P-2 الذي عمل على تقديم المساعدات لكل المؤامرات التي اكتشفت، واستبدال المتآمرين بأشخاص جدد بدلاً عنهم. وقد اطلع الرأي العام على هذه الأمور، بعد مرور أيام قليلة فقط على نشر المقابلة الصحافية مع (ماليتي) حيث اضطر إلى الهرب إلى جنوب افريقيا تخوفاً من تقديمه إلى المحكمة ومحاكمته بتهمة الاجرام.

ومجمل هذه الأمور تفسر لماذا لم يستطع الجنرال (ماليتي) الاشارة إلى المخابرات المركزية الامريكية المنظم الرئيسي لكل هذه المؤامرات. ان المخابرات المركزية الامريكية، واستخبارات الناتو ـــ أدوات المجمع الصناعي الحربي الامريكي ـــ تقف على رأس حرب التخريب السرية التي تشنها الولايات المتحدة الامريكية ضد حلفائها، وهي التي ترسم استراتيجية هذه الحرب.

وثيقة الجنرال وستمورلند

ان الوثيقة الامريكية السرية التي وجدت بين اوراق (ماريا غراتسيا دونيني) كانت تحمل عنوان (الدليل المبسط لعمل الاستخبارات ـــ مهمات خاصة) وقد أعدت هذه الوثيقة عام ١٩٧٠، وعهد بالاشراف على تنفيذها إلى الجنرال (وستمورلند) رئيس هيئة الأركان الامريكية

المشتركة، وقائد القوات الامريكية السابق في فيتنام. وتمكنت الصحف الامريكية والفرنسية والايطالية والاسبانية من نشر مقتطفات من هذه الوثيقة، لكن واشنطن كانت تسارع إلى نفي هذه الأخبار. وبكل تأكيد، فان (غيللي) كان يعلم كل شيء عن هذه الوثيقة، وسارع هو نفسه بارسال هذه الوثيقة إلى المجلة الاسبوعية الفاشية (بورغس) التي يشرف عليها زميله (ماريو تيديشي وهو عضو في محفل الدعاية الماسوني **P-2** ورقم بطاقة العضوية ٢١٢٧) بهدف نشرها، وكان السبب في ذلك واضحاً: فان (غيللي) وهو عميل للمخابرات المركزية الامريكية أراد أن يؤكد على أن خطط التحرك الموجودة في الوثيقة هي صحيحة، ومطابقة تماماً للدور والهدف الذي يسعى إليه المحفل الماسوني **P-2.**

في إحدى فقرات هذه الوثيقة نقرأ ما يمكن أن يعطينا صورة واضحة عن العقيدة السياسية للارادة الامريكية، حيث نجد أن الولايات المتحدة هي وحدها التي تقرر « أي نظام يستحق دعمها الكامل » وهذا الدعم سوف يتوقف « إذا أصبحت هذه الدولة التي تتمتع بدعم وبتأييد الولايات المتحدة ضعيفة وعاجزة في حربها ضد الشيوعية أو ضد أي « تمرد أو عصيان » تشتم منه رائحة الشيوعية سواء أكان ذلك بسبب نقص في القوة أم بسبب تقاعس ارادة هذا النظام عن التصدي لذلك... أو اذا تحول موقف هذا النظام ليصبح موقفاً قومياً متطرفاً يتعارض مع مصالح الولايات المتحدة الامريكية أو يكون معادياً لها ».

فاذا كانت الولايات المتحدة ــ باعتبارها الحكم الوحيد ــ هي التي تقرر فيما إذا خرق حلفاؤها القواعد والحدود المرسومة لهم، فان ذلك يعني انها سوف « تدافع » عن حقوقها لاجراء « تعديلات في طبيعة ذلك النظام » في الدول المتحالفة معها. وتتابع هذه الوثيقة الحديث فتقول: ان الاستخبارات العسكرية الأمريكية « يجب أن تمتلك كافة الوسائل للقيام

بعمليات خاصة من أجل اقناع الرأي العام وكذلك الدول الصديقة بحقيقة الخطر المحدق من قبل العصاة، وضرورة القيام بعمل حاسم. ومن أجل هذا الهدف، فان على الاستخبارات العسكرية الامريكية أن تعمل على اختراق حركات العصيان والتمرد عن طريق زرع عملاء لها وفق مهمات خاصة مع العمل على تشكيل فرقة عمليات خاصة من وسط الجماعات الأكثر راديكالية والتي تقوم بعمليات العصيان. وعندما يحين الوقت المناسب، فان هذه المجموعات ـ التي تعمل تحت إمرة الاستخبارات العسكرية الامريكية ـ يجب أن يتم استخدامها للقيام بأعمال العنف أو غير ذلك... ويمكن أن يساعد ذلك في تحقيق الأهداف المشار إليها أعلاه للاستفادة من تلك الحركات اليسارية المتطرفة »[3].

ان هذا الأسلوب الذي تتبعه الولايات المتحدة من أجل اثارة الاضطرابات والقلاقل انما يعكس ما يمكن أن يسمى باستراتيجية التوتر والتي طالما ساعدت المتآمرين الامريكيين وشركاءهم الايطاليين على تهيئة الارضية من أجل اقامة نظام فاشستي. ان استراتيجيي حلف الناتو يقتدون اليوم بالنازيين ولنتذكر عملية احراق الرايخستاغ الاستفزازية التي قام بها الهتلريون انفسهم لاتهام « الحمر » والتخلص من المعارضة، فيقومون بأعمال العنف والارهاب والاعدام في حربهم التي يخوضونها ضد اليسار في اوروبا الغربية.

لقد ركزت المخابرات الامريكية اهتماماتها على ايطاليا منذ شهر نيسان ١٩٦٧ وذلك حينما استلم الفاشيون العسكريون السلطة في اليونان. فلماذا تم اختيار ايطاليا من بين الدول الأخرى ؟ مؤخراً، تم في الولايات المتحدة الافراج عن وثيقتين لمجلس الأمن القومي الامريكي

(٣) نقلًا عن : عمليات سرية، العدد ٣، كانون الثاني ١٩٧٩، ص ١٨.

مؤرختين في ١٠ شباط و ٨ آذار ١٩٤٨.وقد احتوت هاتان الوثيقتان على برنامج أساسه « استراتيجية التوتر »، وأورد منه ما يلي: « ان الهدف الرئيسي للولايات المتحدة الامريكية في ايطاليا هو تهيئة وتعزيز الظروف الملائمة لأمننا القومي... ان أمن شرقي البحر المتوسط والشرقين الأوسط والأدنى يمكن أن يكون عرضة للخطر فيما إذا نجح الاتحاد السوفييتي في جهوده التي يبذلها من أجل تأمين « سيطرته » على أي واحد من البلدان التالية: ايطاليا، اليونان، تركيا، أو ايران » ودعونا نستذكر ان الرطانة البلاغية الامبريالية في كلمة « سيطرة » تعني حكومة يسارية تستلم السلطة بطريقة شرعية برلمانية.

لقد استطاعت الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٤٧ ان تضمن استبعاد الوزراء الشيوعيين من الحكومة في كل من فرنسا وايطاليا. لكن أول انتخابات بعد الحرب كان مقرراً لها أن تجري في نيسان عام ١٩٤٨ في ايطاليا، وكانت واشنطن تخشى كثيراً من فوز الشيوعيين وحلفائهم في تلك الانتخابات، فقامت بصرف ملايين الدولارات لاستمالة ورشوة السياسيين وجمهور الناخبين الايطاليين. وكانت أسباب ذلك سياسة واستراتيجية في المفهوم العسكري حيث يقول التقرير المشار إليه اعلاه: « ان موقع ايطاليا في البحر المتوسط يتحكم بخطوط شبكة المواصلات مع الشرقين الأدنى والأوسط، ويحيط بدول البلقان. ومن القواعد الواقعة في ايطاليا يمكن للدول المسيطرة على هذه القواعد (الولايات المتحدة) ان تتحكم في حركة المرور بين جبل طارق وقناة السويس، وأن تستخدم قوة جوية ضخمة ضد أي نقطة في البلقان أو المنطقة المحيطة بها »[٤]

(٤) العلاقات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ١٩٤٨، المجلد ٣ ص ٧٦٥ ــ ٧٦٩. مكتب النشر الأمريكي الحكومي. واشنطن ١٩٧٤.

ومن أجل تحقيق أهدافها، فان الولايات المتحدة الامريكية كما يقول التقرير: « على استعداد لاستخدام كل قوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية إذا كان ذلك ضرورياً وهذا يعني أن الوعد بتقديم المساعدة الامريكية الفعالة يعني تشجيع العناصر غير الشيوعية في ايطاليا على بذل جهودهم الدائمة ــ وحتى المخاطرة بنشوب حرب أهلية ــ لتجنب الاندماج مع الشيوعيين في السلطة ». وهنا يمكن للولايات المتحدة أن تقوم « بتعبئة عسكرية محدودة » اضافة إلى « تقديم المساعدة المادية والعسكرية للايطاليين المعارضين للشيوعية »[٥]. فاذا أخفقت خطة الاطاحة بالحكومة الشرعية، تكون الولايات المتحدة الامريكية قد أعدت خطة لغزو جزيرتي (صقلية) و (سردينيا). وكانت هناك مجموعات من الخونة في هاتين الجزيرتين على استعداد لاعلان انفصالهم عن ايطاليا ورغبتهم في الانضمام إلى الولايات المتحدة. وكانت (المافيا) في (صقلية) تقود الحركة الانفصالية على أمل استخدام عملية الانفصال المقترحة من أجل الحصول على أرباح ومغانم لها من عمليات تهريب المخدرات وكافة الأعمال غير المشروعة.

وحتى اليوم، فإن المخابرات المركزية الأمريكية لا زالت تشجع الاتجاهات الانفصالية ودعونا نقرأ ما كتبته مجلة (الاسبريسو) في معرض حديثها عن تقرير مجلس الأمن القومي : « بكلمات أخرى، فإن الولايات المتحدة كانت تحاول اثارة الحرب الأهلية واقامة نظام يميني ديكتاتوري ».

الثلاثي « م »

ذات مرة، سألت السيدة (كلير بوث لوسي) سفيرة الولايات المتحدة في ايطاليا خلال الخمسينات وزوجة مالك مجلة (تايم) ــ

---

(٥) المصدر السابق، ص ٧٦٧ ــ ٧٧٧ ــ ٧٧٩.

سألت (سايروس سلزبيرغ) : « هل يمكن للمرء أن يضع شعر توماس جيفرسون المستعار على رأس موسوليني ». ويقول (سلزبيرغ) : « ان السيدة لوسي لا تخفي انزعاجها وازدراءها لأي نشاط ذهني، وأي ذكاء واضح لدى أي شخص .. وهي تقول ان الايطاليين فاسدون وجبناء لأنهم لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم بالطرق والوسائل الديمقراطية. وتقول ان امكانية قيام حكومة قوية تكون قادرة على الاستمرار في ممارسة مهامها لفترة طويلة ـــ والأمر نفسه ينطبق على فرنسا ـــ غير متوفرة، ومن يعتقد بغير ذلك، فإنه لا يفهم ايطاليا. وأفضل حل هو أن يتسلم اليمينيون السلطة لتقوم مثل هذه الحكومة ».

وكانت تعتمد بذلك على الحركة الاجتماعية الايطالية (ميسيني) وهي واحدة من ثالوث ميمي هو أساس السياسة الأمريكية في زرع الاستقرار أو عدم الاستقرار في ايطاليا. أما القطب الثاني من هذا الثالوث الميمي فهو (المافيا) والقطب الثالث هو (الماسونية). أما الأسباب التي جعلت هاتين المنظمتين تصبحان المساعد الرئيسي للمخابرات المركزية الأمريكية في ايطاليا ـــ إلى جانب الفاشيين ـــ فهي تلك السرية والوحشية التي تمتاز بهما المافيا، وتلك الشبكة المرنة والقوية للماسونية، اضافة إلى أن هاتين المنظمتين معاديتان للشيوعية وقدمتا فرصة نادرة للأمريكيين لتحقيق أهدافهم بعيداً عن القنوات الرسمية وبأقل قدر ممكن من المخاطر وبأقصى ما يمكن من تأثير وفعالية. ان الفعالية التي تتمتع بها المافيا قد أثبتت وجودها داخل الولايات المتحدة نفسها، حيث تمكنت من انشاء مؤسسات منيعة وفعلية للقيام بأعمال الجريمة. وحينما احتاجت المخابرات العسكرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية تأييد الأمريكيين الايطاليين تم نقل (سلفادور لوسانيا ـــ والمعروف جيداً باسم لوسيانو المحظوظ) من السجن إلى فندق فخم بهدف تسهيل عمليات الاتصال مع المافيا في جزيرة صقلية. وعشية نزول القوات

الأمريكية هناك، أعطيت التعليمات لهذه القوات لاقامة « علاقات واتصالات مع زعماء تنظيمات متطرفة سرية وتقديم المساعدة الممكنة »[٦].

بهذه الطريقة إذن أرست المافيا والإستخبارات العسكرية الأمريكية أسس التعاون المستقبلي بينهما واللازم لعمليات التخريب التي سيقومون بها، والمتمثلة في الاغتيالات السياسية، واثارة القلاقل والاضطرابات.

كذلك فضلت المخابرات المركزية الأمريكية التعامل مع الحركة الماسونية، لأن هذه الحركة ــ على غرار المافيا ــ هي على غاية من السرية، اضافة لكونها لا تحمل ظاهرياً على وجهها تلك البشاعة الموجودة لدى المافيا. وخلال الثورة الفرنسية فإن العديدين من أعضاء حركة التنوير الفلسفية كانوا ماسونيين، كذلك فإن (غاريبالدي) و (مازيني) كانا أيضاً ماسونيين، ولكن ذلك كان منذ زمن بعيد. ان طبيعة البناء الذي تقوم على أساسه المحافل الماسونية كونها تضم ما يمكن أن يسمى بـ « النخبة » وكذلك الامتيازات التي تمنحها لأعضائها، ان هذا قد أدى الدور المناط بالماسونية على اتم وجه. والأعضاء الجدد الذين ينتمون إلى الماسونية اليوم هم ــ كقاعدة عامة ــ من الرأسماليين، والسياسيين ذوي الاتجاهات الرجعية، وفي الوقت ذاته فإن وعود الماسونية بالعمل من أجل المساواة ومن أجل تحقيق الشعارات الثورية التي كانت تطرحها، غدت اليوم مثاراً للسخرية وللهزء من قبل الناس في كل مكان. وأصبح من الواضح لدى الماسونية ان المخابرات المركزية الأمريكية وأداتها التابعة ــ مكتب الخدمات الاستراتيجية أو. اس. اس ــ هما الملجأ الوحيد من أجل البحث عن فرص هامة تمكنها من توسيع نطاق سيطرتها السرية في اوروبا المحررة حديثاً.

(٦) تاريخ المافيا منذ نشوئها وحتى اليوم، غايا سرفاديو، مافيوس، ص ٨٢. سيكرو وربرغ لندن. ١٩٧٦.

وفي بداية عام ١٩٤٢، فوض مكتب الخدمات الاستراتيجية (ماكس كورفو) وهو أمريكي من أصل ايطالي، بوضع « خطة للجاسوسية الايطالية » للعمل على تجنيد المهاجرين الماسونيين الايطاليين كعملاء لهم. وبالفعل نجح (كورفو) بتجنيد (ببينو لوبيس ــ جوي) ليصبح في النهاية وزيراً في الوزارة الايطالية وكان العميل الثاني هو (راندولفو باكسياردي) من محفل غاريبالدي في نيويورك. وللحقيقة، فإن (راندولفو) كان يقاتل في صفوف الجمهوريين خلال الحرب الأهلية الاسبانية، حتى ان المخابرات المركزية الأمريكية ومكتب الخدمات الاستراتيجية اعتقدا خطأ انه ذو ميول يسارية، وحول ذلك، كتب (كورفو) في مذكراته : « اية خطيئة هذه ! يكفي للمرء أن يتذكر كيف أعاد هذا الرجل تنظيم القوات العسكرية الايطالية خلال الحرب الباردة ». ان هذا العميل الأمريكي استحق فيما بعد منصب وزير الدفاع. وقد كتب (همنغواي) بسخرية مميتة عن الوزير « الجليل » في كتابه (عبر النهر وظل الأشجار). وفيما بعد، أصبح (باكسياردي) معبود القوى المناصرة للفاشية والتي تقاتل من أجل اقامة ديكتاتورية في ايطاليا. ونجح (كورفو) أيضاً حينما استطاع أن يضم المحامي الصقلي (سندونا) إلى شبكته، والذي أصبح فيما بعد صاحب بنك، وتعاون مع المخابرات المركزية الأمريكية في عمليات لتنظيم المؤامرات، وقام كذلك بتمويل المحفل بروباغندا **P-2**.

ان الأمريكيين يعرفون جيداً كيف يمكنهم استغلال هؤلاء العملاء واستخدامهم. ويقول (كورفو) عن خطته التي أعدها، ووافق عليها مكتب الخدمات الاستراتيجية : « انها لم تكن فقط خطة من أجل التجسس، ولكنها أيضاً من أجل الحرب النفسية »[٧]، الحرب ضد

(٧) مجلة (الاسبريسو) ٢ شباط ١٩٨٠، ص ٤١ ــ ٤٩.

أحزاب، ومنظمات الطبقة العاملة .. وحرب ضد القوى الديمقراطية وقوى السلم. وكان هناك آخرون قاموا بمتابعة المهمة التي أوكلت الى (كورفو) فنجد (جيمس انغلتون) وهو « شاعر المخابرات » الذي أدخل أعضاء جدداً إلى شبكة (كورفو)، ومنهم مجموعة من الضباط كان (انغلتون) قد قام بحمايتهم أثناء حملة التطهير المعادية للفاشية، فقد بقي هؤلاء الضباط « مخلصين » لـ (موسوليني) حتى بعد قيام (سكورزيني) باختطاق (الدوتشي) من المعتقل الذي كان فيه وايصاله إلى عرّابي الغستابو في (جمهورية سالو) في شمال ايطاليا، وحسب ما يقول (كورفو) فإن هؤلاء الضباط كان من السابق لأوانه تعيينهم في البوليس أو المخابرات الايطالية، ولذلك تم ارسالهم بواسطة (انغلتون) إلى اسبانيا ليتمتعوا هناك بحماية (فرانكو). بعد ذلك، بدأ كل من (الجنرال وولترز ــ أحد رؤساء المخابرات المركزية الأمريكية وهو المساعد الشخصي للرئيس ريغان حالياً) و (وليم كولبي ــ الذي هو البلاء الأعظم الذي حل على فيتنام، ومدير المخابرات المركزية الأمريكية سابقاً) و (وليم كنغ هارفي ــ مؤسس ما يسمى بـ « عصارة الموت » وهي دائرة تابعة للمخابرات المركزية الأمريكية متخصصة في عمليات الاغتيال السياسي، أو يمكن تسميتها بأنها عصارة الـ سي. آي. ايه) بدأ هؤلاء الثلاثة تجاربهم الميدانية في ايطاليا بهدف تقويض البناء الديمقراطي للبلاد. وقد أخذ هؤلاء يعملون بتنسيق تام مع السفارة الأمريكية في ايطاليا.

يقول (وليم كولبي) متحدثاً عن اعجابه بـ (كلير بوث لوسي) : « ان كلير بوث لوسي كان لها دور جوهري ــ ويداً بيد مع المخابرات المركزية الأمريكية ــ في العمليات التي نفذتها الـ سي. آي. ايه. عبر سفارة السيدة لوسي ... ان السيدة لوسي جذابة جداً، ذكية، حسنة الاطلاع، متزنة، تحسم أمورها بسرعة، شديدة الثقة بنفسها، ولا تترك أي

أثر يدل على الشخص الذي نفذ المهمة ... ان السيدة لوسي على رأس قائمة السفراء الأقوياء والفعالين الذين حازوا على اعجابي ». وهكذا يصبح بإمكاننا ان نفهم لماذا أرادت السيدة لوسي « ان تضع شعر توماس جيفرسون المستعار على رأس موسوليني ». ولأنها كانت كذلك، ولأنها نجحت في صراع السفراء تجاوزت حدود صلاحياتها، وأخذت تبدي استبدادها، واملاءاتها حول من يجب ان يكون داخل الحكومة الايطالية، ومن يجب أن يستبعد من ذلك، ولقد كانت صريحة في معارضتها لانتخاب (جيوفاني غرونشي) من الحزب الديمقراطي المسيحي (الجناح اليساري) كرئيس لايطاليا[٨].

تصفية ماتي

كان (جيوفاني غرونشي) يرغب بتطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي، وكان أول رئيس ايطالي يقوم بزيارة للاتحاد السوفييتي. وسرعان ما انتعشت التجارة بين هذين البلدين. وكان لـ (انريكو ماتي — وهو صديق الرئيس ومقاتل في حركة المقاومة سابقاً، ورئيس الجمعية الوطنية للنفط السائل) دوره ومساهمته في تطوير العلاقات التجارية ووجوه التعاون الاقتصادي الاخرى بين البلدين. وكرجل يحب المغامرة، فإنه بذل أقصى جهد من أجل التغلب على مشكلة العجز المزمن في الطاقة الذي جعل النمو الاقتصادي الايطالي بطيئاً. وقدم كل مساعدة ممكنة في عملية التنقيب عن غاز الميثان في شمال ايطاليا، وكذلك التنقيب عن النفط في صقلية. ثم أقام علاقات مباشرة مع الدول العربية المنتجة للنفط، مما كان يشكل تهديداً خطيراً لمصالح الاحتكارات النفطية الغربية. أيضاً، فإنه بادر إلى شراء النفط

---

(٨) عام ١٩٨٢، عين رونالد ريغان لوسي ضمن مجلس من ثلاثة أعضاء لمراقبة عمليات المخابرات الأمريكية.

السوفييتي، وعمل على ابرام العقود السوفييتية مع العديد من الصناعات الايطالية.

ان موقف (ماتي) هذا هو موقف مناقض، ومعاد للهيمنة والاملاءات الأمريكية، وطبقاً لوثيقة (وستمورلند) فإن هذا الموقف يعد « موقفاً وطنياً متطرفاً ». وكما تشير الأحداث التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، فإن الولايات المتحدة عملت على ضرب مصالح حلفائها الاقتصادية عن طريق اجبارهم على بيع النفط إلى الشركات النفطية الاحتكارية، وبالاسعار التي تحددها هذه الاحتكارات، وكان هذا الأمر مهماً بالنسبة للطبقات البورجوازية الأمريكية، وكذلك في عملية تصعيد التوتر الدولي، وتصعيد سباق التسلح. إن الاحتكارات النفطية كانت توظف ــ وعن طيب خاطر أرباحها وعائداتها في الصناعات الحربية بما فيها الالكترونيات والصواريخ. كذلك، فإن هذه الاحتكارات عملت وبنشاط من أجل فرض سيطرتها على القضايا والمشاكل الدولية عبر البيت الأبيض. ولا عجب في ذلك، فإن المقاطعة الأمريكية والعقوبات التي فرضها كل من (كارتر) و (ريغان) على الاتحاد السوفييتي شملت الالكترونيات، وكذلك معدات استخراج النفط. ان الأرباح والفوائد الضخمة من عمليات المضاربة في بيع النفط والتي عملت على احداث تضخم في الأسعار، هي مهمة أيضاً بالقدر نفسه لأهمية الفوائد الناتجة عن المبيعات العسكرية. وبالاضافة إلى ذلك، فإن عداءهم للاتحاد السوفييتي مكنهم من اللعب والاحتيال حتى على البورجوازيات الأوروبية الغربية المعادية للشيوعية، وخداع شركائهم الأوروبيين بالزعم ان ارتفاع أسعار النفط هو سبب ارتفاع أسعار المبيعات العسكرية. ان زعماء الولايات المتحدة الأمريكية، ويمكننا تسميتهم بحكم الأقلية، كانوا ولا زالوا يسعون دائماً إلى هدفين في عملية محاربتهم للانفراج الدولي. الأول كان ولا زال الحاق أكبر قدر ممكن من الخسائر باولئك الذين

يعارضونهم، وكذلك انزال الخسائر حتى « بأصدقائهم » لأن هؤلاء ينافسونهم أيضاً. وحينما تصبح بلايين الدولارات تحت الخطر، فإن أية « جريمة سوف تكون مقبولة ».

ان العملية التي انتهت يوم ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٢ بتحطم طائرة (انريكو ماتي) الخاصة، قد تم التخطيط لها في واشنطن تحت رعاية (وليام هارفي) الذي قام بتجنيد (روسيللي) أحد زعماء المافيا الأمريكية من أجل تنفيذها. و (روسيللي) هذا، الذي كان قد أصبح غنياً نتيجة عمله في صناعة السينما وفي الأندية الليلية، كان له دوره ومشاركته في المؤامرات التي أعدتها المخابرات المركزية الأمريكية ضد (فيديل كاسترو). وثبت فيما بعد تورطه في عملية اغتيال الرئيس كيندي (ان المصالح النفطية كان لها دورها في هذه العملية). وكشأن العديد من الشهود غير المرغوب فيهم في هذه القضية، فقد تمت تصفية (روسيللي) : فبعد مأساة (دالاس) تم قتل (روسيللي) شنقاً، وقطعت أوصاله، ورميت في البحر. وعلى أية حال، فإن تورطه في عملية اغتيال (ماتي) كان مقدمة لاغتيال (جون كيندي).

لقد أوكل (روسيللي) تنظيم عملية تحطيم الطائرة إلى (كارلوس مارسيللو) زعيم المافيا في ولاية (لويزيانا). في ذلك الوقت، كان (توماس كارامسينس) رئيس مكتب الـ سي. آي. ايه. في روما، يدرس تفاصيل العملية مع الجنرال (دي لورنزو) رئيس الأمن الايطالي. وقد غادر (كارامسينس) ايطاليا بعد موت (ماتي) مباشرة، ليقود فيما بعد عملية الاطاحة بحكومة (الليندي) في تشيلي.

ان عملية اغتيال (ماتي) تركت آثاراً طويلة المدى. فقد فعلت المخابرات المركزية الأمريكية كل ما يمكنها فعله بالتعاون مع عملائها، من أجل الحصول على امتيازات من (الجمعية الوطنية للنفط السائل) لصالح « الشقيقات السبع ».

أما الذين حاولوا كشف الغموض الذي أحاط بموت (ماتي) فإنهم اختفوا : فقد قتل الصحافي الصقلي (مورو دي مورو) الذي قام بجمع معلومات عن أيام (ماتي) الأخيرة في (صقلية) عشية رحلته المشؤومة إلى (ميلانو). وكان هذا هو المصير نفسه للجنرال (سكاجليوني) المدعي العام الذي هو المفروض انه يعرف الكثير عن اغتيال (ماتي) واختفاء (دي مورو). ولم يكن مصير القاضي (فرانسيسكو كوكو) الذي وصل إلى (صقلية) قادماً من (جنوى) للتحقيق في مقتل (سكاجليوني) بأفضل من مصير سابقيه. ان كل هذه الجرائم تم تنفيذها بسهولة بواسطة النشاط المشترك والمنظم للمخابرات المركزية الأمريكية، والثالوث الميمي (م) والاستخبارات الايطالية.

آلية الاثارة

في عام ١٩٧٩، تناهت إلى اسماع الناس في منطقة (كاتانزارو) في جنوب ايطاليا الأخبار التي تقول بأن سلسلة الانفجارات التي وقعت في (روما) و (ميلانو) عام ١٩٦٩، هي من فعل عملاء المخابرات الايطالية واليونانية. واضطر الفاشي (فيتو ميسلي) وهو رئيس سابق للإستخبارات الايطالية، للاعتراف بأنه كانت هناك مجموعة سرية داخل (سيد ــ الإستخبارات الايطالية) كان يسميها (سوبر ــ سيد) مهمتها التعامل في القضايا الهامة جداً. وتقول مجلة (بانوراما) : « ان هذه المجموعة السوبر ــ سيد هي ذلك الجهاز الذي يربط الإستخبارات الايطالية مع نظيراتها في دول حلف الناتو الأخرى ». ومنذ فترة طويلة جداً، فإن المخابرات المركزية طلبت من هذا الجهاز الحساس وغير الخاضع لأية مراقبة تنفيذ العملية المسماة بعملية (ديمغنتايز) وكتب (روبرتو ماينزا) في كتابه (الأعمال البشعة) والذي نشره في (ميلانو) عام ١٩٧٩، انه « كانت هناك خطة للقيام بسلسلة هجمات متواصلة معادية للشيوعية ». وتم رسم هذه الخطة على يد المخابرات

المركزية الأمريكية، ومخابرات (الناتو) ليتم تنفيذها في ايطاليا وفرنسا وقام بالاشراف على التنفيذ من الجانب الأمريكي الجنرال (وولترز) وأعقبه بعد ذلك (كارامسينس) رئيس مكتب الـ سي. آي. ايه. في روما.

وكان تمويل مجموعة (السوبر ـ سيد) يأتي غالباً من امريكا، وتقول مجلة (بانوراما) : « ان هناك شكوكاً تدور حول تورط سوبر سيد وحدها في الأعمال الارهابية التي وقعت في ايطاليا ... ويبقى السؤال المطروح الآن هو فيما اذا كانت الأموال التي تسلمتها السوبر ـ سيد من المخابرات المركزية الأمريكية قد استخدمت فقط لتمويل اليمينيين أم أنها بقيت في جيوب أولئك الذين يعملون من أجل استراتيجية التوتر ».

ان هذا السؤال يجيب عن نفسه بنفسه، فإن نظرة سريعة كافية لكي ترينا تورط المخابرات المركزية الأمريكية بشكل فعلي في كل الجرائم والفضائح التي هزت ايطاليا.

فمنذ عام ١٩٦٣، بدأ الميالون إلى الفاشية داخل الجيش الايطالي بالاستعداد لمحاربة « التهديد الشيوعي » وكان على رأسهم الجنرال (آلوجا) رئيس هيئة الأركان في الجيش الايطالي، أما ساعده الأيمن فكان الصحافي الفاشي (غويدو غيانيتيني) الذي قدم مساعداته عبر ابتكار « مناهج » جديدة في « الحرب النفسية ».

واقترح (غيانيتيني) استخدام « تقنية اختراق القوى السياسية المعادية ». وكان أحد اولئك الذين عملوا على انشاء المنظمة الفاشية المسماة باسم « المقنّعون الحمر ». وبناء على توصياته قام زعيم هذه المنظمة « غويسبي بينو راوتي » بارسال قواته الملقبة بـ (القوات

العاصفة) إلى اليونان للاستفادة من خبرة الفاشيين اليونانيين. وبعد أن تظاهروا بمظاهر يسارية تمكنوا من خلالها من خداع اليساريين، استطاع اولئك الفاشيون اختراق الحركات المتطرفة والتسلل إليها. وكانت مهمتهم تتطلب حض اليساريين على القيام بأعمال تلقى مسؤوليتها ونتائجها على عاتق (الحمر). وقام (راوتي) نفسه بزيارة إلى اليونان حيث أقام اتصالات هناك مع الجاسوس الفاشي (بلفريس) زعيم « حركة ٤ آب »، وكانت هذه الحركة تعمل وفق مبادئ الديكتاتور (ميتاكساس) الذي قام بحل البرلمان اليوناني في ٤ آب عام ١٩٣٦، وحظر الأحزاب السياسية. وفي شهر نيسان عام ١٩٦٩ حضر (راوتي) اجتماعاً سرياً في (بادوا) حيث قرر أن تبدأ عملية شن أعمال الاثارة والتحريض في شمال ووسط ايطاليا. وكان مقرراً لهذه الأعمال ان تتم برعاية واشراف (مجموعة بادوا) التابعة لـ (فرانكو فريدا) و (جيوفاني فينتورا) المتعصبين للفاشية.

لقد كانت هناك أسباب عديدة وراء عملية (التنكر) باليسارية هذه التي قامت بها منظمة (المقنعون الحمر). فهناك مثلا هدف رئيسي يتمثل في تسهيل عملية اختراق المنظمات اليسارية والتسلل إليها، من قبل العملاء الفاشيين المخربين. والسبب الثاني هو الايهام بأن الأعمال الارهابية وأعمال الاعتداءات الأخرى التي ستقوم بها الجماعات النازية، هي من صنع « الحمر الشيوعيين ». يضاف إلى ذلك سبب آخر هو ان حركة ربيع ١٩٦٨ التي قامت بها الحركات الطلابية في ايطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية، والتي أظهرت زيادة ملموسة نحو الميل باتجاه اليسار وسط جيل الشباب، ان هذه الحركة لم ترحب ولم تكن راضية عن شعارات الفاشيين الواضحة. وفي الوقت نفسه، فإن حركة الطلاب هذه ظهرت بصورة متعددة الوجوه، ومتضاربة الاتجاهات، ولا سيما أنه تم تغيير زعمائها خلال ليلة واحدة. وبينما كان الزعماء الجدد لهذه الحركة

يتبارون فيما بينهم لادانة هذا التحرك، كانوا يقومون باحتجاز الموالين (للماوية) وأعلنوا عداءهم للحزب الشيوعي.

لقد كان بين صفوف حركة الطلاب هذه، عدد لا بأس به من أبناء الطبقات الغنية، والذين رأوا هذه « الثورة » على أنها لعبة فاتنة، بينما أحسّ الآخرون وبمرارة بأنهم الكتلة الكبيرة المضطَهَدة. وهكذا، فإنهم من الممكن أن يكونوا الوقود الممتاز الذي يمكن أن يضاف إلى نار الاثارة والتحريض والشغب. ولذلك بدأت استخبارات الناتو، والمخابرات المركزية الأمريكية، واستخبارات اليونان، ايطاليا، اسبانيا والبرتغال، بالعمل يداً واحدة من أجل « ترويض » مثل هؤلاء اليساريين.

بعد انتهاء اجتماع (بادوا) بدأت مجموعة (فريدا) بالعمل، وقامت بـ (٢٢) عملية اغتيال وتفجير خلال (٩) شهور. وبلغت هذه الأعمال ذروتها في الانفجار الذي وقع في بنك ميلانو الزراعي يوم ١٢ كانون الأول ١٩٦٩ والذي أسفر عن مقتل (١٦) شخصاً وجرح (٨٠) آخرين. ووقعت انفجارات في الوقت نفسه في مدينة روما.

ان المخابرات الايطالية (سيد ــ وكذلك السوبر سيد) كانت على علم بسلسلة الأعمال الارهابية التي وضعت خطط تنفيذها، وذلك من خلال عميلها (زد ــ وهو غيانيتيني) لكنها لم تتخذ أي اجراء للحيلولة دون وقوع تلك الأعمال. وتمكن عدد كبير من اولئك الفاشيين المتطرفين والذين قاموا بهذه الجرائم من الهروب من ايطاليا بمساعدة (سيد وسوبر سيد). وتم اختيار أشخاص فوضويين آخرين ليكونوا بمثابة كبش الفداء، حيث القي القبض على (فالبريدا) وتم توجيه عدة تهم إليه، كذلك فإن (بينيللي) توفي وهو تحت الاستجواب على يد شرطة ميلانو. أما مفوض الشرطة (كالابريسي) الذي كان يحقق مع (بينيللي) فقد قتل على يد الارهابيين.

لقد كانت هناك عدة أدلة هامة وفقدت فيما بعد، وحينما صدرت الرواية الرسمية للأحداث وثبت أنه لا يمكن تصديقها، لجأت الإستخبارات الايطالية إلى تلفيق رواية أخرى. ومضت عدة سنين، قبل أن يتم تقديم كل من (فريدا) و (فينتورا) اللذين قاما بالاعداد والاشراف على هذه الجرائم الوحشية إلى القضاء، لكن المحاكمة في (كاتانزارو) انتهت وبشكل فاضح حينما حكمت ببراءتهما.

وهكذا، فإن الأعمال الارهابية التي تجري اليوم في ايطاليا يمكن أن تعزى إلى « ابطال » الرجعية المحلية والعالمية، وفي مقدمتها وكالات الحرب النفسية في حلف شمال الاطلسي. وهم يعملون الآن من أجل تأمين الحماية الكافية لقوى التخريب التي يستخدمونها، من أجل الاستمرار في عمليات الارهاب والتآمر، وبمساعدة « الثالوث الميمي ».

وردة الرياح

ان مؤامرة (وردة الرياح) تبرز كواحدة من المؤامرات التي تنظمها سلسلة متواصلة من عمليات الانقلاب، والعصيان المسلح، والتي تتخذ مسارها عبر الطريق « من الفتيل الفاشي إلى التظاهر باليسار ثم إلى الانقلاب اليميني ».

في ربيع عام ١٩٨٣، تمت ازاحة الستار عن النصب التذكاري لمفوض الشرطة (كالا بريسي) في ميلانو. وحضر هذا الاحتفال رئيس الوزراء (ماريانو رامور).

خلال الاحتفال، صرخ رجل ذو لحية من بين الجمهور المحتشد قائلاً : « عاش بينيللي » وألقى قنبلة يدوية، قتلت أربعة أشخاص، وجرحت عدداً آخر، ودب الرعب بين الناس. أما (رامور) فلم يصب بأذى، وتم اعتقال المجرم. وطوال فترة استجوابه، ظل يردد أنه يود الانتقام لموت (بينيللي). أما في حقيقة الأمر، فإن محاولة اغتيال

(رامور) كانت بمثابة اشارة لبدء عملية انقلاب بقيادة مجموعة (وردة الرياح).

أما (برتولي ــ وهو الشخص الذي ألقى القنبلة) فهو مجرم معروف، وهو انسان مرتهن لغيره، وليس لديه اتجاه سياسي. ومن أجل أن يبدو حافزه لهذا العمل مقبولاً، فقد تلقى أوامر بالانضمام إلى مجموعة فوضوية « من أجل الحصول على الخبرة ». وللحيلولة دون تقديمه للمحاكمة بسبب هذا الأنتماء إلى تلك المجموعة، أرسل إلى الكيان الصهيوني لمدة تزيد على العام ليعيش في (الكيبوتس). وحينما أزف الوقت، عاد إلى ايطاليا، واتجه إلى ميلانو، وأعطي القنبلة. أما هذا العمل فقد أعطى نتائجه، وارتفعت الصيحات التي تطلقها الصحافة اليمينية ضد (الحمر). لكن اخفاق عملية الاغتيال حالت دون قيام مجموعة (وردة الرياح) بمتابعة عملية الانقلاب.

ان الوثائق التي عثر عليها فيما بعد، والتي أعدها المتآمرون تقول : ان موت (رامور) سوف يدفع بالقوات المسلحة « إلى التحرك من أجل حماية المؤسسات القومية في البلاد ». وحسب ما يقول القاضي (تامبورينو) فإن انقلاب (وردة الرياح) كان « يستتبع قتل حوالي ٢٠٠٠ سياسي وعسكري ».

لقد ضمت هذه المؤامرة بين صفوفها عدداً من الضباط ذوي الرتب العالية. وأوردت الصحافة الأيطالية ان الجنرال (جونسون) رئيس أمن الناتو كان متورطاً وبشكل مباشر في هذه المؤامرة، ولا سيما أن تفاصيلها تم بحثها في منزل (سيندونا) وهو صاحب بنك، وعضو في المحفل الماسوني P-2، وصديق لعدد من أصحاب البنوك الأمريكيين[٩]

(٩) اصحاب البنوك هم : كوناللي ودافيد كينيدي وكلاهما وزير الخزانة الأمريكية سابقاً. كما أن الأخير (دافيد) له إرتباطاته بفريق العمل التابع للرئيس ريغان.

وعميل للمخابرات المركزية الأمريكية، كما اعترف بذلك بنفسه.

الهدف : ديغول

عندما ــ وإذ ــ تنشر الوثائق الخاصة بالسياسة السرية للولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو تجاه فرنسا، فإن المرء سوف يتمكن من تكوين صورة متكاملة عن الهجوم المدبّر الذي كان يستهدف الخط الذي كان يسير فيه الجنرال (ديغول). اننا نعرف ان واشنطن قد اتخذت موقفاً عدائياً تجاه فكرة (فرنسا الكبرى) والتي رفض بموجبها الرئيس الفرنسي تبعية فرنسا للولايات المتحدة وخاصة فيما يتعلق بانسحاب فرنسا من حلف الناتو العسكري.

ان (ديغول) كان يعي تماماً ان سياسة (دالاس) التي تقضي بـ (ابعاد الاتحاد السوفييتي) وتجاهل نتائج الحرب العالمية الثانية، سوف تؤدي إلى نشوب صراع جديد. وكان لديه سبب جيد للاعتقاد بأن الحرب الباردة مكنت الولايات المتحدة الأمريكية من الحصول على امتيازات على حساب مصالح حلفائها، وسيطرتها على موارد واقتصاد اوروبا الغربية، واقتطاف ثمار هذه التبعية. ورأى الرئيس الفرنسي ان اقامة علاقات ثقافية واقتصادية وسياسية مع الاتحاد السوفييتي، وكذلك قيام فكرة التعاون الاوروبي، هي الحل الوحيد لاقامة نوع من التوازن ضد الاملاءات الامريكية.

ومما زاد من كره اليمينيين المتطرفين للجنرال (ديغول) هو مساعيه التي بذلها لتسوية العلاقات مع الجزائر، وادانته للمغامرة الأمريكية في فيتنام. ولا تخفى على أحد، تلك العلاقة التي اقامتها المخابرات المركزية الأمريكية مع (أو. ايه. اس) وهي منظمة يمينية متطرفة، تورطت في العديد من المؤامرات ضد (ديغول)، ويكفي للمرء ان يتذكر أنه جرت حوالي (٣٠) محاولة لاغتياله، نجا منها بفضل الجهود التي كانت

تبذلها المخابرات الفرنسية التي أعاد تنظيمها، وبفضل حظه السعيد.

ويصف (لويس. م. غونزالز ماتا) العميل السابق للمخابرات المركزية الامريكية في كتابه (سادة العالم الحقيقيون) العمليات السرية التي قامت بها المخابرات الامريكية ضد الرئيس (ديغول). ومن الأشياء الهامة حول هذا روايته للطريقة التي استغلت بها المخابرات المركزية الامريكية الأضطرابات الطلابية ضد الرئيس (ديغول) في شهر أيار ١٩٦٨، فيقول: ان العميل (سوان، وهو غوانزالز ماتا نفسه) اعطي تعليمات لكي يتسلل إلى مجموعات الطلاب اليساريين، وان هذه التعليمات اعطاها له الجنرال (وولترز) في باريس خلال اجتماع حضره اضافة لهما (موليساني) ممثل مجموعة اتحاد العمل الامريكية — مؤتمر النقابات الانتاجية.

ومما يثير الدهشة هو تلك الفعالية التي عمل بها زعماء النقابات الامريكية من أجل القيام بعمليات التخريب في أوروبا. فقد أقام (ايرفنغ براون) وهو عميل لهم في باريس، وكانت مهمته تتطلب احداث انقسام داخل النقابات، وزرع ومساعدة مجموعات التخريب في الدول الاشتراكية. ودور (مجموعة اتحاد العمل الامريكية — مؤتمر النقابات الانتاجية) في التطورات الأخيرة في بولونيا يقع ضمن هذا المجال. فقد نشرت صحيفة (تريبيونا لودو) البولونية في مطلع عام ١٩٨٢ ان اتحاد العمال الايطالي، والذي أنشئ أساساً بتأييد ودعم امريكي، أرسل وفداً منه لحضور مؤتمر (التضامن) وكان هذا الوفد يضم (لويغي وباولو سكريسيدو). باعتبار ان هذا الوفد بمثابة هيئة دولية، فانهما عقدا اجتماعات مع زعماء المجموعات المتطرفة المضادة للثورة. كما عملا على تنظيم (التضامن مع التضامن) تلك التظاهرة التي حدثت في ايطاليا. وفي شباط ١٩٨٢ تم اعتقالهما على يد البوليس الايطالي بتهمة الانتماء إلى (الالوية الحمراء). وقد كان هؤلاء بالفعل عميلين

مزدوجين: فهما ينتميان إلى اتحاد التجار الايطالي الذي تموله الولايات المتحدة، وكذلك إلى منظمة يسارية متطرفة.

لكن دعونا نعود إلى باريس لنرى التقنية التي تعالج بها المخابرات الامريكية وببراعة اليساريين والهدف الذي تسعى اليه. يقول (سوان) ان (غراهام) منسق عمليات المخابرات المركزية الامريكية والاستخبارات العسكرية في باريس أخبره أن الهدف هو « تشجيع أعمال الفوضى والاضطراب، وتوليد الاشتباكات بين المتظاهرين وقوات حفظ النظام وذلك لتحريض الأغلبية الفرنسية الصامتة، واثارتها لتعمل هذه الأغلبية من أجل اجبار ديغول على تغيير سياسته، والابتعاد عن الدول الشرقية، والعودة إلى حظيرة أوروبا الحليفة للولايات المتحدة الامريكية. وباستغلال الضغط من اليمينيين، يمكن لنا أيضاً الضغط على ديغول لاجباره على الاستقالة، وافساح المجال أمام حكومة يكون التفاهم معها أسهل... علينا أن نخترق زعماء المتمردين من أجل ان نعرف خططهم، وان نؤثر عليهم بما تقتضيه مصالحنا... في المرحلة الأولى من المهم لنا ولأصدقائنا الذين انضموا إلى تلك المجموعات المتمردة أن يعملوا على تشجيع التظاهر قدر الامكان »

وانطلق (سوان) ليكون نشاطه داخل (السوربون) وشغل أحد المناصب في أركان اليساريين المتطرفين المتمردين في مسرح (الاوديون). ولم يكن (سوان) بمفرده، فقد تعرف إلى العديد من مثيري أعمال الشغب والاضطراب — وهم من عملاء المخابرات المركزية الامريكية — في أيار ١٩٦٨.

وازدادت حدة التوتر، وفي نهاية شهر أيار غادر الرئيس (ديغول) قصر الاليزيه. وبناء على نصيحة المخابرات المركزية الامريكية أعلنت حالة الطوارئ في صفوف الجيش. وما حدث بعد ذلك جدير بالاهتمام.. فقد أعلن الرئيس (ديغول) حل (الجمعية الوطنية)

وتحركت « الأغلبية الصامتة » لتملأ الشوارع في باريس، وهذه الأغلبية هي اولئك الناس الذين تمكنت الاستخبارات الامريكية من تجنيدهم، وزرعهم وسط صفوف الحركة اليسارية.

نتيجة لذلك، بدأ (ديغول) يفقد نفوذه وتأثيره، وسرعان ما قدم استقالته.

الباسك أم الامريكيون الهادئون ؟

في غضون ذلك، وبالرغم من جهود واشنطن المبذولة، كانت الأنظمة الفاشية تفقد وبالتدريج قوتها وسلطتها. فنظام (الكولونيلات السود) في اليونان ــ والذي علقت عليه الآمال الكثيرة، وانفقت في سبيله الأموال الطائلة ــ أصبح في خطر، وكان حكم (فرانكو) في اسبانيا يقترب من نهايته المحتومة. أما نظام (سالازار) في البرتغال فقد بدأ يحتضر. وطبيعي، ان هذا الوضع أخاف واشنطن التي أخذت تعمل على تطبيق سياسة « استراتيجية التوتر » القديمة في اسبانيا، وتعيد انعاش حكم الفاشية وحركة الكتائب ذلك الحزب السياسي الفاشستي الذي حكم اسبانيا خلال الحرب الأهلية ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩. وكما حدث في ايطاليا، فان هذا الوضع في اسبانيا اضطر الولايات المتحدة الامريكية إلى خلق « بعبع أحمر » يقوم بعمليات ارهابية ولهذا قررت الاستخبارات الامريكية والاستخبارات الاسبانية استغلال الاتجاهات الانفصالية لتنفيذ مآربها.

ان المغامرة والاعتماد على المبدأ الانفصالي، وعلى الجماعات العرقية التي لا زالت تحتفظ بميزاتها وخصائصها في العديد من البلـدان الاوروبية، هو أسلوب دائم بالنسبة للمخابرات المركزية الامريكية، وقد جربت الولايات المتحدة اللعب بـ « الورقة الانفصالية » في كل من (صقلية) و (سردينيا). وصرح (ميشال روكارد) الزعيم الاشتراكي

عام ١٩٧٨ عشية الانتخابات الرئاسية في فرنسا بان المخابرات المركزية الامريكية قد أعدت خطة لزعزعة الاستقرار في فرنسا فيما إذا كسب اليساريون الجولة في الانتخابات. وكانت الخطة تقضي باستخدام المجموعات الارهابية العرقية المتعددة مثل: الكورسيكيين، والبريتونيين، والالزاسيين للعمل ضد اليساريين الفرنسيين، ولا يخفى عن البال ان هذه المجموعات أخذت تنشط قبل الانتخابات. وأسفرت نتائج الانتخابات عن فوز المحافظين عام ١٩٧٨، وتلا ذلك عام ١٩٨١ انتخاب رئيس اشتراكي لفرنسا، ووصلت أحزاب اليسار إلى السلطة اثر الانتخابات البرلمانية. وكانت نتيجة هذا موجة من أعمال التفجير والارهاب في (كورسيكا) و (باريس) وعدة أماكن أخرى. وتوقيت هذه التفجيرات يتحدث عن نفسه.

لكن، دعونا نعود إلى إسبانيا حيث قررت الرجعية هناك أن تلعب هذه المرة « بورقة الباسك ». ففي شهر كانون الأول ١٩٧٢ تم اكتشاف مجموعة من الشبان في احدى ضواحي (مدريد) حيث دارت الشبهات حولهم، فقد كانوا يتسكعون حول كنيسة تقع أمام بيت تشغله بعثة دبلوماسية. وكان رئيس وزراء اسبانيا (كاريرو بلانكو) قد اعتاد المجيء إلى هذه الكنيسة باستمرار. أما أولئك الشبان فقد استأجروا منزلاً بالقرب من منزل الدبلوماسيين الذين كان باستطاعتهم مراقبة الشبان وهم داخل منزلهم. وقام الدبلوماسيون خفية بالتقاط صور لاولئك الشبان المشتبه بهم، وسلموا هذه الصور إلى الاستخبارات الاسبانية، وأعلموهم ان قوات الشرطة الاسبانية على علم بما تحضر له هذه المجموعة التي تنتمي إلى منظمة (ايتا).

كما قام هؤلاء الدبلوماسيون (ولا أحد يعرف حقيقة مهمتهم وطبيعتها) بزرع ميكروفونات داخل منزل الشبان — وبشكل سري — للتنصت على أحاديثهم. وأصبح من الواضح فيما بعد انه تحاك هناك

مؤامرة لاغتيال رئيس الوزراء الاسباني. وبسرعة أخبر أحد هؤلاء « الدبلوماسيين » رئيسه عما يجري. وكتب (غونزالز ماتا) قائلا: « ان عملية الاطاحة بـ (كاريرو بلانكو) سوف تسهل تطبيق استراتيجيتهم في اسبانيا والبرتغال ». أما ذلك الدبلوماسي فقد وردته أوامر من رئيسه « بضرورة عمل أي شيء لتأمين نجاح عملية الاغتيال » لكن الشيء المهم هو أن تبدو العملية على أنها « عمل ارهابي قام به الانفصاليون ». أما الارهابيون الشباب فانهم قاموا بحفر نفق تحت الشارع الذي يمر فوقه عادة (كاريرو بلانكو) وهو في طريقه إلى الكنيسة. وفي يوم ١٩ كانون الأول ١٩٧٣ قاموا بوضع متفجرات داخل النفق. أما الدبلوماسيون الذين كانوا يراقبون العملية فقد أوعزوا إلى عملائهم بالتسلل إلى النفق، وزرعوا لغمين ضد الدبابات. وفي صباح اليوم التالي قام « الباسك » و « البعثة الدبلوماسية » التابعة لبلد « صديق » لاسبانيا بتفجير الالغام المزروعة، مما أسفر عن مقتل رئيس الوزراء واثنين من رجال الشرطة كانا إلى جانبه. هذه قصة اغتيال (بلانكو) كما رواها عميل المخابرات المركزية الامريكية السابق (غوانزالز ماتا)، كما انه قام بكشف اسماء اولئك « الدبلوماسيين » وهم (وان ــ ضابط أمن السفارة) و (روبرت ــ رئيس مكتب الاستخبارات الامريكية في اسبانيا). كذلك، فان (الكسندر هيغ) مساعد الرئيس الامريكي كان على علم مسبق بموعد تنفيذ عملية الاغتيال.

فيما بعد، تحدثت التقارير الواردة من اسبانيا عن عمليات اغتيال ضد عدد من العسكريين، والقضاة، والمحامين، وعن عمليات اختطاف عدد من زعماء الاحزاب الحاكمة. وفي عام ١٩٨١ تذرع (انطونيو تيخيرو مولينا) بعدم استقرار الاوضاع في اسبانيا، واتهم الحكومة بالعجز عن الوقوف في وجه الارهاب، وقام بمحاصرة البرلمان الاسباني. وتمت تصفية حركة (انطونيو مولينا) هذه، لكن الولايات المتحدة الامريكية

« نسيت » ان تقدم تهانيها إلى الحكومة الاسبانية بتصفية هذه الحركة، وعلى ما يبدو فان هذا هو من طبيعة الخجل التي يتصف بها « الامريكيون الهادئون ».

أشياء غريبة عن الالوية الحمراء

لقد صعّدت « الالوية الحمراء » نشاطاتها في ايطاليا في بداية السبعينات، وتحول أسلوبها الذي كانت تتبعه (اضرب واهرب) إلى ما يمكن تسميته بنظرية « الارهاب غير المنظم ». وشاعت اجواء الحرب في المدن: عمليات اغارة على مخازن بيع الأسلحة، وعمليات اختطاف للحصول على الفدية التي كانت تستخدم أموالها من أجل شراء الأسلحة، وانشاء « مجموعات » في (روما) و (تورين) و (فينيسيا) و (نابولي). وكانت الالوية الحمراء تعمل بوقاحة متزايدة. أما عناصرها الذين كان يلقى القبض عليهم، فقد كانوا يحاولون « تسييس » المجرمين الموجودين معهم في السجن، حيث انضم إليهم عدد من أعضاء مافيا (كالابريا) أصحاب الاختصاص والخبرة في عمليات الاختطاف. وهكذا التقت مصالح العالم السفلي مع مصالح الثوريين المتطرفين.

كتب البروفسور (انطونيو نيغري) منظّر الالوية الحمراء: « ان أعمال العصيان يجب أن تتسع لكي تؤدي إلى تحطيم الدولة ». ويجب أن لا يغيب عن الذهن أبداً أن (نيغري) كان يحصل على تأشيرات الدخول إلى الولايات المتحدة الامريكية دون أي تأخير. ولم يكن المسؤولون الامريكيون ليبدون أي أعتراض على الصيت الذائع لبطل « العصيان في المدن » كما أن تأشيرات الدخول الامريكية كانت الوسيلة الوحيدة التي تمكن بواسطتها (فرانكو بينرنو) وهو صديق (نيغري) ويشتبه بعلاقته مع الالوية الحمراء من الافلات من السجن.

ان التساهل والتسامح اللذين يبديهما المسؤولون الامريكيون تجاه

المنظّرين والايديولوجيين اليساريين المتطرفين واضح ولا يحتاج لأية براهين. ويرى الجنرال (وليام ياربورو) رئيس قسم العمليات الخاصة في المخابرات المركزية الامريكية ان ما يسمى بـ (الارهاب الأعمى)[١٠] إنما هو تكتيك تم تطويره على يد المخابرات المركزية الامريكية بمشاركة استخبارات دول حلف الناتو من أجل استخدامه كعنصر رئيسي في البرامج والخطط التي يتم وضعها بهدف زعزعة استقرار الحكومات، وبالتالي جعل شعوب تلك الحكومات يقبلون باقامة دولة بوليسية قوية.

أما عن الاتصالات التي تجري بين الزعماء اليساريين المتطرفين وبين الامريكيين والجهات اليمينية، فانه يمكن القول عنها انها اتصالات مألوفة. فقد أقام (ريناتو كورسيو) الفاشي سابقاً، وزعيم الالوية الحمراء فيما بعد، أقام مع (نيغري) في باريس ولفترة طويلة. وتعرض (ريناتو) للاعتقال مرات عديدة، لكنه كان في كل مرة يهرب بسهولة كبيرة، شأنه في ذلك شأن العديد من أصدقائه، ولم يكن هذا الأمر غريباً. وعندما اعتقل ووضع في (سجن بيزا) حدثت هناك مضادفة غريبة حينما وضع معه في الزنزانة نفسها (رونالد ستارك) وهو مواطن امريكي. وأعطى هذا الأخير لـ (ريناتو) عناوين اصدقائه في منطقة الشرق الأوسط، والذين يمكنهم مساعدته في شراء الأسلحة، كما قام باطلاعه على كيفية استعمال المتفجرات.

وسرعان ما أخلي سبيل (ستارك) على الرغم من وجود قائمة اتهام طويلة ضده، منها انه قام بتحضير وتصنيع مخدرات قوية المفعول في الولايات المتحدة، وفي بلجيكا فيما بعد، كما أنه كان يجري اتصالات مع كبار مهربي المخدرات في الشرق الأوسط. ويضاف إلى ذلك كله

---

(١٠) الارهاب الأعمى ويقصد به الارهاب غير المنظم.

انه كان يمتلك مزرعة كبيرة في كاليفورنيا، وكان يقيم فيها (شاعر المخدرات تيموثي ليري) الذي امتدح عقار الهلوسة، هذا العقار الذي قام (ستارك) بتحضيره. وأخذ (ليري) يعمل على اجراء تجارب حول هذا العقار على أصدقائه من شلة الخنافس. وقد تبين فيما بعد ان هذه التجارب انما هي جزء من برنامج وضعته المخابرات الامريكية يستهدف تغيير « الطبيعة الانسانية » لعملائها، وتشويه العقل عند الانسان، وبالتالي تحويله إلى أداة طيعة بين أيديهم.

وفي يوم ١١ نيسان ١٩٧٩ (بعد اغتيال الدو مورو) أخلي سبيل (ستارك) من السجن الذي كان ينزل فيه في (بولونيا) وصرح القاضي الذي كان موكلاً بهذه القضية: « انه لا يمكن مقاضاة ستارك كونه عميلاً سابقاً للمخابرات المركزية الامريكية وانه كان يعمل بهذه الصفة ».

ان كل هذه الأمور توضح وبشكل جيد وثيقة الجنرال وستمورلند وتعليماتها حول استغلال الحركات اليسارية المتطرفة لصالح الاستخبارات الامريكية.

وهنا يمكن القول ان عملية تنكر اليمينيين باليسارية لا يمكن أبداً ان تربك اليمنيين أو تحرجهم، وقد أدركت المخابرات الامريكية ذلك منذ أمد طويل حيث اكتشفت قيمة التستر بالمظاهر اليسارية: فالارهابيون اليساريون المتطرفون هم غطاء ممتاز لكافة عمليات الاستفزاز والتحريض بغض النظر عما إذا كانت الأعمال التي يقومون بها صادرة عن قناعة، أو كانت صادرة عن أناس يحترفون اثارة الشغب والاضطرابات بأجور مدفوعة. وهذا الغطاء يمكن استخدامه للقيام بأية جريمة سياسية، وضمن هذا النطاق تظهر قضية اغتيال (الدو مورو).

لا أحد يفهمني في الولايات المتحدة

كمقتل الأخوين كيندي، فان عملية اغتيال (الدو مورو) رئيس الحزب الديمقراطي المسيحي الايطالي، تعد من أخطر الجرائم السياسية التي وقعت في النصف الثاني من القرن العشرين. والنتائج الخارجية لهذه الاحداث معروفة لدى الجميع. في منتصف شهر آذار ١٩٧٨ نصبت الالوية الحمراء كميناً لـ (الدو مورو) في شارع (فاني) في مدينة روما. وببساطة تخلصت من حرسه الذي كان يرافقه، ووضعته فيما يسمى بـ (سجن الشعب). وفي يوم ٩ أيار من العام ذاته، وبعد مكالمة هاتفية من الالوية الحمراء، عثر البوليس على جثة (الدو مورو) في وسط مدينة روما، في منتصف الطريق بين مقري الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي المسيحي. وكان هذا اشارة إلى أن (مورو) عوقب على جهوده التي يبذلها من أجل تحقيق التقارب بين الحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم وبين الحزب الشيوعي.

ومن بين (٦٣) شخصاً اشتركوا في عملية (الدو مورو) القيْ القبض على (٥٤) منهم وأعلن وزير الداخلية الايطالي في شهر شباط ١٩٨٢ عن اكتشاف (سجن الشعب) بالقرب من روما، وبدأت محاكمة الارهابيين في شهر نيسان من عام ١٩٨٢. لكن ثمة سؤالاً بقي يطرح نفسه: مَن هو المستفيد الحقيقي من عملية تصفية هذا السياسي الحكيم ؟

من الصعوبة بمكان القول ان الالوية الحمراء هي المستفيد من ذلك، ولا سيما ان عملية قتل (الدو مورو) أثارت الانشقاق بين صفوفهم. ومحاضر التحقيق التي اجريت مع (الدو مورو) والتي عثر عليها في (سجن الشعب) اثبتت ان أعضاء الالوية الحمراء لم يكونوا قادرين على تنفيذ تهديداتهم بنشر فضائح مثيرة.

لكن كيف تبلور قرار اختطاف (الدو مورو) ؟ ومن الذي أوحى

بهذه الفكرة وحث عليها ؟ ومن الذي أصر على قتل أسير لا حول له ولا قوة وذلك عندما تأكد للالوية الحمراء نفسها ان ذلك العمل سوف يعود عليهم بالمشاكل أكثر من الفوائد المرجوة ؟

عندما بلغ التوتر ذروته، وحينما كان لا يزال هناك أمل بانقاذ (مورو) نشرت احدى وكالات الصحافة في روما التقرير التالي: « ان الدماغ الذي خطط لعملية اختطاف (الدو مورو) ليست له أية علاقة بالالوية الحمراء... ان عملية اختطافه يمكن أن تكون مفيدة إذا ساعدت على العودة إلى الوراء بالخط الحالي الذي يسير باتجاه تقارب بين الديمقراطيين المسيحيين وبين الشيوعيين »[11].

وكان يملك هذه الوكالة الصحافية (كارمينو بيكوريللي) وهو صديق (ليشيو غيللي) وعضو في المحفل الماسوني **P-2**. وبدأ (بيكوريللي) الذي حصل من (غيللي) على وثائق سرية تتعلق ببعض السياسيين الايطاليين، بدأ بابتزاز شركائه. وبعد مضي شهور عديدة على الفضائح التي قام بنشرها، قتل على يد شخص أطلق عليه رصاصة استقرت في فمه. وهذه هي الطريقة التي تتعامل بها المافيا مع اولئك الذين لا يستطيعون ان يبقوا أفواههم مغلقة.

لقد كان هناك شيء واحد ومؤكد، وهو ان (بيكوريللي) يعرف ان الالوية الحمراء ليست وراء عملية (الدو مورو) وان المطلوب هو البحث عن العقل الموجه في مكان آخر، ولكن أين ؟

دعونا نعود إلى رسائل (مورو) التي كتبها في السجن. فحينما علم بعدم رغبة زعماء الحزب الديمقراطي المسيحي بانقاذه كتب يقول: « ان

---

(١١) صحيفة اليونيتا ٨ /١٢ /١٩٨٠.

هذا الموقف القاسي تجاهي يمكن ان يعزى إلى النفوذ الامريكي أو الالماني الغربي » وقبل بضعة أسابيع من اختطافه قال للسيناتور (شيرفونيه): « سوف ترى اننا سندفع ثمناً باهظاً لسياستنا » ولكن لمن ؟ « لأعدائنا في الداخل وفي الخارج. أنا مثلاً لا أجد من يفهمني في الولايات المتحدة وفي المانيا الغربية أيضاً ».

لقد تنبه (مورو) إلى العداء الذي تضمره الولايات المتحدة الامريكية تجاه الدور الذي يقوم به ضمن سياسة الوفاق الوطني، ولا سيما انه علم أن (ريتشارد غاردنر) سفير الولايات المتحدة في روما قد غادر ايطاليا في أواخر عام ١٩٧٧، وانه كان يرسل إلى واشنطن تقارير سيئة جداً عنه. وطلب (مورو) من مساعده (بيسانو) السفر إلى الولايات المتحدة من أجل بحث امكانية قيام (مورو) بزيارة إلى واشنطن بهدف تخفيف التوتر. إلا أن (بيسانو) لقي بروداً من الامريكيين وأعلن مساعد (زبغنيو بريجنسكي) ان « لا أحد يرغب بالاجتماع مع زعيم الديمقراطيين المسيحيين ».

ان ما كانت تخشاه الولايات المتحدة هو أن يكون للنهج الذي يسير عليه (الدو مورو) تأثيره على مجمل الوضع في أوروبا، وبخاصة ان هناك احتمالاً بان يفوز اليساريون في الانتخابات العامة التي ستجري في فرنسا. ونشرت الادارة الامريكية يوم ١٢ كانون الثاني ١٩٧٨ بياناً حاد اللهجة ينصح الايطاليين والفرنسيين بالاحجام عن أي شكل من أشكال ادخال الشيوعيين في حكوماتهم.

وفهم (الدو مورو) ما الذي يشير إليه ذلك التحذير، وقال ل (شيرفونيه): « ان هؤلاء الناس — ويقصد الامريكيين — سوف يفعلون أي شيء من أجل أن يقوموا ببيع برتقال كاليفورنيا الأكثر عفونة ». ان كلمة (برتقال) هنا هي على سبيل المجاز، حيث أن

كاليفورنيا تعد المركز الرئيسي للصناعات العسكرية الامريكية وهي الطريق الذي يمر عبره أي رئيس جديد للولايات المتحدة.

وتصاعدت حدة الهجمات ضد (الدو مورو)، وأوردت مجلة (اوروبيو) ان السفير الامريكي في ايطاليا قال يوم ٣ آذار ١٩٧٨ في حديث له في جامعة كولومبيا: « ان (الدو مورو) هو أكثر الشخصيات خطورة وغموضاً على المسرح السياسي الايطالي ».

وفي يوم ١٦ آذار ١٩٧٨ اشتعل فتيل المؤامرة في شارع (فاني).

محرّكو الدمى في حلف الناتو

في احدى المقابلات التي أجريت مع (ليشيو غيللي) قال ذات مرة انه منذ الطفولة كان يحلم بأن يصبح (محرك دمى) وبان يتحكم بالناس ويحركهم كما يشاء بما في ذلك أصحاب السلطة والحكم. ولم يكن هذا الكلام الذي قاله (ليشيو) لمجرد التبجح والتباهي.

فقد كان يوجد بين أعضاء المحفل الماسوني **P-2** ، والبالغ عددهم أكثر من (١٠٠٠) شخص[١٢] نخبة ضباط الجيش الايطالي، منهم: (الجنرال غراسيني) و (الجنرال سانتوفيتو) والجنرالان (غيانيتيني وبيلوسي اللذان ترأسا كافة فروع قوى الأمن في أنحاء البلاد) وكذلك (الادميرال توريزي) الذي احتل منصباً على مستوى عال في حلف الناتو. كما ضم هذا المحفل الماسوني بين صفوفه عدداً من الشخصيات البارزة كأصحاب البنوك، والصناعيين، ومالكي الصحف ومحطات

---

(١٢) هذا الرقم هو عدد الأسماء التي كانت موجودة في وثائق عثر عليها خلال عملية تفتيش فيلا (غيللي) في (اريزو). لكن الحقيقة هي أن عدد أعضاء المحفل يزيد عن (الألفي) شخص كما ذكرت ذلك الصحف الايطالية.

التلفزيون، ووزراء من الحزب الديمقراطي المسيحي ومن الحزب الاشتراكي، وكذلك عدداً من الزعماء البرلمانيين. وكانت لهذا المحفل علاقات واتصالات في كل من افريقيا وامريكا اللاتينية، لكن أقواها كانت مع الولايات المتحدة الامريكية.

وليس هذا فقط، بل انه من خلال المحفل الماسوني **P-2** ، أصبح حوالي (٢٠,٠٠٠) ماسوني ايطالي بمثابة فرع للمعلومات يعمل لصالح المخابرات المركزية الامريكية. وسبب ذلك هو أن عملية اعادة تنظيم المحافل الماسونية في ايطاليا بعد الحرب ــ وكما حصل في دول اوروبا الغربية الأخرى ــ كانت خاضعة لسيطرة ومراقبة الاستخبارات الامريكية. ويقول (ماكس كورفو) ان الماسونيين الامريكيين العاملين في وكالة المخابرات المركزية هرعوا إلى ايطاليا ــ وحتى قبل أن تتحرر نهائياً ــ ليحيكوا مؤامراتهم هناك. وقاد هذه العملية (فرانك غيغليوتي) وهو مسؤول كبير في وكالة المخابرات المركزية الامريكية. وأشرف على عملية تطهير حوالي (٥٠٠) محفل تقريباً من المناهضين للفاشية ومن العناصر اليسارية، واحلال العناصر الفاشية المعروفة مكانها وعلى سبيل المثال، فان (غيللي) كان مقاتلاً متطوعاً في صفوف الفاشية في اسبانيا وبعد أن أصبح ضابطاً في جيش (موسوليني) اشتهر بمذابحه الوحشية التي قام بها كنوع من الانتقام من مقاتلي المقاومة الايطالية. لقد كان (غيللي) بحد ذاته نموذجاً جديداً لمجندي منظمات الماسونية الامريكية.

ويمكننا أن نستذكر ان الماسونيين يسيطرون ــ تقليدياً ــ على المناصب الرئيسية السياسية والعسكرية والاقتصادية الامريكية: ابتداء من رؤساء الولايات المتحدة وحتى رؤساء الشركات الكبرى، وضباط الجيش ذوي الرتب العالية، ويمكننا أن نقدم مثالاً على ذلك، وهو ان كل قادة حلف الناتو تقريباً هم ماسونيون. وفي أواخر الخمسينات وبداية

الستينات تم انشاء محافل ماسونية خاصة بالضباط العسكريين في مقرات حلف الناتو وفي القواعد العسكرية في ايطاليا مثل محفل (فيرونا امريكان) في (فيرونا) ومحفل (جورج واشنطن) في (فيشنتا) ومحفل (بنيامين فرنكلين) في (ليفورنو) ومحفل (هاري. س. ترومان) بالقرب من (نابولي) ومحفل (افيانو) في (فريولي). أما محفل (كولوسيوم) في (روما) فكان للدبلوماسيين وللضباط العسكريين الامريكيين. وكبار الماسونيين من حلف الناتو، يحق لهم في الوقت ذاته الانتساب إلى ما يمكن تسميته « باتحاد الشرق العظيم الماسوني » في الولايات المتحدة وايطاليا ليتمكنوا من السيطرة على اتباعهم الايطاليين وقيادتهم.

ان (غيللي) الذي كان يقدم مصنوعات شركته كهدايا لوزراء الحكومة، كان سيبقى دائماً شخصية تافهة لا قيمة لها لو لم تقدم الولايات المتحدة الامريكية دعمها وتأييدها له. وهذا الفاشي (غيللي) نفسه هو دمية يحركها آخرون أكثر خبرة منه. ان المجمع الصناعي العسكري الامريكي، والبيت الأبيض، ووكالة المخابرات المركزية، ونادي بلدربرغ، واللجنة الثلاثية، تمكنوا جميعهم من السيطرة على ايطاليا والتحكم بها بواسطة (غيللي) وأعوانه المنتشرين في عدة أماكن. ولا شك أن المحفل الماسوني **P-2** الذي يضم بين صفوفه (٣) وزراء و (٧) مسؤولين على مستوى عال في وزارة الدفاع و (٤٢) جنرالا وأدميرالا و (٥١) كولونيلا، قد ساهم بدوره في القرار الخاص بنشر الصواريخ الامريكية في ايطاليا. وكتب (بيكوريللي) الذي أقسم هو نفسه يمين الولاء للماسونية ومن ثم قتل لأنه حنث بيمينه: « ان الصناعيين وأصحاب الأموال، والجنرالات، ومسؤولي وزارة الدفاع بحلفانهم يمين الولاء للماسونية، دخلوا في خدمة وكالة المخابرات المركزية الامريكية للحيلولة دون وصول الشيوعيين إلى سدة الحكم

مهما كان الثمن ». وعبارة « مهما كان الثمن » تعني الارهاب أيضاً. ويضيف (بيكوريللي): « منذ عدة سنوات، فان أية جريمة تحتل وقائعها الصفحات الأولى من الصحف انما يكون للماسونية علاقة بها.. ان الاغتيالات، والمجازر الجماعية، ومحاولات الانقلاب، انما تكمن الماسونية وراءها ».

وأورد قائمة بالجرائم التي كان للماسونية وللمخابرات الامريكية والايطالية علاقة بها: حوادث التفجير في ميلانو، اغتيال القاضي (اوكورسيو) الذي حاول ان يقتفي آثار الماسونية وجذورها في هذه الجرائم، الهجوم على قطار (ايطاليكوس) الذي أسفر عن مقتل (١٢ شخصاً) وتفجير مبنى محطة سكة حديد بولونيا الذي قتل وشوه ما يزيد عن (٢٠٠) شخص. ان محافل (غيللي) واصدقائه لها ارتباطات مباشرة بالالوية الحمراء.

وقد صرح (بيكوللي) السكرتير السياسي للحزب الديمقراطي المسيحي ان « تصفية مورو كانت لأنه رفض ان تصبح ايطاليا مسرحاً للمناورات والعمليات الماسونية ». وفي تموز ١٩٨١ ذبحت عائلة مفوض الشرطة (ماسي) بوحشية في (اوريول) في (مرسيليا). وكان (ماسي) يرتبط بعلاقات جيدة مع (معبد فرسان القدس) وهو محفل ماسوني فرنسي يمكن اعتباره نسخة طبق الأصل عن المحفل الماسوني الايطالي **P-2** . وقد اعتاد شراء الأسلحة في تركيا، ثم شحنها إلى ايطاليا حيث يتم تسليمها إلى الالوية الحمراء. وقد قتل لأنه أخفى عن شركائه حصيلة واحدة من هذه الصفقات. وكشف التحقيقات التي أجراها المسؤولون الفرنسيون أن محفل (غيللي) كان ينظم عمليات الشحن بناء على تعليمات وكالة المخابرات المركزية الامريكية. وكان هذا المحفل ــ بالتعاون مع الوكالة الامريكية وأجهزة الاستخبارات الايطالية ــ يقوم بتنسيق عمليات الارهاب « الأحمر والأسود » المستمرة في

ايطاليا، هذا البلد الذي دفع ــ ولا يزال ــ ثمناً باهظاً (لاستراتيجية التوتر) الامريكية.

واليوم، أصبح من المعروف والشائع ان (غيللي) يتبادل الرسائل مع (فيليب غوارينو) رئيس الجالية الايطالية في نيويورك، وأحد منظمي الحملة الانتخابية للرئيس (رونالد ريغان). وكتب (غوارينو) إلى زعيم المحفل: « ان الجمهوريين يتصرفون بشكل جيد، وأنا متأكد أن ريغان وبوش سوف يفوزان ». وقد رد عليه (غيللي): « إذا أردت ان يتكون في ايطاليا انطباع جيد ومحبب إلى النفس عن الرئيس المرشح، فما عليك إلا أن ترسل لي المعلومات التي تختارها وسأعمل على نشرها ».

وحينما أصبح (غيللي) ومحفله متورطين تماماً في كافة أنواع الفضائح والجرائم، تم استدعاء هذا المتآمر الرأس إلى واشنطن كضيف شرف لحضور احتفالات تنصيب الرئيس (ريغان).

ثمة شيء صغير يثير الدهشة والتعجب، وهو أن أول حديث صحفي أدلى به (ريغان) إلى صحيفة اوروبية كان إلى مجلة (السيتيمانال) وهي مجلة تعود ملكيتها إلى شركاء (غيللي). وبكلمات أخرى، فان الرئيس الامريكي أوضح نيته بتوجيه ضربة إلى بؤر ومراكز « الارهاب »... تلك المراكز التي لا يستحقها إلا (ليشيو غيللي) الذي يعمل على خلق الارهاب بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الامريكية وبمباركة الادارة الامريكية نفسها...

وهذا ما لا يحتاج إلى أي تعليق.

خاتمة

« اليوم تنبهت كل البلاد الحرة إلى خطر انفجار الارهاب الدولي والتدخلات غيرالمشروعة والحروب التي تحركها المجموعات التي يدعوها الاتحاد السوفييتي بحركات التحرر الوطني »...

ان ما ورد أعلاه هو تعليق للجنرال (الكسند هيغ) وزير الخارجية الامريكية الاسبق، وهو إنْ دل على شيء فإنما يدل على العقيدة السياسية والعسكرية الجديدة لادارة (ريغان).

والعقيدة السياسية التي تشكل استراتيجية طويلة المدى لواحدة من أكبر دول العالم، هذه العقيدة لا تنبع من أي مكان. في السياسة، وكما في الفن، فان الجديد يمحو ذكر القديم. ونظرة خاطفة على الماضي القريب يمكنها ان تساعدنا على تتبع استمرارية برامج حرب الصقور المستمرة حتى اليوم فيما يتعلق بالعقيدة العدوانية التي تتقدم وتسبق هذه البرامج.

ان مقولة « مصالح الولايات المتحدة الحيوية » وهي أساس سياسة التدخل الامريكية، أصبحت سياسة ثابتة في التداول السياسي في النصف الثاني من سنوات الخمسين. وعلى اثر العدوان الاسرائيلي ـــ الفرنسي ـــ الانكليزي الفاشل على مصر طلب الرئيس (ايزنهاور) من الكونغرس

الامريكي منحه صلاحية استخدام القوة المسلحة في الشرق الأوسط. واستخدم البيت الأبيض خرافة « الخطر الشيوعي والسوفييتي » كحجر زاوية في عقيدته العدوانية الجديدة.

وفي الخامس من آذار عام ١٩٥٧، أصدر مجلسا الشيوخ والنواب الأمريكيين قراراً من ضمن ما جاء فيه: « الولايات المتحدة الامريكية على استعداد لاستخدام القوة المسلحة لمساعدة أية دولة أو مجموعة من البلدان تطلب المساعدة ضد أي عدوان مسلح وقع عليها من أية دولة أخرى تقع تحت سيطرة الشيوعية العالمية، وذلك إذا ما ارتأى الرئيس ذلك ضرورياً »[1].

وكان هذا ولادة ما يسمى (بمبدأ ايزنهاور) الذي لم يحدد فقط وجهة استراتيجية الولايات المتحدة العدوانية لعدة سنوات مقبلة فقط، بل انه أيضاً كان بمثابة نموذج أساسي لمبدأ (كارتر) الذي أعلن عنه في كانون الثاني ١٩٨٠:

« ان أية محاولة من قبل أية قوى خارجية للسيطرة على منطقة الخليج الفارسي سوف تعتبر بمثابة اعتداء على المصالح الحيوية الامريكية، ومثل هذا الاعتداء سوف تتم مقاومته بالوسائل الضرورية بما في ذلك القوة العسكرية »[2].

هنا يوجد فرق أساسي واحد بين هذين المبدأين: فبينما مبدأ (ايزنهاور) أوضح أن تدخل الولايات المتحدة يكون استجابة « لطلب المساعدة » فإن (مبدأ كارتر) منح الرئيس حقاً استثنائياً باستخدام القوة

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز .

(٢) صحيفة واشنطن بوت .

العسكرية في أي مكان يرى فيه خطر « الاعتداء » على المصالح الحيوية للولايات المتحدة.

ويجب الاشارة إلى حقيقة أن (مبدأ كارتر) مدين بظهوره إلى مقولة (قوس الأزمات) أو (قوس عدم الاستقرار) التي طرحها (زبغنيو بريجنسكي) المساعد الخاص للرئيس الامريكي السابق لشؤون الأمن القومي، ويمكن تلخيص هذه المقولة بأنها إصرار على أن التطورات التحررية والثورية في العديد من بلدان آسيا وافريقيا هي بمثابة خطر كامن ضد « مصالح الولايات المتحدة الامريكية الحيوية ». ومبدأ (قوس الأزمات) هذا يمكن اعتماده أساساً نظرياً للتدخل الامريكي، وتبريراً للارهاب الدولي الذي تمارسه الولايات المتحدة.

وقد أوضح الرئيس (كارتر) المبادئ الأساسية لمبدئه الجديد في حديثه إلى الكونغرس الامريكي في ٢٣ كانون الثاني عام ١٩٨٠. وكان هذا المبدأ يعتمد على مطالب الولايات المتحدة بتحقيق السيطرة والهيمنة على العالم من خلال القوة المسلحة. واعتماداً على (مبدأ كارتر) بدأ البنتاغون مباشرة يرسم خطط عملية (الضربات الصاعقة) التي تتلخص بإرسال القوات الامريكية بشكل سريع إلى البلدان والمناطق ــ كما يقول بريجنسكي ــ التي يمكن أن يتطور الوضع فيها ليصبح بمثابة خطر وتهديد « للمصالح الحيوية الامريكية ».

وفي الحقيقة، فإن هذا كان مسعى لابتكار سلاح جديد لقمع حركات التحرر الوطني أو بمعنى آخر ممارسة الارهاب الدولي على مستوى عالمي.

وهكذا تصبح مقولة « مقاومة الارهاب الدولي » التي طرحتها ادارة (ريغان) بعد استلامها لمهامها مباشرة نتيجة منطقية للمفاهيم العسكرية الاستراتيجية العدوانية للادارة السابقة.

وحاول البيت الأبيض وهو في ذروة الانزعاج أن يقدم النضال العادل لشعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية في سبيل التحرر والاستقلال على أنه (إرهاب دولي). وتحت اختراع شعار (مقاومة الارهاب الدولي) تشن الامبريالية الامريكية هجوماً مباشراً على حركات التحرر الوطني، وفي مقدمتها الدول الشرقية الاشتراكية.

لقد ركز المجتمع الدولي اهتمامه منذ وقت طويل على قضية الإرهاب الدولي. ففي مطلع عام ١٩٣٧ وقع مندوبو (٢٤) دولة في جنيف على ميثاق لمنع الارهاب ومعاملته معاملة قاسية، وأكد الميثاق على مشروعية المبدأ الدولي الذي ينص على وجوب قيام كل دولة بمنع النشاط الارهابي الموجه ضد دولة أخرى، وتعهد الموقعون على هذا الميثاق بمعاقبة الأشخاص المذنبين الذين يقومون بمثل هذه النشاطات لكن، ولسوء الحظ، فإن هذا الميثاق لم يدخل حيز التنفيذ حتى اليوم.

ومؤخراً تم بحث قضية الارهاب الدولي في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة خلال دورتها الـ ٢٧ وقام الدبلوماسيون الغربيون بالافتراء على حركات التحرر الوطني عبر وصفهم للنضال المشروع من أجل التحرر الوطني والاقتصادي بالارهاب الدولي. وظهر هذا الاتجاه بشكل واضح من قبل وفد الولايات المتحدة. كما كان دليلاً على التأييد الاجرامي الامريكي لاسرائيل في عدوانها الأخير على لبنان، وتأييداً للسياسة الصهيونية ضد الفلسطينيين واللبنانيين.

ورغم ذلك، فإن غالبية أعضاء الأمم المتحدة تصدوا لهذه المحاولات وأيد مندوبو الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الأخرى بالإجماع مسودة القرار الذي تقدمت به مجموعة دول عدم الانحياز، حول « إجراءات لمنع الارهاب الدولي الذي يهدد حياة الناس الأبرياء أو يؤدي إلى هلاكهم، أو يعرض الحريات الأساسية للخطر، ودراسة الأسباب الجذرية لأشكال الارهاب وأعمال العنف الناجمة عن الفقر والمصائب

واستحالة الخروج منها، واليأس الذي يدفع بعض الناس إلى التضحية بالأرواح البشرية، بما في ذلك أرواحهم، في محاولة لتحقيق تغييرات جذرية ».

إن تسمية القرار بهذا الشكل إنما يفيد بأن واضعيه قد أقاموا حدوداً فاصلة بين الارهاب بحد ذاته، وبين أعمال العنف الناتجة عن ظروف الحياة الخاصة. وقد اعتمد مشروع القرار على ضرورة الشجب والادانة الحازمين لكافة أعمال الارهاب الدولي، وعلى النضال ضدها باسم السلام والمثل الانسانية.

إن الادعاء والمطالبة « بمقاومة الارهاب الدولي » قد أعطيا وكالة المخابرات المركزية الامريكية والبنتاغون الامريكي الاشارة للمضي قدما في مجال تصعيد عمليات التخريب في كافة انحاء العالم. وهكذا يمكننا أن نفهم موافقة لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي على مقترحات الرئيس ريغان برفع الحظر المفروض على عمليات التخريب الامريكية في انغولا، أو أمر افتضاح الجرائم التي تنظمها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ضد (لاوس): حيث أرسلت إلى هناك مجموعات من الجواسيس والمخربين، وأشرف على العملية من واشنطن الادميرال (جيري تاتل) نائب رئيس دائرة استخبارات البنتاغون.

والأمر نفسه أيضاً معروف وبشكل واضح لهذا الاتجاه الامريكي العدواني في كافة أنحاء العالم: فمن السلفادور حيث يشرف المستشارون الامريكيون على تدبير المذابح الجماعية، إلى حدود تايلاند ــ كمبوتشيا حيث تقدم الولايات المتحدة الدعم والتأييد لعصابات (بول بوت) والتي وجدت ملجأ لها هناك. إن وكالة المخابرات المركزية الامريكية أصبحت منذ وقت طويل المركز الرئيسي لادارة النشاطات الارهابية ضد الشعوب المناضلة في سبيل تحررها الوطني، وتقدمها الاجتماعي.

الفهرس

